سرديات ناجين من المعتقلات السورية



إعداد: نادية شرف الدين. افتكار حاج مواس

سرديات ناجين
من
المعتقلات السوريّة

إعداد

نادية شرف الدين - افتكار حاج مواس

اللوحات

محمد طيب

- اسم الكتاب: سرديات ناجين من المعتقلات السوريّة

- إعداد: نادية شرف الدين - افتكار حاج موسى

- اللوحات: محمد طيب

- تصميم الغلاف: طالب الداوود

- الطبعة الأولى: ٢٠٢١



المركز السوريّ للدراسات والأبحاث القانونية

الموقع الإلكتروني: www.sl-center.org

البريد الإلكتروني: info@sl-center.org

تقديم

يعيش السوريون كارثة دموية قلَّ مثيلها عبر التاريخ الإنساني، كل ذلك لأنهم تجرؤوا على المطالبة بالحرية والديمقراطية؛ ومن فصولها اعتقال مئات آلاف السوريين، في ظروف مهولة، فيها التعذيب، والقتل تحت التعذيب، والإخفاء القسري، والحجز بظروف لا تطيقها حتى الحيوانات. وإذ نتطلع كمدافعين عن حقوق الإنسان إلى انتصار الناس في انتزاع حريتهم وحقوقهم، فإن أكثر ما يشغلنا في "المركز السوري للدراسات والأبحاث القانونية" في هذه المعركة الديمقراطية هو انتصار السوريين في معركة استعادة صوتهم. ونحن نعلم أن من ذلك قدرتهم على رواية حكايتهم الجماعية، وحكاياتهم الفردية، كما حصلت من دون قيد أو شرط. وفي هذا السياق تأتي هذا السرديات المتحررة من كل قيد، بما فيها قيد المنهج، لتشجيع الناشطين السوريين على سرد قصصهم وتجاربهم، ونقل تجارب أفراد من مجتمعهم، وعلى مقاومة مساعي سلطة الأسد وحلفائها لإجبارهم على العودة إلى مملكة الصمت، وهو ما يدعم أيضًا مسار العدالة المنشودة على غير صعيد؛ فجرأة من وقعت عليهم الانتهاكات على القول شرط لازم ليكون هناك محاكمات.

المحامي أنور البني

رئيس المركز السوري للدراسات والأبحاث القانونية

مقدمة

في رحلة مع المعتقَل السوري منذ لحظة اعتقاله ودخوله إلى أفرع الأمن -وما أكثرها- واستجوابه ومحاكمته صوريًّا، وصولًا إلى اللحظات الأولى في الزنزانة ولحظات انتظاره، ربما لشهور أو لسنوات حتى تحين لحظة الإفراج عنه أو لحظة إعدامه، تلك رحلة لا تتم إلا بالصبر، فهو بالنسبة إلى المعتقلين مفتاح الفرج ووسيلة التحمل الوحيدة.

بعض المعتقلين قدّر الله لهم أن يروا النور مرة أخرى، فكان لزامًا علينا أن نسمع منهم قصصهم التي تصل إلى حد اللامعقول، ثم تسجيلها، لجعل العالم يسمع صرخاتهم. وورد في سرديات المعتقلين تلك أسماء سجون ومستشفيات ذاقوا فيها أقسى صنوف التعذيب، لذا وجدنا من المفيد تقديم معلومات عنها استقيناها من مصادر موثوقة، لتتكامل مع السرديات في تسليط الضوء على جوانب من آلة القهر الأسدية وبعض أدواتها.

المعدتان

الفصل الأول: سرديات

السردية الأولى



يوميات معتقل

التنقل بين الأفرع الأمنية

محمد - أ يبلغ من العمر ٣٨ سنة، وينحدر من مدينة جسر الشغور، ويعيش في "منطقة الرمل" في مدينة اللاذقية. كان يعمل سائقَ سيارةٍ لنقل البضائع على خطّ اللاذقية-إدلب. وقد شارك محمد في المظاهرات السلمية، واعتقله "فرع الأمن العسكري" في مدينة اللاذقية أول مرّة مدة شهر وعشرة أيام على خلفية مشاركته في الاحتجاجات، ثمّ اعتقل مرة ثانية في تاريخ ١٠/ ١/ ٢٠١٤ وبقي في المعتقل حتى تاريخ ١/ ٦/ ٢٠١٦.

يقول محمد: خرجت من المعتقل بعد أن وقّعت على ورقة تعهد، وعدت إلى عملي، وأصبحت أمارس حياتي المعتادة، وذات يوم جاء إليّ جاري، وكان ابنه مطلوبًا للأمن العسكري، وكان عندي وقتها طلبية إلى مدينة سرمدا في ريف إدلب، فطلب مني أن آخذ ابنه معي، فقلت له: "تكرم عينك"، وأوصلت ابنه الذي يدعى أحمد إلى المناطق المحررة.

وبعد خمسة عشر يومًا في تاريخ ٢٠١٤/١/١٠ كنت قادمًا من الشام وتوقفت عند حاجز جبلة؛ "حاجز البرجان" التابع لـ "فرع الأمن العسكري" فاعتقلوني وبقيت أكثر من خمس ساعات في الفرع في جبلة، بعدها تم تحويلي إلى "فرع أمن الدولة" في حماة، وبقيت هناك خمسة عشر يومًا.

كان هناك عساكر يدخلون إلى الزنزانة ويقومون بضربي، وبعدها أذهب إلى غرفة التحقيق مكبل اليدين ومعصوب العينين. يبدأ المحقق بالتحقيق معي، ويقول: أنت تتعامل مع مسلحين وتهرّب مسلحين وكنت تساعد العساكر على الانشقاق وتمول الإرهابيين. لكنني كنت أنكر كل هذا الكلام

الذي يوجهه المحقق إلي، وأقول له: لا أعلم شيئًا.

في "فرع أمن الدولة" بحماة كان هناك محقق برتبة مساعد أول يُدعى "قصي" ولقبه "أبو جعفر"، وكان هذا المحقق "أبو جعفر" يخدم في مدينة جسر الشغور في "فرع أمن الدولة"، بعدها انتقل إلى مدينة حماة. أخبرني أنه يعرف أهلي وطلب مني أن أتكلم، وقال لي: كيف استطعت أن تهرّب الإرهابي أحمد من اللاذقية إلى مناطق الإرهابيين؟ أخبرته أني لا أعرف شيئًا عن هذا الأمر، فأخبرني أن التقرير موجود أمامه، لكنني كنت مصرًّا على أنني لا أعرف شيئًا، وأنني لم أقم بإيصال أي شخص إلى المناطق المحررة، عندها بدأ بتهديدي وقال: إذا لم تتكلم سوف نقوم بتحويلك إلى الشام.

تعرضت للتعذيب في "فرع أمن الدولة" بحماة؛ حيث كنت أوضع على بساط الريح[1]، وأُضرَب بواسطة عصا ثخينة، وبعدها أوضع في دولاب سيارة مكبل اليدين ومعصوب العينين ويتم ضربي.

بعد فترة نُقِلتُ إلى "الفرع 248"[2] في دمشق، وعندما وصلت إلى الفرع تم وضعي في زنزانة وتعليقي على الحائط وشبحي؛ بقيت مشبوحًا مدة يومين من دون طعام أو شراب، ولم يتكلم أحد معي وقتها. وبعد يومين طلبني محقق إلى غرفة التحقيق فذهبت إليه مع عساكر مكبل اليدين ومعصوب العينين. وصلت إلى غرفة التحقيق وكان هناك نقيب، حيث بدأ بالتحقيق معي، وسألني: كيف أدخلت مسلحين؟ وكم مسلح أخذت إلى إدلب؟ وكم من المبالغ المالية أعطيت الإرهابيين؟ وكيف تتواصل معهم وتوصل إليهم السلاح في سيارتك؟

أخبرت المحقق أن كل هذا الكلام غير صحيح وأنه ليست لي أي صلة

---

١ - بساط الريح: أحد أشهر وسائل التعذيب في سجون وأقبية ومعتقلات سلطة الأسد؛ حيث يُثبَّت المعتقل على لوح خشبي من قسمين قابلين للحركة، ثم يُثنى اللوح بتقريب القسمين إلى بعضهما أو بالعكس. وهو ما يؤدي إلى آلام فظيعة يشعر بها المعتقل الممدد على اللوح في منطقة العمود الفقري، إضافة إلى الآلام التي يعاني منها في باقي أنحاء جسده نتيجة الضرب العشوائي المرافق لتلك العملية.

٢ - "فرع ٢٤٨" (فرع التحقيق العسكري) وهو بمنزلة هيئة التحقيق الرئيسة لجهاز الأمن العسكري، ارتكب هذا الفرع انتهاكات عديدة، بحسب ناجين منه؛ تدرجت من الإهمال الصحي والتجويع، مرورًا بالتعذيب النفسي والجسدي، وصولًا إلى الموت تعذيبًا وجوعًا.

بهم، وكل الذي أعرفه أني توقفت عند "حاجز البرجان" وأخبروني أنه مجرد سؤال وجواب وسوف تخرج بعدها.

هنا قال لي المحقق: أنت كاذب، وكل فترة تذهب إلى إدلب. فأجبته: هذا صحيح، كل مدة أذهب إلى إدلب وآخذ معي طلبيات نقل، فأنا سائق سيارة وعندي طلبيات نقل أوصلها إلى هناك. لكنه قال لي مجددًا: أنت كاذب وتتعامل مع الإرهابيين.

وبعد أن أخرج من غرفة التحقيق يتم شبحي أربع ساعات في غرفة منفردة، ومعي ثلاثة أشخاص معتقلين، وأثناء شبحي وأنا مرفوع يضربونني على ظهري بواسطة كبل يدعى "الأخضر الإبراهيمي"[3]، بعدها يأخذوني إلى غرفة التحقيق، وكان هذا الأمر يحدث يوميًّا، وبقيت على هذه الحال فترة؛ حيث يأخذونني إلى غرفة التحقيق وبعدها إلى غرفة منفردة للتعذيب. وبعد عشرين يومًا قال لي المحقق: أنت لن ينفع معك هذا الأسلوب. بعدها أنزلوني إلى غرفة منفردة ووضعوني على كرسي كهربائي حيث صُعِقتُ بالكهرباء، وكنت من شدة الألم أصرخ وأستنجد بهم وأخبرهم أنني سوف أعترف فيأخذوني إلى غرفة التحقيق، وأخبرهم أني لا أعرف شيئًا. بقيت فترة على هذه الحال أتعرض للتعذيب على الكرسي الكهربائي حتى صار جسمي يزرقّ وأشعر أن أي شيء ألمسه فيه كهرباء، وعندما أخبرت الشباب الذين معي في الزنزانة أني أشعر بأن كل شيء حولي مكهرب، أخبروني أن هذا من الكرسي الكهربائي، حيث أصبح لدي طاقة كهرباء داخل جسدي ولا بد من تفريغها، وعندما سألتهم: كيف؟ قالوا: هم يفرغونها من جسدك. في النهاية أصبح جسمي يزرق، فأحضروا لي طبيبًا أخبرهم أنني أحتاج إلى تفريغ جسمي من الشحنات الكهربائية، وقام الطبيب بعدها بتجريح جسدي بواسطة إبرة طويلة وثخينة من أجل إخراج شحنات الكهرباء.

---

٣ - الأخضر الإبراهيمي: أكثر أدوات التعذيب استخدامًا في سجون ومعتقلات الأسد؛ وهو قضيب بلاستيكي أخضر اللون يستخدم أساسًا في التمديدات الصحية، قبل أن ينقله الأمن السوري إلى حقل التعذيب ويمنحه تلك الشهرة. وعلى ما يبدو اختير للتعذيب لمتانته وليونته مقارنة بالعصا التي قد تنكسر ولا تحدث الألم الذي يحدثه "الأخضر". أمّا سبب تسميته بـ"الأخضر الإبراهيمي" فهي اصطلحت للسخرية من المبعوث الدولي إلى سورية ومهمته فيها والذي كان يحمل الاسم نفسه (الأخضر الإبراهيمي المبعوث المشترك للجامعة العربية والأمم المتحدة إلى سورية، قبل أن يستقيل من منصبه فيما بعد عقب فشله في تحقيق أي تقدم).

بعدهـا أصبحـوا يسـقونني "متـة" ويربطـون عضـوي الذكـري بواسـطة مطاطـة، ويقولـون لي: إذا كنـت قـادرًا عـلى التبـوّل فتبـولْ، وبعدهـا يضعوننـي تحـت صنبـور مـاء ينقـط نقطـة نقطـة عـلى كامـل جسـدي وأنـا عـاري الجسـد، بقيـت عـلى هـذه الحالـة مـدة يومـين، ويخبرهـم المحقـق بأنـه إذا أردت الاعتراف أن يأخـذوني إليـه. كنـت في غرفـة منفـردة، أبقـوني عـلى شرب "الـمتـة" وربـط عضـوي الذكـري ووضعـي تحـت صنبـور الـماء، كان ذلـك أصعـب مـن الـضرب. لم أعـد أحتمـل شـدة الألم، وأحسسـت أن أمعـائي سـتتمزق ورأسي سـينفجر، وكنـت أتوسـل إليهـم وأقـول لهـم: خفّفـوا عنـي لأجـل اللـه. فيقولـون لي: لينفعـك اللـه. فأقـول لهـم: أشـكوكم إلى اللـه. وكانـوا يكفـرون ويتكلمـون بـكلام بـذيء.

ذات مـرة طلبنـي محقـق، فذهبـت إليـه، فقـال لي: هـل سـتتكلم أم لا؟ قلت لـه: ماذا سـأتكلم؟ قـال: عـن مسـاعدتك للمسـلحين، فأنـت كنـت تمـول الثـورة ونقلـت سـلاحًا للإرهابيـين وسـاعدت العسـاكر عـلى الانشـقاق. قلت لـه: لا أعرف شـيئًا. فقـال: أنـت سـتبقى هنـا حتـى تمـوت. هنـا أصبحـوا يدخلوننـي إلى غرفـة يشـبحونني فيهـا، كانـت الغرفـة صغـيرة، ومعـي معتقلـون، كنـت أشـاهد كيـف يتـم تعذيبهـم، وشـاهدت شـخصًا كان معـي في الغرفـة نفسـها وكان معلقًـا مـن صـدره، وشـخصًا آخـر معلقًـا بالعكـس؛ رأسـه إلى الأسـفل وأقدامـه نحـو الأعـلى، والعسـاكر ينهالـون عليـه بالـضرب بالأكبـال، وهنـاك شـخص وضعـوه عـلى كـرسي حديـد مطـوي وسـمعت عضـلات جسـده وهـي تتمـزق، وكنـت هنـاك معلقًـا مشـبوحًا مـن دون طعـام وشراب، والجـلاد يكـرر جملتـه: تكلّـم أو سـتموت. وقـد أصبـت بمـرض مـن كـثرة حبـس البـول.

نُقِلـتُ إلى "مشـفى تشريـن العسـكري"، وعنـد وصـولي سـألهم أحـد الممرضين: هـل هـذا عـلى التصفيـة؟ قـال لـه العسـاكر: هـذا للعـلاج. فاسـتغربت أنـه حتـى داخـل المشـفى هنـاك تصفيـة.

وضعـوني في غرفـة فيهـا سريـران، وكان فيهـا شـخص مربـوط بجنازيـر مسـتلقٍ عـلى ظهـره، وكان معـه مـرض السـل، فوضعـوني جانـب الشـخص المصـاب.

كان هنـاك الكثـير مـن المصابـين بهـذا المـرض يدخلـون إلى المشـفى ويخرجـون أمواتًـا بعـد إعطائهـم إبـرة هـواء.

الشـخص الـذي معـي قـال لي: أنـت وحظـك بحسـب الشـخص الـذي سـوف يعطيـك العـلاج، إذا كان ابـن حـلال سـوف يدعـك تعيـش، وإذا كان ابـن حـرام سـوف يعطيـك إبـرة هـواء وتمـوت، وإذا جـاء ابـن حـرام وأعطـاك إبـرة هـواء سـتتخلص مـن هـذا العـذاب لأنـك سـترى الكثـير.

للمـرة الأولى في حيـاتي أتمنـى ممّـن يعطينـي العـلاج أن يكـون ابـن حـرام وليـس ابـن حـلال؛ لأن العـذاب الـذي تعرضـت لـه لا يوصـف.

السجن الدموي في صيدنايا

مـن مشـفى عسـكري يحمـل داخلـه رائحـة المـوت للمعتقلـين بـدل العـلاج، وممرضـين يتعلمـون بأجسـاد المـرضى التـي أنهكهـا ضرب الجـلاد، في ظـل غيـاب الأطبـاء الذيـن لم يقتربـوا منـي طـوال فـترة علاجـي.

يـروي محمـد فيقـول: أُدخلـت "مشـفى تشريـن العسـكري" حتـى أتلقـى العـلاج، وكان وضعـي صعبًـا للغايـة، ولكـن كان هنـاك ممـرض ابـن حـلال أشرف عـلى علاجـي، هـذا الممـرض الوحيـد الـذي كان يقـول لي: يجـب عليـك أن تقـف عـلى قدميـك، أنـت مـن النـاس الذيـن دافعـوا عـن الوطـن، والوطـن يحتـاج إليـك.

بقيـت في "مشـفى تشريـن العسـكري" مـدة شـهر ونصـف حتـى تحسـن وضعـي الصحـي، بعدهـا أخـبروني بـأني يجـب أن أغـادر المشـفى وأعـود إلى السـجن في "الفـرع ٢١٥"[4].

٤- ″الفرع ٢١٥″ (سرية المداهمة والاقتحام)، وهو تابع لجهاز الاستخبارات العسكرية، يقع في حي كفر سوسة في دمشق، ويتألف من عدة طوابق وغرف. وبحسب منظمات حقوقية عدة فإن هذا الفرع جرت فيه جرائم كثيرة بحق المعتقلين فيه. ومن بين أبرز المسؤولين في الفرع عن عمليات التعذيب التي حصلت العميد محمد شفيق مصة الذي شارك بقمع المتظاهرين منذ ٢٠١١ وأعطى الأوامر بتعذيب المعتقلين وتصفيتهم داخل زنازين الفرع. كما عرف اللواء حسن دعبول، الملقب بآمر فرع الموت، بانتهاكاته الجسيمة التي ارتكبها عندما ترأس الفرع بين عامي ٢٠١٣ و٢٠١٦م. ومن بينهم أيضًا ″أحمد العلي″، وهو مدير سجن النساء في الفرع ويلقب بـ″شرشبيل″ حيث يشرف على عمليات تفتيش المعتقلات وشبحهن وهنّ عاريات. وبحسب موقع ″مع العدالة″ فإن شهادات المعتقلين تؤكد أن هناك ما لا يقل عن ٣٠ حالة وفاة يوميًّا داخل أقبية الفرع، وتعود أسباب الوفاة إلى التعذيب الذي يتعرض له المعتقلون أو انتشار الأمراض السارية مثل التهابات الكبد بدرجاتها، والطاعون والسل، وانتشار الأمراض الجلدية،

عـدت إلى السـجن في "الفـرع ٢١٥"، نزلـت مـن السـيارة العسـكرية، وكان الاسـتقبال ضربًـا مبرحًـا بالأكبـال، وضعـوني في غرفـة منفـردة بقيـت فيهـا ثلاثـة أيـام، بعدهـا طلبنـي المحقـق إلى غرفـة التحقيـق، كنـت معصـوب العينـين ومكبـل اليديـن.

وصلـت إلى الغرفـة، وبـدأ المحقـق يسـألني: كيـف أخرجـت المسـلحين إلى مناطـق الإرهابيـين؟ أخبرتـه أني لا أعـرف، لكنـه قـال لي: إنـك تنكـر لأن هنـاك أشـخاصًا اعترفـوا أنـك قمـت بنقـل مسـلحين إلى مناطـق الإرهابيـين وسـوف نقـوم بإحضـار الشـخص الـذي شـاهدك. أخبرتهـم بأنـه ليـس لـدي أي مانـع وأنـا مسـتعد لمواجهـة الشـخص الـذي شـاهدني، فأنـا لم أفعـل أي شيء، لكـن المحقـق قـال لي: سـتعترف مكرهًـا.

وبعدهـا عـدت إلى غرفـة منفـردة للتعذيـب الـذي كان عـلى فـترات طويلـة؛ حيـث يقـوم السـجان بوضعـي عـلى الحائـط وشـبحي مـدة طويلـة وضربي بالعـصي وبالأكبـال الثخينـة وبالعـصي الكهربائيـة، كان عذابًـا لا يحتمـل، فمـن شـدة التعذيـب الـذي تعرضـت لـه أخبرتهـم بـأني سـأعترف بمـا يريـدون.

قـال لي المحقـق: تعـترف بمـا نريـد؟ أخبرتـه بـأني سـوف أعـترف بـكل شيء، المهـم أن أرتـاح مـن شـدة التعذيـب.

في غرفـة التحقيـق طلـب منـي المحقـق أن أقـترب، تقدمـت إلى طاولـة، وكنت وقتهـا معصـوب العينـين ومكبـل اليديـن، وقمـت بوضـع بصمتـي عـلى ورقـة، وأنـا لا أعلـم مـا هـذه الورقـة.

وبعدهـا وضعـوني في غرفـة منفـردة بقيـت فيهـا ثلاثـة أيـام، ثـم اسـتدعوني ووضعـوني في "سـيارة جنزيـر"[٥]، وأنـا مغمـض العينـين ومكبـل اليديـن ووضعونـا فـوق بعضنـا، وانطلقـت بنـا السـيارة، ولم نكـن نعلـم إلى أيـن.

أو بسبب الجوع وانعدام الرعاية؛ حيث وثّق "قيصر" (العسكري المنشق عن النظام) ٣٥٣٢ ضحيّة قضوا تعذيبًا أو بسبب الأمراض والجوع في هذا الفرع.

٥- سيارة الجنزير: تتسع لخمسة وعشرين شخصًا يربطهم مع بعضهم جنزير فيه حلقات تبعد عن بعضها نحو ٣٠ سم لتكبيل أيدي المعتقلين. وهناك جنزير طويل وجنزير قصير.

سـارت بنـا السـيارة مسـافة، وبعدهـا توقفـت ونزلنـا منهـا، ثـم وضعونـا في سـاحة، وهنـا كانـت الصدمـة؛ لأنـني لم أتوقـع أن أصـل إلى هـذا المـكان المرعـب، وقفـت أنظـر حـولي مذهـولًا وكأنـني في كابـوس أود أن أسـتفيق منـه.

عندمـا كنـت في السـجن بمجـرد سـماعي بهـذا المـكان كنـت أشـعر بالخـوف الشـديد والذعـر، فكيـف وقـد أصحبـت الآن في داخلـه.

كنـت أتوقـع أي شيءٍ إلا أن أكـون في "سـجن صيدنايـا"، حينهـا أيقنـت أن حيـاتي قـد انتهـت حقًّـا هنـا.

حكـم الإعـدام

تعجـز الكلـمات عـن وصـف سـجن صيدنايـا الـذي يعـرف بـ "السـجن الأحمـر"، وهـو "سـجن المـوت" الـذي يحمـل رائحـة المـوت في كل زاويـة مـن زوايـا الزنزانـات التـي لا نشـاهد داخلهـا إلا عذابًـا لا ينتهـي، وموتًـا هـو جحيـم بحـد ذاتـه. هنـاك تعذيـب حتـى المـوت، وجـوع لدرجـة أننـا كنـا نحلـم برغيـف خبـز، والاغتصـاب كارثـة والمحرقـة التـي التهمـت مئـات المعتقلـين وحولتهـم إلى رمـاد، لـو أن الجـدران تنطـق لعجـزت عـن الـكلام مـن شـدة هـول المناظـر التـي شـاهدتها، ولا تـزال تلاحقنـي صرخـات السـجناء حتـى اللحظـة فأنـا لا أصـدق أني خرجـت حيًّـا مـن سـجن المـوت.

يـروي "محمـد" قصـة وصولـه إلى "سـجن صيدنايـا" فيقـول: وصلـت إلى السـجن وكنّـا معصـوبي الأعـين ومكبـلي الأيـدي، وكانـوا يسـوقوننا مثـل قطيـع الأغنـام. بعدهـا أخذونـا وحلقـوا لنـا شـعورنا وأدخلونـا إلى غرفـة الحمامـات وسـكبوا علينـا مـاءً بـاردًا، كنـا عـراة، وبعدهـا قمنـا بحركتـي الأمـان التـي يكـون فيهـا الشـخص عـاريَ الجسـد وواقفًـا، ينـزل ويقـف مرتـين، هـذه اسـمها "حـركات الأمـان" بإيعـاز مـن العسـكري مـع جميـع الألفـاظ البذيئـة التـي يوجههـا إلينـا.

وبعـد أن انتهينـا مـن حـركات الأمـان، أعطونـا أرقامًـا حتـى نحفظهـا، فنحـن هنـا مجـرد أرقـام، وممنـوع علينـا أن نذكـر اسـمنا، بعدهـا وضعونـا في المهجـع؛ وهـو غرفـة كبـيرة. وعندمـا دخلـت إلى المهجـع وشـاهدت النـاس توقعـت أننـي

ميت، وكل ما يحدث معي مجرد أوهام، دخلت ولم أتكلم بأي كلمة.

دخلت وجلست وكنت أسمع أصوات أشخاص من المهاجع الأخرى وهم يتعرضون للتعذيب، وصوت الجلاد وهو يتكلم بكل الألفاظ البذيئة.

كان رقمي ٢٨٥ يتبع لـ "فرع أمن الدولة" في دمشق؛ لأنه من الممكن أن أعود إلى الفرع أو يطلبني الفرع بأي لحظة، فقد وُضِعتُ في "سجن صيدنايا" إيداعًا.

أول يوم دخلنا فيه المهجع لم يتكلم معنا أحد من العساكر، ولم نتناول الطعام والشراب، ولم يعطونا أغطية في الليل، كنت في المهجع مع أربعة أشخاص كانوا معي في الدفعة الجديدة نفسها التي وصلت، والباقون الذين وصلوا معي وُزِّعوا على باقي المهاجع الأخرى.

في الصباح استيقظت على صوت صراخ وطرق على الباب بشدة وهو يقول: "هيّا يا خنزير أنت وإياه هيّا، من عنده فطيسة؟" كنت مذهولًا! ماذا يريد؟ وما هي الفطيسة؟ بعدها علمت أن كل شخص يستشهد من المعتقلين في المهجع يسمونه فطيسة.

هنا استيقظ كل مَن في المهجع، ووضعنا بطانية في منتصف المهجع وجلسنا حولها على شكل مربع، وأرجلنا إلى صدورنا ورؤوسنا إلى الأرض، ممنوع لأي شخص أن يلامس ظهره الحائط. وُضِع الفطور، لكنني لم أقترب أو أتناول الطعام لأنني كنت جديدًا ولا أعرف شيئًا وكأنني أصبت بضربة على رأسي.

في الساعة الثامنة بدأت تذاع الأسماء التي هي عبارة عن أرقام. كان رقمي من ضمن الأرقام، وهنا يجب أن تقول "حاضر".

كان هناك رئيس للمهجع، وهو سجين مثلنا، ولكن السجان وضعه لينادي على أرقامنا ونقول له "حاضر"، بعدها فتح باب المهجع، كان ممنوعًا على أي سجين أن ينظر إلى السجان؛ لأنها تعدّ كارثة، فنضع رؤوسنا في الأرض ونحن مكبلو الأيدي ومعصوبو الأعين، ثم وضعونا في جنزير سيارة وذهبنا

بعدها إلى "محكمة الإرهاب"[٦] في المزة.

وصلنا إلى "محكمة الإرهاب" في المزة وتقدمت إلى القاضي، لم يسألني أي شيء ولم يتكلم قط طوال فترة المحكمة التي كانت مدتها خمس دقائق.

٦ - محكمة الإرهاب: أحدثت محكمة الإرهاب في دمشق عام ٢٠١٢، بموجب المرسوم رقم (٢٢)، وهي المحكمة التي يصفها المحامون السوريون المدافعون عن المعتقلين بأنها أقرب لأن تكون فرعًا أمنيًّا من كونها دار عدل، وأنها تشكّل غطاءً قانونيًّا للأفرع الأمنيّة؛ وذلك لأنّ قضاة التحقيق والنيابة العامة وقضاة المحكمة يعيّنون فيها بمرسوم من رئيس الجمهورية وتتضمن قضاة عسكريين استثناءً من التشكيلات القضائية التي يقوم بها مجلس القضاء الأعلى.

ومحكمة الإرهاب هي محكمةٌ استثنائيّة شبيهة إلى حدٍّ ما بمحكمة أمن الدولة التي تمّ إلغاؤها. وأحد أهمِّ المؤشرات على استثنائية هذه المحكمة، وانتهاكها للحقوق القضائية، أنّها معفاة من التقيد بالأصول المنصوص عليها في التشريعات النافذة وذلك في جميع أدوار وإجراءات الملاحقة والمحاكمة؛ فهي مشكَّلةٌ من نيابةٍ عامّةٍ، وقاضي تحقيق الإرهاب، ومحكمة جنايات إرهاب. وعلى نقيض القضاء العادي، نرى هنا غيابًا لقاضي الإحالة في تشكيل هذه المحكمة. فهنا يفقد المُحاكم أمامها درجةً من درجات التقاضي التي تضمن له استئناف قرار قاضي التحقيق أمام قاضي الإحالة؛ لذا فإنّ قرار قاضي التحقيق في محكمة الإرهاب يحوَّل مباشرةً إلى محكمة جنايات الإرهاب من دون أن يكون هناك قاضي إحالة يمرّ من خلاله. ومن اللافت أنّه حتى لو كان الجرم جنحويَّ الوصف، وصدر قرارٌ ظنّيٌّ من قاضي التحقيق به، فإنّه يُحال أيضًا إلى محكمة جنايات الإرهاب التي من المفترض أن تكون مختصّةً بمحاكمة الجنايات فحسب دون غيرها من الجرائم، كما أن وجود ضباط عسكريين في تشكيلة المحكمة وقضاة التحقيق ومحاكمة مدنيين أمامهم يخالف الاختصاص النوعي.

ومن انتهاكات هذه المحكمة أيضًا، أنّ الشخص المحال إليها، وقبل أن يكون ظنينًا أو متّهمًا، فإنّه لا يتمتّع بأي حقٍّ من حقوق الدفاع التي نصت عليها القوانين، أثناء مرحلة الاستجواب أو أثناء مرحلة الاستعانة بمحامٍ. ودور محامي الدفاع يكون في معظم الأحيان شكليًّا، ويصطدم بعنجهيّة واقع القضاة والنيابة العامة والموظفين في المحكمة. وإن كل ما نصَّ عليه قانون المحاكمات الجزائية السوري من ضماناتٍ للموقوف وتوكيل المحامين وإخلاءات السبيل، لا يطبّق بشكل فعليّ، إنّما يكون المعيار كيفيًّا أمنيًّا بوجهٍ قضائيّ. وهذا ما توصّلنا إليه من خلال مقابلاتٍ عدّة مع خبراء قانونيّين. وإضافة إلى الأمور الإجرائيّة، فإنَّ استثنائيّة محكمة الإرهاب مكرّسة بنصّ القانون أيضًا؛ حيث تنصُّ المادّة السابعة من قانون إحداث المحكمة رقم (٢٢) لعام ٢٠١٢ على ما يلي: "مع الاحتفاظ بحقِّ الدفاع، لا تتقيّد المحكمة بالأصول المنصوص عليها في التشريعات النافذة، وذلك في جميع أدوار وإجراءات الملاحقة والمحاكمة".

كما يصف المعتقلون وذووهم محكمة الإرهاب، بأنّها بؤرةٌ أمنيّة فاسدة، تقضي على المتبقّي من المعتقل عندما يحال إليها؛ فبعد أن يكون المعتقل قد استُنزِف نفسيًّا وجسديًّا داخل الفروع الأمنيّة، تأتي هذه المحكمة عبر شبكةٍ من القضاة والمحامين والموظفين، وتستنزفه وذويه ماليًّا، عبر صفقات مقايضةٍ تجري لإخلاء سبيله مقابل دفع رشاوى لهذه الشبكة من قبل ذوي المعتقل، ما يدفعهم إلى تأمين المبالغ المطلوبة التي قد تصل إلى ملايين الليرات، وهذا ما يزيد الأعباء المترتّبة عليهم، ويؤثّر سلبًا على الأسرة من الناحية الاقتصاديّة والاجتماعيّة. وبناءً على ما تقدّم لنا أن نحكم على كلِّ ما يصدر عن تلك المحكمة من أحكام بأنها أحكام تعسفيّة باطلة وغير قانونيّة صادرة من محكمة استثنائية أمنية فاسدة.

صدر الحكم بأن يتم تحويلي إلى "المحكمة الميدانية" في صيدنايا، وهناك أشخاص حكم عليهم بالبراءة بعد دفع مبالغ طائلة من الأموال، وأشخاص حكم عليهم بالسجن المؤبد أو بعشرين سنة، وآخرون تم تحويلهم إلى سجون عدرا والبالونة والسويداء.

أما أنا حُكم عليّ بمحكمة ميدانية، ولم أكن أعرف ما هي المحكمة الميدانية.

ونحن عائدون إلى صيدنايا في السيارة سألت: ما هي المحكمة الميدانية؟ فأخبروني أنّ المحكمة الميدانية بصيدنايا هي الحكم بالإعدام، فأحسستُ بصدمةٍ شديدة.

شيء مثل الحلم، حكم عليّ بالإعدام من دون أن يتكلم القاضي بأي كلمة، والمحكمة كلها مدتها خمس دقائق فقط، ثم صدر علي حكم الإعدام.

رحلة العذاب داخل "سجن صيدنايا"

جلست بعد عودتي من "محكمة الإرهاب" في غرفة منفردة لأسبوع، كنت أسمع صراخًا وكلامًا بذيئًا.

وبعد الأسبوع وُضِعتُ في المهجع مع باقي المعتقلين، وكنت هنا أنتظر حكم الإعدام حين يأتي دوري بالإضبارة لتقديمها إلى المحكمة، فكنت أنتظر الموت، حيث نسيت كل من في الخارج حتى أهلي نسيتهم وأصبح همي أن أقاوم معيشتي في سجن صيدنايا لأنني كل يوم كنت أموت ألف مرة.

في ساعات الصباح نستيقظ على صراخ الجلاد وهو يطرق الأبواب بالعصا ويصيح بأعلى صوته: من عنده فطيسة؟ كنت أسمع أنه في باقي المهاجع هناك شهداء ماتوا تحت التعذيب. هنا يقوم السجان بانتشال الجثث حتى يتم دفنها خارج سور السجن.

كان هناك سجين يدعى "رئيس القاووش" تم وضعه من قبل السجان

حتى يراقب أي تحرك في المهجع لإخبار السجان، ويقوم بترقيم أي شخص قام بأي حركة، وحين يأتي السجان يخبره بما حدث، هنا يقوم السجان باستدعاء الأرقام إلى ممر يدعى "الكردور".

وهذا الرقم الذي هو الشخص المعتقل، من الممكن أن يعود، ومن الممكن ألاّ يعود، حيث يقوم السجان بضربه ضربًا مبرحًا بآلة تدعى "ماسورة"، أو الجلد بكبل رباعي أو قشاط سيارة حتى يخرج الدم من الشخص الذي يضربه السجان حتى يشفي غليله ويصرخ ويقول: "أنت يجب أن تموت من أول يوم دخلت فيه السجن، أنت خائن للبلد" مع كل الألفاظ البذيئة.

بعدها يأتي موضوع الطعام والشراب، فقد كنا نتقاسم الرغيفَ؛ رغيفًا لستة أشخاص، رغيف الخبز مع ملعقة مربى وست حبات زيتون متعفنة، حيث يكون نوع واحد فقط على الإفطار، أما الغداء فهو ملعقة من البرغل فقط، وفي المساء شوربة لا تؤكل، وكانوا يطعموننا من أجل ألاّ نموت فحسب، كنا نحلم بأنّنا نتناول طعامًا يشبعنا مرة واحدة على الأقل.

وحتى حين يأتي الطعام كان يأتي وعليه آثار دماء المعتقلين، حيث يوضع الأكل على باب المهجع ويقول السجان لاثنين أن يخرجوا لإحضار الطعام، وقبل أن يكون الطعام قد وصل إلى غرفة المهجع يصبح كله دماء، وحين لا يكون عليه آثار دماء يقوم السجان برمي الطعام في التواليت ويجبرنا على تناوله من هناك، وكنا مجبرين؛ لأنه إن لم نأكل فسنبقى من دون طعام.

كان هذا الأمر يحصل يوميًّا، وكان حلمنا رغيفَ خبز فحسب، وكنت إذا رأيت في الحلم أنني تناولت رغيف خبز أحمد الله أنني أكلت.

أما التعذيب فكان عشوائيًّا؛ حيث يأتي سجان يريد أن يتسلى فيفتح باب المهجع، وينادي على خمسة عشر شخصًا، ويخرج الشخص إلى السجان ويبدأ بضربه.

كان التعذيب إما بكبل رباعي أو شبح على الحائط أو على الكرسي

الألماني[٧] أو بساط الريح أو إطفاء السجائر في جسمنا.

أما بالنسبة إلى الطبابة، فكان يأتي طبيب برتبة ضابط ملازم أول كل ثلاثة أشهر، يدخل ويسأل من مريض؟ وإذا كان هناك شخص مريض يرفع يده، يأتي إليه الطبيب ويعطيه حبة "سيتامول" فقط مهما كان نوع المرض، ويقول له إنه لا يحتاج إلى شيء سوى حبة "سيتامول"، وبعد ذلك يعود إلى غرفة المهجع.

وبعد أن يغادر الطبيب يأتي السجان ويسأل: من رفع يده وقال إنه مريض؟ يقول الشخص: "أنا"، فيطلب منه السجان أن يخرج، حينها يتمنى الشخص لو أنه لم يأخذ علاجًا، حيث يقوم السجان بضربه حتى يموت تحت يديه من شدة التعذيب، وإذا لم يمت قد يحصل معه نزيف داخلي ثم يموت بعدها.

أما أنا فقد كسروا أسناني، وقام السجان بقلع نابين لي بـ "البانسة"، وضربوني على ظهري وعلى الأعضاء التناسلية.

الاغتصاب كارثة في "سجن صيدنايا"؛ حيث يقوم السجانون باستدعاء الشباب الذين أعمارهم بين ١٦-17 سنة ثم يقومون باغتصابهم. وكنت حين أنام أدعو الله ألا أستيقظ من هول ما يحصل وشدة التعذيب في هذا السجن.

كانت الزيارات كل ثلاثة أشهر؛ حيث يحق للشخص أن يأتي أحد أفراد عائلته لزيارته. و كنت أتمنى ألاّ يأتي أحد لزيارتي، والحمد لله ما حظيت بأي زيارة؛ لأن الذي يأتي أحد لزيارته كان يلبس بدلة السجن المخططة ويخرج للزيارة التي لا تتعدى خمس دقائق، وهناك شبكان بين المعتقل وأهله، وعسكري يمشي في المنتصف، وكان الأهل أثناء الزيارة لا يستطيعون السؤال سوى عن صحة ولدهم، ولا يُسمح لهم سؤاله عن طعامه أو إذا كان يحتاج أي شيء مثلًا، وبعد أن تنتهي الزيارة يأتي السجان ويسأل عن الذي

٧ - الكرسي الألماني: من أساليب التعذيب المشهورة في معتقلات وسجون سلطة الأسد؛ وهو كرسي معدني له أجزاء قابلة للحركة يربط بها الضحية من اليدين والقدمين، بعدها يقوم الجلاد بثني مسند الكرسي إلى الخلف مع الضغط على رأس الضحية، حيث يتمدد العمود الفقري بشكل كبير، ما يسبب آلامًا شديدة في الظهر والعنق.

خرج إلى زيارة، ويبدأ بضربه وتعذيبه وهو يقول: أنتم إرهابيون وتريدون زيارة من أهاليكم!

هناك أشخاص ماتوا حرقًا في غرفة من حديد؛ حيث أصبح الناس يتحدثون أنّ هناك سجناء فارقوا الحياة داخل سجن صيدنايا، وأنا شاهدت ذلك بعيني.

المحرقة وهي حرق الجثث؛ حيث توضع الجثث في غرفة (فرن) كلها حديد، وتُشعَل النار وتكون النار قوية، وتبقى حتى تتحول إلى رماد، وهناك أشخاص تم حرقهم وهم أحياء، وبعدها يتم حفر حفرة خارج السجن ودفنهم فيها حتى يخفوا جرائمهم.

هذه المحرقة كانت في سنة ٢٠١٥، وكان عدد الجثث التي حُرِقت كبيراً.

كنت أنتظر المحكمة، وبعد فترة طلبني السجان، فقلت في نفسي إنها المحكمة. طبعًا المحكمة كانت يوم الاثنين والثلاثاء لأحكام بعقوبة السجن، أما إذا كان يوم الخميس يكون الحكم بالإعدام.

صراع مع الموت

تعذيب أطفال تحت يدي الجلاد حتى الموت، أعمارهم الصغيرة وأجسادهم النحيلة لا تتحمل ضربات الجلاد.

وضعوني سخرة داخل السجن؛ والسخرة هي تنظيف الحمامات والكردورات وإحضار الطعام وحمل الجثث ووضعها في المحرقة.

ما زلت أتذكر كيف وضعنا "البلاو"[8] أمام المهجع من أجل أن يأخذه المهجع الثاني؛ لأننا "سخرة طعام"، وهنا خرج شخصان من المعتقلين لإحضار الطعام، فقامت الشرطة العسكرية بضربهم ضربًا مبرحًا حتى أصبح لون الطعام الذي أحضروه أحمرَ.

٨ - "البلاو": هو حلة كبيرة يستخدم لطهي الطعام بكميات كبيرة، كما يسلق فيه القمح.

يا إلهي ما هذا الإجرام! نظرت إلى الطعام وكله دم ولكن كنا مجبرين على تناوله.

وفي اليوم الثاني توفي الشخصان اللذان أحضرا الطعام نتيجة نزيف داخلي من شدة التعذيب الذي تعرضا له، وضربهما بالعصي الثخينة والهَراوى على رأسيهما.

وعندما كان يموت أحد في المهاجع نقوم بلف جثته ونربط يديه، وبعدها نكتب الرقم على قدمه، ثم يأتي شخصان ويكتبان على ورقة رقم الشخص الذي توفي من أجل إخبار ذويه بوفاته، ونقوم بأخذ الجثة إلى المحرقة.

كل يوم يكون هناك ما يقارب ١٥ إلى ٢٥ جثة توضع في المحرقة؛ حيث يكون سبب الوفاة إما تحت التعذيب، وإما نتيجة نزيف أو جوع أو مرض، بعدها نقوم بوضع الجثث فوق بعضها ونخرج لنعمل في المهجع مدة ساعة تقريبًا، ثم نعود إلى غرفة المحرقة حيث تكون الجثث قد تحولت إلى رماد، ولم يبقَ منها شيء؛ بعدها نقوم برمي الرماد خارج السجن وتنظيف المحرقة ومسحها، وبعدها نخرج، وكنا نقوم بهذا العمل يوميًّا.

موضوع الطعام والشراب كان حلمًا بالنسبة إليّ وإلى كل المساجين، كنت أبقى يومين من دون طعام من أجل أن آخذ في اليوم الثالث نصف رغيف، كنت أعطي حصتي ليومين إلى رفيقي من أجل أن أستردها منه في اليوم الثالث، نصف رغيف الخبز كان دينًا، كنا نتصارع مع الموت، نريد أن نأكل، فحلمنا صار الطعام.

أما الاستحمام فقد كان كل ثلاثة أشهر؛ حيث يأخذوننا إلى الحمام بشكل جماعي وراء بعضنا، وأثناء الذهاب إليه نتعرض إلى ضرب مبرح بالعصي، وندخل إلى غرفة الحمام كل ثلاثة أشخاص معًا، فيقوم أحدهم برش الماء ويقوم الثاني بضربنا بالعصي، ومدة الحمام لا تتجاوز الدقيقة، وبعدها نعود إلى غرفة المهجع، وكذلك نتعرض ونحن عائدون إلى الضرب بالعصي، فتصبح أجسادنا ملطخة بالدماء من شدة الضرب ونحن عراة، وكنت أتمنى ألّا أذهب إلى الحمام من شدة التعذيب. أما الصلاة فتعدّ جريمة، لم يكن هناك صلاة قط، فكنا نصلي بأعيننا.

وعندما يحل المساء ويحين وقت النوم، ننام بشكل سيفٍ؛ حيث يكون شخص أمامي وشخص خلفي، وتكون قدماي عند رأس رفيقي، وقدما رفيقي عند رأسي، فلا نستطيع الحركة. كان النوم بإذن، والاستيقاظ بإذن.

وعندما يأتي الصباح يقومون بطرق الأبواب بالعصي والصراخ علينا فنعرف أن يومًا جديدًا قد بدأ. كان اليوم الذي يمر علينا كأنه سنة، والنهار طويلٌ داخل السجن، والموت حدثٌ يوميّ.

ثم جاء يوم نادوا فيه على رقمي فعلمت أنه جاء دوري بالحكم؛ لأن يومها كان يوم محكمة، تقدمت إلى القاضي وأنا مغمض العينين ومكبل اليدين، وكنت أرتدي بدلة السجن. قلت له: احترامي سيدي. لكنه لم يتكلم، ولم يسألني أيّ سؤال، ومدة المحكمة لم تتجاوز الدقيقة. لم أعرف ماذا حكم علي، وبعدها وضعوني في زنزانة مساحتها أقل من نصف متر، نمت فيها ليلة من دون طعام وشراب.

في اليوم الثاني جاءت سيارة الجنزير، صعدت إلى السيارة، وبعدها نزعوا العصبة عن عيني، وسارت السيارة. هنا قلت في نفسي الحمد لله فهذا يعني أنه لم يحكم علي بالإعدام، أي إن حكمي إما مؤبد وإما عشرون سنة، وسوف أحول إلى سجنٍ آخر غير "سجن صيدنايا"، وأي سجن أرحم منه.

وصلت إلى ساحة كبيرة، وبعد أن نزلت من السيارة شاهدت الناس تتكلم وأنا مندهش. سألت العسكري: أين نحن؟ قال لي: أيّها الحيوان امش ولا تسأل. كررت سؤالي: أين نحن؟ قال لي: ماذا تستفيد؟ فأخبرته أنني أريد أن أعرف فحسب، أخبرني أنني في "القابون"، فعرفت أنهم سوف يأخذونني إلى سجن ثانٍ.

وضعونا في مهجع كبير، والناس كلهم يتحادثون فيما بينهم. سألت شخصًا من الشام، لقبه "أبو دباح" وهو فلسطيني: إلى أين سوف يأخذونني؟ أنا قدمت من سجن صيدنايا ولا أعرف إلى أين سيأخذونني. فأخبرني أن هناك مساجين قدموا من سجن صيدنايا وتحوّلوا إلى البالونة، وأنه من المحتمل أن أتحول إلى البالونة في حمص.

وفي اليوم الثاني أذاعوا اسمي "محمد"، فاستغربت ذلك؛ لأنني كنت معتادًا في سجن صيدنايا على رقم. خرجت إليه وبسطت يدي حتى يضع "الكلبشة"، ولكنه قال لي: لا داعي لهذا، امشِ معي. مشيت معه ووضعوني في غرفة صغيرة فيها مكتب وكرسي وخزانة، جلست نصف ساعة، بعدها دخل شخص ضخم قال لي: مرحبًا يا حبيب. كنت مندهشًا من هذا الكلام، فلست معتادًا عليه في سجن صيدنايا، حيث كل الألفاظ بذيئة هناك.

وجه الشخص حديثه إليّ وقال: إنني أتكلم معك. نظرت إليه فسألني: كيف حالك؟ قلت: الحمد لله، كما ترى هذا وضعي.

كانت يدي مكسورة، وجسدي أزرق، وعيوني تؤلمني من شدة الظلام داخل الزنزانة، سألته: من أنت؟ فقال لي: هل تدخن؟ قلت: نعم. فأعطاني سيجارة وأشعلها هو، لكنني كنت في حالة دهشة شديدة مما يحصل معي.

سألني: أنت محمد - أ؟ قلت: نعم. فسألني إذا كنتُ أريد التحدث مع أهلي، قلت له: من أهلي؟ قال: أبوك وأمك. كنت مذهولًا وغير مصدق لما يحصل معي، سألته: متى ستأخذونني إلى الإعدام؟ فصار يضحك وقال لي: أنت خرجت براءة من السجن، هل تريد أن تتكلم مع أهلك؟ أجبته: نعم. أمسك سماعة تلفون، واتصل مع والدي وتكلم معه وقال له: مرحبًا أبا محمد، كيف حالك وصحتك؟ كنت مصدومًا.

بعدها قال: خذ السماعة وتكلّم مع والدك. أخذت سماعة الهاتف وتكلمت مع والدي، وأول جملة قالها "الحمد لله على السلامة"، كنت غير مصدق لما يحدث وطلبت من والدي أن يعطيني علامة بأنه أبي؛ لأنني كنت متأكدًا أنني سأحكم بالإعدام، فأعطاني والدي أسماء أولادي وزوجتي، هنا صدقت ذلك وتكلمت مع أهلي وأنا مندهش.

أغلقت سماعة التلفون، وسألت الشخص: كيف خرجت براءة؟ قال لي: أنا أخرجتك براءة بعد دفع مبلغ مالي. ثم سألني: ماذا تريد؟ فقلت: أريد أن أتناول الطعام. قال لي: لك ذلك. ثم أحضر إليّ طعامًا، فأكلت حتى شبعت، ثم أخبرني أنني سوف أنام اليوم هنا في "القابون" ثم أتحول إلى البالونة ومن البالونة إلى اللاذقية لإعادتي إلى الفرع، ومن الفرع يأتي أهلي

لاصطحابي.

في اليوم الثاني خرجت في جنزيز سيارة إلى البالونة، بقيت فيها مدة ساعةٍ ونصف، وبعدها أخذوني إلى اللاذقية. نمت ليلة في "فرع اللاذقية" وخرجت من السجن، كان أهلي بانتظاري في الخارج وكانت أسعد لحظة في حياتي عندما خرجت وشاهدت أهلي وشاهدت النور، كان شيئًا مثل الحلم وكأني ولدت من جديد. سألت والدي كيف خرجت؟ أخبرني أنني خرجت بالواسطة بعد دفع مبلغ مالي قدره ١٣ مليون ليرة سورية، خرجت من السجن بعد سنتين ونصف من العذاب داخل "سجن صيدنايا".

أخبرت والدي أنني أريد أن أغادر إلى المناطق المحررة، وفي اليوم الثاني خرجت إلى المناطق المحررة عن طريق الفرقة الأولى، من "معبر اليمضية" دخلت إلى الأراضي التركية ودخلت مباشرة إلى المشفى من دون "كملك"، وأنا داخل المشفى تم أخذ بصمتي وإخراج هوية لي، بقيت ثلاثة أشهر في المشفى أتلقى العلاج حيث كان عندي كسور قديمة تم تجبيرها، وأُجرِيَت لي عمليات ترميم حتى أصبحت أستطيع أن أقف على قدمي.



السردية الثانية
الأسرى مقابل ضابط

عز الدين- ش (أبو يزن) اعتقل خمس سنوات، عمره أربعون عامًا، من مدينة درعا ويعيش فيها، وكان يعمل مدرسًا في مدارسها.

يقول "أبو يزن": خدمت في الجيش السوري، وفي بداية الأحداث بدأت المظاهرات السلمية في درعا في تاريخ ٢٠١١/٣/٢٧. كنت أسكن حينها في مدينة درعا، وخرجت مثل باقي الناس وشاركت في الحراك السلمي إلى أن اعتُقِلت في ٢٠١٣/٣/٢٧ من قبل "الأمن السياسي" في درعا بتهمة خطف ضابط.

في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل قام "فرع الأمن السياسي" في منطقة درعا بتطويق الحي الذي أسكن فيه ودَهْمِ منزلي، وكان الداهمون ٣٠٠ عنصرٍ من الشرطة، اعتقلت أنا ووالدي وقاموا بوضع الكلبشات في أيدينا ووضع العصبات على أعيننا، ووضعونا في سيارة انطلقت بنا إلى "فرع الأمن السياسي"، وصلنا إلى الفرع وقاموا بإجراء مكالمة على الهاتف مع "فرع الأمن الجنائي"، أعطوهم اسم والدي وهو رجل مسن، وعندما طلبوا معلومات عنه لم يجدوا عليه أي مستمسك فأطلقوا سراحه، وكان إلى جانبي لكنه لم يستطع أن يتكلم معي أو حتى يودعني، بعدها غادر وبقيت أنا داخل الفرع.

وُضِعتُ في غرفة منفردة وبقيت في "فرع الأمن السياسي" في درعا ٢٥ يومًا، تعرضت فيها للتعذيب، وكان يتم خلالها شبحي على الأبواب ووضعي في دواليب سيارة وضربي بالعصي.

بعدها نُقِلتُ إلى "الأمن السياسي" في الشام (فرع التحقيق بالفيحاء)، ووُضِعت في غرفة منفردة مدة شهر، وخلال هذه الفترة لم يتكلم معي أي شخص ولا حتى بحرف واحد، والمنفردة هي غرفة صغيرة جدًّا مظلمة لا أستطيع حتى رؤية إصبع يدي أمامي، بقيت فيها 45 يومًا.

بعدها جاء عسكري وخرجت معه وأنا مغمض العينين ومكبل اليدين، ودخلت إلى غرفة تحقيق كان فيها رئيس الفرع، تكلم معي وأخبرني أن إضبارتي ممتازة وأن أموري بخير، وبعدها أصبح يسألني: ما مصير الضابط؟ ولكنني كنت أخبره أني لا أعرف شيئًا، بقيت على موقفي وأنا أنكر كلام المحقق الذي يوجَّه إليّ، بعدها قاموا بوضعي في ساحة السجن وشبحي في الساحة من الساعة الثانية عشرة منتصف الليل إلى الساعة التاسعة صباحًا، وكنت مكبل اليدين والقدمين ومعصوب العينين.

وفي الصباح جاء إليّ شخص وسألني ما اسمك؟ فأخبرته باسمي، فقام بفكي من الشبح[٩] وانتزع الكلبشات من قدميّ ويديّ وانتزع العصبة عن عينيّ، بعدها سلموني الأمانات واقتادوني إلى غرفة فيها حواسيب، قاموا بعد ذلك بالإجراءات ووضعوني في سيارة ووضعوا العصبة على عيني والكلبشات في يدي وانطلقت بنا السيارة ووصلت إلى المكان المطلوب ونزلت من السيارة. بعدها قاموا بانتزاع العصبة عن عيني، وكنت قد وصلت إلى "فرع الأمن السياسي" في درعا كنت أعرف أني قد جئت من أجل عملية تبادل الأسرى التي سيتم التفاوض عليها من أجل إطلاق سراح الضابط. لم أعذَّب في تلك الفترة؛ لأنهم يريدون أن أكون سليمًا حين تسليمي إلى الجهة التي ستأخذني لإطلاق سراح الضابط.

في أول يومين في "فرع الأمن السياسي" لم يكن هناك تعذيب، ولكن عملية التبادل فشلت وتأخرت 25 يومًا وهم يتفاوضون، وبعدها دخل علي عسكري وكنت في غرفة منفردة، فسألني العسكري ما اسمك؟ فقلت له اسمي، فقال لي: أحضِرْ أغراضك وتعال معي. صعدت إلى غرفة التحقيق، أعطوني هاتفي ومبلغًا من المال وأغراضي وحذاء أرتديه في قدمي، بعدها دخلت إلى الحمام وتحممت ورتبت شعري، وجاء طبيب وقام بفحصي، بعدها صعدت في مصعد آلي إلى "رئيس فرع الأمن السياسي" وكان وقتها "العميد ناصر العلي" رئيس الفرع في درعا، فدخلت إليه وقام بإعطائي

٩ - الشبح: من أساليب التعذيب التقليدية في معتقلات وسجون سلطة الأسد؛ حيث تعلّق الضحية من يديها في السقف ويبقى الجسم متدليًّا نحو الأسفل من دون أن يلمس الأرض، وغالبًا ما تترافق تلك العملية مع ضرب الجلاد للضحية على مختلف أنحاء الجسد. والشبح من أكثر وسائل التعذيب إيلامًا بحسب ″ناجين″ من معتقلات سلطة الأسد حيث إنه يسبب الكثير من آلام الظهر والمفاصل واليدين.

محاضرة بالقومية والوطنية. بعدها وضعوني في سيارة، وركب معي شخصان من "فرع الحزب" وانطلقت بنا السيارة ووصلنا إلى درعا البلد وهناك سلموني للجماعة التي كانت تفاوض عليّ وقامت الجماعة بتسليم الضابط وتمت عملية التبادل بنجاح وبقيت مع الشباب الذين فاوضوا عليّ حتى ٢٠١٣/٩/١٢.

ولكن اعتقلت بعد ذلك بالتهمة نفسها وهي خطف ضابط رغم عملية التبادل التي حصلت والتي أطلق خلالها سراح الضابط لأعود مرة أخرى إلى سجون النظام بالتهمة نفسها.

سجن النفق

يتابع أبو يزن قصة اعتقاله فيقول: بعد أن خرجت من السجن أول مرة في عملية تبادل مع ضابط، اعتُقِلت مرة ثانية في تاريخ ٢٠١٣/٩/١٢ من قبل "الأمن العسكري" في درعا، بعد اعتقالي مباشرة بدأ التحقيق معي بخصوص الضابط المخطوف وعملية التبادل ومن هم الأشخاص الذين فاوضوا عليّ، أنكرت كل الكلام وأخبرتهم أني لا أعرف شيئًا، فاجتمع حولي خمسة عساكر، منظرهم مرعب، وكل شخص معه أكبال وعصي ثخينة، وانهالوا علي بالضرب والتعذيب بشكل لا يوصف، حتى صرت مضرجًا بالدماء، ولكني بقيت على موقفي بأنني لا أعرف شيئًا، هنا قاموا بتعليقي على نافذة وشبحي، وكنت مقيدَ اليدين ومعصوب العينين، بعدها جاؤوا بسجين آخر ووضعوه فوق أكتافي وشبحوه معي من المساء حتى الصباح. وفي الصباح قاموا بفكي من الكلبشات وإدخالي إلى غرفة جماعية فيها ما يقارب تسعين سجينًا.

وكان تعذيبي كل يوم بعد التحقيق مباشرةً. تعذيب وضرب بالعصي وشبح على الحائط، حيث يقومون بتعليقي على الحائط الذي طوله أربعة أمتار، وفي آخر الحائط من فوق السقف يوجد هناك أسياخ حديد مثبتة في الحائط من 6- 7 أسياخ، كل سيخ يعلق فيه سجين ويكون معصوب العينين ومكبل اليدين ويوضع كيس في فمه حتى لا يُصدِر صوتًا أثناء التعذيب. بقيت داخل "فرع الأمن العسكري" في درعا خمسة أيام ذقت خلال هذه

الفترة أشد أنواع التعذيب.

انتقلت إلى "الفرع 227"[10] في دمشق، وعندما دخلت إلى داخل الفرع قمت بتسليم الأمانات، كنت مندهشًا، شعرت كأن سورية كلها اعتقلت داخل فرع المنطقة، أعداد كثيرة من الناس فوق بعضها من دون ثياب، وقفت مذهولًا ورحت أسأل أحد المساجين ما اسم هذا الفرع وكيف الوضع فيه؟ فأخبرني أن هذا "فرع 227" (فرع المنطقة في المدينة) والوضع داخله سيئ للغاية.

هنا حاولت أن أتعرف ماذا يوجد داخل هذا الفرع بحجة إدخال الطعام، فأصبحت أدخل الطعام إلى مهاجع المساجين، فوجدت هناك مدينة تحت الأرض، فيها أعداد كثيرة من المساجين.

وعندما يأتي الطعام يتم إدخاله إلى منطقة اسمها "الشبك"، رغم أن الشبك يوجد فيه مساجين، لكنهم مضطرون لإدخال الطعام فيه؛ لأنه ممر، ولأنني كنت موجودًا في الشبك عندما يأتي الطعام أقوم بسرعة بحمله وإدخاله إلى المساجين الذين تحت الأرض وفي المنفردات. ندخل من المطبخ عبر نفق تحت الأرض، ننزل تقريبًا بحدود 34 درجة تحت الأرض.

في المطبخ هناك مساعد أول اسمه "علي" يكلفنا بتوزيع الطعام على المهاجع، وكانت مهمتنا أن نحمل الطعام إلى سجن تحت الأرض يدعى "سجن النفق". لم أكن أعلم أين هو أول مرة نزلت عبر نفق وباب النفق داخل المطبخ، فتحوا بابًا وكان فيه درج من خمس درجات تحت الأرض،

١٠ - الفرع ٢٢٧ (فرع المنطقة) هو فرع تابع للأمن العسكري "شعبة المخابرات العسكرية"، كان اللواء رستم غزالة رئيسًا للفرع قبل أن يصبح نائبًا لرئيس شعبة المخابرات العسكرية. ويقع الفرع في منطقة المزة وسط دمشق، وتحديدًا في "شارع التوجيه السياسي- الكارلتون" المقابل لوزارة التعليم العالي بدمشق، حيث يحتوي هذا الشارع على العديد من الأفرع الأمنية الأخرى.
وقد كان هذا الفرع قبل اندلاع الثورة السورية مسؤولًا بشكل مباشر عن التحقيق والتعامل مع الحالات الأمنية الخاصة بالجنود والضباط الذين يخدمون في الجيش السوري والأفرع الأمنية التابعة لوزارة الدفاع والأفرع الأمنية التابعة لوزارة الداخلية، لكن ومع انطلاق الاحتجاجات في سورية أصبح هذا الفرع كغيره من الأفرع الأخرى أداة رئيسة لقمع الاحتجاجات ومكانًا لاحتجاز واعتقال آلاف المتظاهرين.
وبحسب "مركز توثيق الانتهاكات" فإنّ هذا الفرع يعد مسؤولًا عن آلاف حالات الاعتقال التعسفي والإخفاء القسري، إضافة إلى القتل الجماعي لعشرات المعتقلين تحت التعذيب منذ بداية الثورة السورية.

نزلت وبعدها قمت بالالتفاف لفة صغيرة فوجدت أربع عشرة درجة. كان ارتفاع النفق مترين وعرضه متراً، وكنا خمسة مساجين نحمل الطعام، نزلنا الأربع عشرة درجة، بعدها وجدت نفقًا طويلًا، طوله نحو مئتي متر تحت الأرض، وفي آخر النفق يوجد باب صغير طوله متر وعرضه متران، فتحنا الباب، تفاجأت! باب صغير يؤدي إلى مدينة، وكأني دخلت إلى دنيا ثانية.

مدينة ثانية ولكنها تحت الأرض، فيها أربع عشرة "جماعية"؛ كل جماعية فيها من ١٥٠ إلى ١٦٠ سجينًا. أربع عشرة جماعية فيها نحو 45-44 منفردة، وفيها مستودع طعام يكفي الفرع مدة سنة، شيء مثل الخيال.

كان معنا سجان، وكنا نضع كمية الطعام لكل جماعية؛ يُسأل المسؤول عن الجماعية عن العدد فيعطى الكمية على عدد المساجين. أما المنفردات فكانت مثل المتاهات، كل منفردة لا يوجد باب أمامها ويكون الباب في الخلف نقوم بتوزيع الطعام كل يوم، بقيت في الفرع اثني عشر يومًا، وكان كل يوم يخرج من النفق من تحت الأرض ٢٥ إلى 30 جثة. كانت الجثث توضع في ساعات الصباح الباكر داخل الشبك، المكان الذي كنت جالسًا فيه (الشبك هو إيداع يوضع فيه مساجين لصالح فرع آخر)، وأنا كنت إيداعًا في هذا الفرع، ولم أكن أعلم أني إيداع ولكن فيما بعد علمت ذلك.

يقول "أبو يزن": كانوا يُخرجون كل يوم من سجن النفق جثث المساجين الذين استشهدوا تحت التعذيب أو بنزيف أو من الجوع والبرد، وتوضع الجثث كل يوم في ساعات الصباح الباكر داخل الشبك، وكانت مهمتنا أن نضع الجثث في سيارة مغلقة.

إحدى الجثث بقيت مدة أسبوع داخل نفق السجن، وكنا نحمل الجثث في ساعات الصباح الباكر من الشبك لوضعها في السيارات المغلقة ونضعها على البطانية قبل وضعها في السيارة.

نظرت إلى البطانية التي نحمل عليها الجثث، ظننت أن داخل البطانية خمس جثث، ولكن تفاجأت حين وجدت جثة رجل واحد منتفخ لدرجة أن اللباس الذي على جسده قد تمزق، وكان قد مضى على وفاة هذا الرجل نحو أسبوع وهو ميت داخل النفق.

وكانت السيارات المغلقة قبل أن تأتي إلى "الفرع 227" تمر على أفرع قبله لانتشال الجثث من باقي الأفرع حسب الدور، وبعد الانتهاء من تحميل الجثث تنطلق السيارات إلى مدينة القطيفة لتدفن الجثث هناك في مقبرة جماعية.

وذات يوم وضعوا الجثث داخل الشبك، وكان هناك حراس ومعهم طبيب وهو أصلًا "جزار" وليس بطبيب مع سائق سيارة، كانوا واقفين وينظرون إلى الجثث كيف توضع في السيارات المغلقة، ونحن بدورنا كنا نقوم بوضع الجثث، فوق بعضها، سمعت الدكتور يتحدث مع ضابط الفرع يسأله: هل ترى تلك الجثة التي تحت في الزاوية على اليمين؟ هذه الجثة أخرجناها من "الفرع 215" وهو على قيد الحياة، وضعنا جثة الرجل في السيارة بين الجثث ووضعنا الجثث عليه وبعدها مات. كان فرع المنطقة في المدينة حافلًا بالجرائم، حيث وصل عدد الجثث خلال اثني عشر يومًا إلى ثلاثمئة جثة.

ما زلت أذكر أنه كان داخل السجن شخص من أثرياء مدينة حمص من "عائلة الصوراني"، وكان هذا الشاب متعبًا بشدّة ولا أحد يستطيع الاقتراب منه، اقتربت وسألته: ماذا تريد؟ فقال: أريد أن أشرب ماء. وكان يصرخ ويقول: أريد ماء. طلبت من شخص سجين مثلنا وهو رئيس "قاووش" أن يعطيني عبوة ماء، لكنه رفض، فأخبرته أن الرجل سوف يموت، ويريد أن يشرب، فرفض أيضًا. جلست إلى جانب الشاب وصرت أتكلم معه وأخفف عنه وأشجعه، بعدها دخل "الطبيب الجزار"، فأخذته نحو الطبيب بعد أن استند إلى كتفي ووقفت عنده فسألني: ماذا تريد؟ أخبرته أن هذا الشاب مريض وأنه سوف يموت، نظر إلي الطبيب وقال لي: اذهب وضعْه في الزاوية؛ لكيلا أجعلك مثله. وضربني بقدمه أنا والشاب، وكنا نقف على طرف الدرج فوقعنا على الأرض، حملت الشاب وعدت إلى مكاني، جلست جانبه، وفي اليوم الثاني توفي.

كان اعتقالي في هذا الفرع في فترة الشتاء 14/ 12 /2013، بعدها تحولت إلى "فرع المنطقة" في المدينة، وكان الثلج يهطل وقتها. اقتادونا بالباصات، وعندما وصلت إلى الفرع كنت متجمدًا من شدة البرد، وضعونا في مهاجع،

وبعدها فتحوا علينا تهوية مركزية في الساعة 12 منتصف الليل ورشوا علينا الماء البارد، وعندما استيقظنا في الصباح وجدنا عددًا من المساجين قد تجمدوا وماتوا من البرد.

كانت فترة بقائي في "الفرع ٢٢٧" مدة اثني عشر يومًا. وفي نحو الساعة التاسعة صباحًا، جاء مساعدون ومعهم أوراق من أجل نقلنا إلى فرع آخر، لم نكن نعلم إلى أين سنُنقَل، وقفنا وصار المساعد يذيع الأسماء، وكان اسمي موجودًا في قائمة الأوراق، وعندما نادى المساعد باسمي توجهت إليه، وكان معي مجموعة بينهم أناس كبار في السن وبعد أن اكتمل العدد أخبرنا المساعد أنه خلال ربع ساعة سوف يعود، بعد ربع ساعة جاء المساعد، ومعه كلبشات، وتم وضع الكلبشات في أيدينا وتعصيب أعيننا وصعدوا بنا إلى الباصات.

انطلقت بنا الباصات إلى "فرع كفر سوسة" وكانت المسافة قريبة، وعندما وصلنا فكوا العصبات عن أعيننا وبقينا مقيّدين، وبعد نصف ساعة جاء عسكري وقال: هذا الدرج تنزلون عليه مثل الرصاص، لا أريد أن أرى شخصًا يمشي. ركضنا مثل الرصاص رغم أننا غير قادرين على المشي أو الوقوف على أقدامنا ونزلنا أول درج وثاني درج فوصلنا إلى "قبو تحت الأرض" وكان هناك ساحة مغطاة كلها بالدماء، لا تستطيع أن تلمح بلاط الساحة من الدماء التي على الأرض، كان اسمها "ساحة الدم" وكان هناك عساكر في كل أنحاء الساحة ينتظروننا.

تفنن بالتعذيب في ساحة الدم التي كانت ملطخة بدماء المعتقلين، ورائحة الدم والموت تفوح في كل مكان وزاوية، إما أن تموت في ساحة الدم أو تنجو، وحينها يكون قد كُتِبَ لك عمر جديد.

ستة أشخاص ماتوا في فترة الاستقبال في ساحة الدم التي لا يتجاوز طولها سبعة أمتار، هي مسلخ بكل معنى الكلمة. معتقلون مثلنا تحولوا إلى جلادين بأمر من السجان ليكونوا مشتركين في الجرم نفسه يُقال لهم "شاويش"، ضربهم كان حتى الموت، وتعذيب على الكرسي الألماني لكسر العمود الفقري وجلد بالأخضر الإبراهيمي وتعذيب في "بلاو" مملوء بالماء

حتى نغرق داخله.

أدخلونا إلى غرف المهاجع بالجماعيات، كنا عراة. بقيت داخل غرفة المهجع عشرة أيام، ولم يتكلم معي أي شخص خلال هذه المدة، بعد عشرة أيام بدأ التحقيق معي. أول جلسة في التحقيق كانت في الساعة الخامسة صباحًا واستمرت إلى الساعة السابعة صباحًا، أثناء التحقيق أخبرني المحقق أن الضبط الذي قدمت به من مدينة درعا غير معترف عليه، ثم قال لي: هذا الضبط انقعه أنت وفرع درعا. وبعدها قام بتمزيق الضبط وصاح على اثنين، أحدهما يدعى "وسيم النمس" من ريف دمشق، وشاب اسمه "خلف" من الرقة، وكانا معروفَين في سنة ٢٠١٣ على مستوى فرع المنطقة بإجرامهما، وهما معتقلان مثلنا، ولكن السجان وضعهما شاويشين على الفرع مهمتهما أن يقوما بتصفية المساجين. نظر المحقق إلى وسيم وخلف، وقال لهما: ضعا العصبة على عينيه والكلبشة في يديه، وبعدها علّقاه واشبحاه. ففعلا مثلما أمرهما المحقق، شبحاني على الحائط، ثمّ انهالا علي بالضرب المبرح على كل مكان من أنحاء جسدي بواسطة الأخضر الإبراهيمي، بعدها نظر إلي المحقق وقال لهما: هذا لن نستفيد منه في شيء لا شبح ولا غيره، أنزلاه. هنا قاما بإنزالي، وبعد ساعتين قال لهما المحقق: أحضرا "الكرسي الألماني". فقاما بإحضاره ووضعاني عليه وقاما بوضع كلبشة في قدمي وكلبشة في يدي ووضعوا حلقة بيدي وحلقة في قدمي، هنا أصبحت مثل شكل الخروف عندما يقومون بتعليقه على الحديدة، ولكن بالعكس الأيدي وراء ظهري والقدمين وراء ظهري، وبدأا بتعذيبي، كانت أكثر وسيلة للضغط هي الكرسي الألماني، أحسست أنني من شدة العذاب سوف أموت، ولكنني لم أعترف. قال لهما المحقق: من الواضح أنه عنيد ولن يعترف بسهولة.

قال المحقق لوسيم وخلف: املأا "البلاو" بالماء، وكان موجودًا في المطبخ لرمي الأوساخ فيه، هنا ملأاه بالماء، وكنت مقيّدًا من قدميّ ويديّ، وكنت مثل الفروج لا أستطيع الحركة، فحملاني وألقياني في قلب "البلاو" لكنني من حلاوة الروح وقعت على الأرض أنا و"البلاو" وانسكبت المياه، هنا قامت القيامة في الفرع، ولم يبقَ شاويش أو سجان إلا وانهال عليّ بالضرب، قال المحقق: هذا لن ينفعه ذلك. قال لي: الآن سترى ماذا سأفعل بك. طلب منهم أن يملؤوا "البلاو" مرة أخرى بالماء وأنا على مقربة منه، كنت

أشاهد كيف ستكون طريقة موتي، قاموا بعدها برميي في "البلاو" وصعد فوقي الشاويشان وسيم وخلف، وبدأا يدوسان علي، هنا أحسست أنني فقدت الوعي، سحبني المحقق وقال: هل ستعترف؟ أخبرته بأني أريد أن أعترف، فقال لي: أنت عيني. أخبرته أنني كنت أحمل مسدسًا مع مجموعة من الشباب، لكنّ ذلك لم يعجبه، وعاد وألقاني في الماء، وأعادوا العملية نفسها. أحسست أن روحي سوف تخرج من جسدي وكنت سأفارق الحياة، هنا سحبني من "البلاو" وسألني هل تريد أن تعترف؟ قلت له: كان معي "رشاش ٢٥٠". قال لي: لا يوجد رشاش كهذا. وقام مرة ثالثة وألقاني في الماء، فأخبرته أنه كانت معي بارودة روسية وأربعة مخازن بالبارودة وقنبلة. قال لي: الآن أنت عيني، ولكن ما نوع البارودة الروسية؟ قلت له: بارودة روسية عادية. قال لي: ما هو رقمها؟ فأخبرته أني لا أعرف، بعدها قام برميي آخر مرة في الماء ففقدت الوعي نهائيًّا، وبعد قرابة ساعة صحوت فوجدت نفسي في الحمامات بين الجثث. صرت أسعل وتخرج من فمي أوساخ، عندها وسيم وخلف رأياني وأخذا يناديان على المحقق: يا سيدي يا سيدي هذا على قيد الحياة. كنت أسمع وأرى مثل غباشة أمامي، جاء المحقق وقال لهم: مدوا خرطوم المياه وامسحوا وجهه. ثم قال لي: والله نجوت من الموت، وضعناك بين الجثث ثم نرجع فنجدك على قيد الحياة. كنت أسمع فحسب ولا أستطيع أن أتكلم أو أرد عليه، قال لهم: جرّوه. فجرّوني إلى الكردور، وقف المحقق ونظر إلي وقال لهم: اسحبوه وارموه في الجماعية. أثناء ذلك قال لي: توقف، لي موعد معك بعد خمسة عشر يومًا، والآن لن أتكلم معك بأي كلمة. فماذا ينتظر أبو يزن بعد خمسة عشر يومًا؟ وكيف سيكون حاله بعد كل محاولات المحقق معه من وسائل التعذيب التي باءت جميعها بالفشل.

أربعة أشهر ونصف قضيتها في "سجن كفر سوسة" قبل نقلي إلى الفرع الذي كل من ذهب إليه لم يخرج منه. قضيت خمسة عشر يومًا منها وأنا واقف على قدميّ، وكنت مكبل اليدين والقدمين ووجهي إلى الحائط، حيث قال المحقق للشاويشين وسيم وخلف: هذا ممنوع أن يجلس لخمسة عشر يومًا إلى وقت التحقيق، يجب أن ينام وهو واقف ويأكل هو واقف، إذا رأيته قاعدًا على الأرض أو سمعت أنه قعد فسأقوم بتصفيتكما.

كان معي أربعة أشخاص واقفين في المهجع نفسه، وعندما كان ينتهي وسيم وخلف من عملهما خارج المهجع يدخلان إلينا، ومع كل واحد منهما كبل لضربنا، كانت مهمتهما الحراسة وضبط المهجع، كنت أتناول طعامي وشرابي وأنا واقف، وكنت أنتظر الساعة الرابعة فجرًا حتى يناما، حيث كانا ينامان معنا في المهجع نفسه، بعدها أنام، وقبل أن يستيقظا كنت أستيقظ، كانا يستيقظان في الساعة السابعة صباحًا، وهنا أكون قد استيقظت في الساعة الخامسة والنصف، كانت أكثر فترة نمت فيها بحدود الساعتين، وفي كثير من الأوقات كانا يجداننا نائمين من شدة التعب، فينهالان علينا بالضرب لنستيقظ على الأكبال وهي تنهال على رؤوسنا، كنا ننام ونحن جالسون، بقيت على هذه الحال مدة خمسة عشر يومًا.

وبعدها طلبني المحقق إلى غرفة التحقيق وقال: ستعترف وأنت تلعب وتضحك. قال للعساكر: أحضروا "الكرسي الألماني". فأحضروه، أخبرته بأني سوف أعترف وأتكلم مثلما يريد، هنا كنت قد يئست؛ لأنني إذا لم أتكلم وأعترف سوف ينفذ كل شيء يريده، فسألته: ماذا تريد أن أتكلم؟ فقال: على الكرسي تتكلم بشكل أفضل. أحضَروا الكرسي، وقال لوسيم وخلف: متى آمركما بكسر العمود الفقري فاكسراه. قلت له: سجل بالضبط ما تريد وأنا أبصم لك. في النهاية أحضر سبع أوراق وبصّمني على الأوراق التي لا أعرف ما مضمونها، بعدها وضعوني في غرفة المهجع.

بعد فترة طلبني المحقق إلى غرفة التحقيق مرة ثانية فتفاجأت. ذهبت إلى المحقق فقال لي: لن أضربك، هناك شخص سوف أسألك عنه، ألقي القبض عليه ومعه مبلغ مالي قدره 25 ألف دولار، والرجل يقول هذا المبلغ المالي سوف يوصله إليك، هل كلام الرجل صحيح؟ قلت له: من أين سوف يحضر لي هذا المبلغ؟ ولماذا سوف يحضر لي هذا المبلغ الكبير؟ قال المحقق: لا أعرف، الرجل يقول إن المبلغ لك (٢٥ ألف دولار)، والرجل موجود هنا في السجن، وسأواجهك به. قلت له: واجهني به. وبعد عدة أيام طلبني المحقق إلى غرفة التحقيق وأحضر الرجل والتقيت به، وقفنا أنا والرجل وجهًا لوجه، وكنا معصوبي الأعين. قال المحقق: ارفع العصبة عن عينيك وانظر إلى الشاب الذي أمامك، هل تعرفه؟ أخبرته بأنه يصعب عليّ أن أتعرف إليه وهو معصوب العينين، فأمر المحقق الرجل الذي يقف أمامي

أن يرفع العصبة عن عينيه، وأصبحنا ننظر إلى بعضنا. أنكرت أني أعرفه وهو أنكر ذلك. بعدها سجل المحقق القضية بالضبط، واكتفى بالتعذيب، وأضيفت هذه الحادثة إلى الضبط وبصمت على ورقة جديدة.

أثناء وجودي في هذا الفرع كان هناك يوميًّا سبع جثث تخرج من غرفة المهجع، أو تبقى في كثير من الأحيان مدة يومين أو أكثر معنا؛ حيث يضطر المساجين أحيانًا أن يناموا بجانب الجثث التي توضع بجانب الحائط. كنا في المهجع ٩٥ سجينًا في غرفة لا تتجاوز مساحتها خمسة أمتار مربعة، ومن كثرة الجثث كنا نضعها في الكردور، بعدها تأتي السيارات المغلقة لنقلها.

بعد أن انتهيت من موضوع الـ ٢٥ ألف دولار، بصمني المحقق على ورقة تعهدت فيها أن أبقى واقفًا على قدميّ في غرفة المهجع مدة طويلة؛ حيث بقيت واقفًا تسعة وخمسين يومًا، كنت أرتاح ساعتين فقط وآكل وأشرب وأنام واقفًا. بقيت في هذا الفرع مدة أربعة أشهر ونصف.

وفي الصباح الباكر في تمام الساعة السادسة، جاء المساعد ليخبرنا أنه سوف يخلي سبيلنا، وكل سجين يذكر اسمه يخرج إلى الكردور. وبعدها بدأ يذيع الأسماء، وكان اسمي من بين 38 سجينًا. أخرجونا إلى الكردور، وكنت غير مصدق أني سوف أخرج "إخلاء سبيل" وأتخلص من هذا السجن وأعود إلى عائلتي وأطفالي. وبعدها قام المحقق بإعطائنا درسًا في "القومية والوطنية" ثم قاموا بوضع الكلبشات في أيدينا وأخرجونا بالسيارات إلى "فرع المنطقة" في المدينة، وسلمونا الهويات والجوالات ومبلغًا ماليًّا، وأعطوا كل شخص بطانية. تكلمت مع شاب إلى جانبي وأخبرته بأني غير مرتاح لهذه البطانية، ولكن أخبرونا أن هذه البطانيات سنحتاجها إذا نمنا داخل السيارات كي لا نشعر بالبرد. سألت الشاب الذي بجانبي: هل هم خائفون علينا بعد كل ذلك التعذيب؟ أنا غير مقتنع بكلامهم. وبعد نصف ساعة انطلق بنا الباص وكانت النوافذ مغلقة، فتحت الستارة وجدت الباص يسير على "طريق لبنان _ الصبورة".

مدرسة المخابرات العسكرية "فرع الموت"

ضرب حتى الموت بأكبال طولها متران، وقياسها من شدة الألم كأنه ألف، كنا نشعر وكأن العمود الفقري انتُزِع منّا. حقد مدفون في قلوبهم تجاهنا، وضرب بكل الأدوات الحادة المميتة. سبعة أشخاص ماتوا في أول لحظات الاستقبال في الفرع الجديد "فرع المخابرات العسكرية"، ضرب بالسكاكين للمعتقلين في منتصف الليل في الغرفة التي لا نستطيع الحركة فيها من شدة ظلمتها، وحين يكون هناك ضوء نرى الجثث المنتشرة في كل المهجع، مناظر تقشعر لها الأبدان، تصفية بالجملة من دون سؤال للمعتقل، ننام على أمل أن نتناول الطعام في الصباح، ولكن لا نجد كسرة خبز أو نقطة ماء تروي عطشنا. مات عشرات المساجين، فقدوا حياتهم بسبب الجوع والعطش، وغدونا كأننا هياكل عظمية، أصبحنا عظمًا وجلدًا وكأننا مومياوات.

مدرسة المخابرات العسكرية (مدرسة ميسلون)[11]

أبو يزن يروي تفاصيل ذهابه إلى الفرع الذي لم يكن يعرفه بعد، وأين سيقف بهم الباص، يقول أبو يزن: فتحت جزءًا من الستارة التي تغطي نافذة الباص لأشاهد إلى أين نحن ذاهبون، وكان هناك دمار كثير؛ أبنية مدمرة، وأشجار مقتلعة على طول الطريق.

وصلنا إلى الباب الرئيسي لـ "مدرسة المخابرات العسكرية"،التي تقع في منطقة اسمها «الديماس» والتي يتخرج منها ضباط «الدورات الجديدة»، وكنا مئتي سجين. فتح الحراس الباب الرئيسي للمدرسة وفتحوا باب الباصات، وطُوِّق الباص من قبل أصحاب "الدورات الجديدة"، تجمعوا حولنا، كان منظرهم مرعبًا، وكانوا يهتفون بشعارات لبيت الأسد والقصاص من الإرهابيين. وبمجرد رؤية هؤلاء، وكان عددهم نحو 1500 متدرب، حين

١١- مدرسة المخابرات العسكرية في ميسلون في ريف دمشق، والتي تحمل الرقم ٢٥٩، وتقوم بمهمات تدريب وتخريج عناصر ما يسمى عناصر "مكافحة الإرهاب" و"المهام الخاصة"، فضلًا عن تأهيل المكلفين بحماية الشخصيات المهمة وحراسة المواكب. وقد أصبحت تلك المدرسة بعد انطلاق الثورة السورية مركزًا لتدريب الميليشيات الأجنبية المساندة لسلطة الأسد في سورية. وبحسب شهادات ناجين من الاعتقال وتحقيقات صحفية عدة فإن مدرسة ميسلون كان فيها مراكز احتجاز مورس فيها على المعتقلين أبشع أنواع التعذيب الجسدي والنفسي وصولًا إلى القتل تعذيبًا وجوعًا.

طوقوا الباصات، إذا كان ضغط دم الشخص منا طبيعيًّا، فسيصبح صفرًا بعدما شاهدنا هؤلاء، وصرنا لا نستطيع التكلم من شدة الخوف الذي انتابنا من منظرهم المرعب وشعاراتهم وهم يتوعدون بالقصاص منا.

وكان هناك نحو ٣٠ - 40 مساعدًا صعدوا إلى الباصات، وكنا مكبلي اليدين، فتحوا ستائر النافذة وقالوا لنا انزلوا بسرعة ألف، وأشاروا إلى الحائط، واجلسوا جاثين ووجوهكم إلى الحائط واجلسوا إلى جانب بعضكم بعضًا.

نزلنا واصطفّ مئتا سجين جانب الحائط، بعدها جاء مساعد من اليمين وآخر من اليسار، ومع كل واحد كبل، طوله متران وقياسه وكأنه ألف، وانهالوا علينا بالضرب، من شدة الألم أحسست وكأن العمود الفقري خرج من صدري.

بعدها طلبوا منا أن نتوزع على مجموعات؛ كل مجموعة ثلاثون سجينًا، ونركض مسافة مئة متر من عند الحائط إلى أمام المبنى، وكان شكل المبنى مثل علبة الكبريت، وكان أمامه رجال ضخام الجسم منظرهم مرعب، وكل شخص معه أكبال وعصي ثخينة وقطعة حديد، وكل شخص نمرّ من أمامه ينهال علينا بالضرب.

وصلنا إلى الباب نريد أن ندخل حتى نتخلص من شدة التعذيب، بعدها دخلنا من باب شكله مثل المتاهة، وكانت الممرات ضيقة ومليئة بعناصر الأمن، وكل واحد معه قطعة سلاح.

وصلنا أخيراً إلى غرفة وضعونا فيها، طولها ستة عشر متراً، وعرضها سبعة أمتار، وفيها نحو الخمسين كاميرا مراقبة في السقف.

دخلنا إلى الغرفة، وضعونا فيها ربع ساعة، بعدها جاء عسكري وفك الكلبشات للجميع، وخرج وغاب خمس دقائق، ثم عاد وطلب منا أن نخرج كل خمسة معًا من هذا الباب، بعدها نقف بجانب الحائط ووجهنا إليه ونرفع أيدينا.

خرجنا كل خمسة معًا، وجاء دوري، خرجت ومعي أربعة مساجين،

ركضت ووضعت وجهي على الحائط ورفعت يديّ، كان هناك جلاد معه كبل، انهال علينا بالضرب، وبعد الجلد والضرب خلعنا كل ملابسنا، بعدها دخلنا إلى الغرفة التي سوف ننام فيها. اكتمل عددنا داخل الغرفة وكنا مئتي شخص، وكنا من دون طعام وشراب.

تركونا نصف ساعة في غرفة المهجع، بعدها قالوا لنا: اخرجوا كل خمسة معًا. كان الذين يخرجون يعودون إما أيديهم مكسورة، وإما أسنانهم أو ظهورهم، كنا لا نعرف ماذا يحصل في الخارج، ولا أحد منا يستطيع أن يسأل الذي بجانبه.

جاء دوري، خرجت وكانت هناك طاولة، ووقفت أمام العسكري فوضع على يدي لصقة وسجل عليها رقمي (133)، وسجل على الدفتر الرقم، بعدها سألني عن اسمي، فقلت له اسمي، فقال لي: من أي منطقة؟ أخبرته أني من ريف حماة. مجرد سماعه "ريف حماة" جن جنونه وصار يصرخ للعناصر، ويقول لهم: هذا من "ريف حماة"، بعدها أدخلوني إلى غرفة منفردة وانهالوا عليّ بالضرب، خرجت من الغرفة زحفًا ودخلت إلى غرفة المهجع.

سجلوا كل المعتقلين، بعدها عينوا علينا شاويشين، هما "يحيى غليون" من النبك و"أبو طارق" من نهر عيشة، كانا سجينين مثلنا، وضعهم السجانة علينا، ووضعوا ثمانية أشخاص آخرين سخرة، وكان هذان الشاويشان يضرباننا حتى الموت.

كنا كلنا من دون طعام عندما جئنا إلى "فرع المخابرات العسكرية"، وفي الساعة الخامسة مساءً كان المهجع مظلمًا لا نستطيع رؤية شيء، وهنا كل شخص وضع رأسه ونام. نمنا أول ليلة واستيقظنا في الصباح على أمل أننا سوف نتناول الطعام. نسينا العذاب، نريد أن نأكل ونشرب فحسب، انتظرنا كثيراً ولم يأتِ أحد، وعندما حل المساء في الساعة الخامسة جاء عسكري وفتح فتحة صغيرة في الباب، نظر إلينا وصار يتكلم ويوجه إلينا كلامًا بذيئًا، وقال لنا: ليس لكم هنا مخصصات طعام في هذا السجن، وأغلق الفتحة الصغيرة التي في الباب (الطاقة)، وغادر.

في اليوم الثاني أعاد العملية نفسها، حينها بقينا عشرة أيام من دون طعام، وكنا من دون طعام قبلها بيوم، أي أحد عشر يومًا، كنا نحمل جثث المساجين الذين ماتوا من الجوع ونصفّها فوق بعضها ونضعها عند الباب، ويأتون في الصباح لأخذها. أحد عشر يومًا من دون طعام توفي خلال هذه المدة ١٤٠ معتقلًا، بعد هذه المدة وفي الساعة الخامسة مساءً فتحوا الباب وأدخلوا طعامًا، كانت وجوهنا نحو الحائط خرجوا وأغلقوا الباب، نحن في هذه اللحظات نسينا كل شيء نريد أن نأكل فحسب.

بعدها قام الشاويشان والسخرة بتوزيع الطعام، وأعطوا كل شخص قطعة خبز صغيرة لا تكفي لإطعام طفل صغير. كانت هذه الخبزة هي مخصصاتنا كل النهار، فأكلناها ونمنا. في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فُتح باب المهجع ودخل علينا أشخاص، كان المهجع مظلمًا فلم نستطِع مشاهدة شيء ولم نستطع الحركة. بقيت في مكاني، وكنت أسمع صوت صراخ وضرب، انتظرنا حتى الصباح لنعرف. استيقظنا في الصباح الباكر والكل كان متفاجئًا من هول المناظر التي شاهدنا؛ فقد كانت الجثث منتشرة في غرفة المهجع كلها.

النجاة من الموت بإعجوبة

هياكل عظمية، لا يوجد سوى العظم والجلد الذي يكسو أجساد السجناء، جوع وعطش، حتى الأمعاء تتمنى أن تأكل بعضها داخل جسد المعتقل لإسكات جوعها، كنا نتمنى رشفة ماء لنروي عطشنا. جثث منتشرة في كل مكان حتى في الساحات، من بين مئتي سجين داخل مهجع في "مدرسة المخابرات العسكرية" نجا ثلاثة عشر سجينًا، وكنت أنا من بينهم. خلال شهر ونصف مات ١٨٧ شخصًا جوعًا وعطشًا وتعذيبًا.

يتابع أبو يزن قصة "مدرسة المخابرات العسكرية" فيقول: عندما استيقظنا في الساعة السادسة صباحًا وجدنا الجثث منتشرة في كل مكان، كان المنظر مرعبًا، تقشعر منه الأبدان. قمنا بحمل الجثث ووضعها عند باب المهجع، بعدها جاء الشاويشان "يحيى غليون" و"أبو طارق" وقاما بنقل الجثث خارج غرفة المهجع ووضعها في سيارات مغلقة لنقلها خارج

السجن. وقتل على يد يحيى غليون وأبي طارق خمسة عشر شخصًا؛ فقد كانا يضربان السجين على رأسه حتى الموت.

خرجت من هذا الفرع وأنا غير مصدق، وكان اسمي من بين الأسماء التي أذيعت لأغادر هذا السجن، بعدها وضعونا في سيارة بعد أن وضعوا العصبة على عينيّ والكلبشات في يديّ وقدميّ، وبعد أن انطلقت السيارة بنا خارج السجن قلت: إذا أعدموني ليس عندي مشكلة، المهم أنني خرجت من "مدرسة المخابرات العسكرية".

وصلنا إلى "فرع المنطقة" في المدينة، قال لنا عسكري: سوف تقطعون هذا الشارع ركضًا. وكنت لا أستطيع الحركة وقتها؛ فقد بقيت مدة شهرٍ ونصف على قطعة خبز ورشفة ماء. بعدها قام العسكري بضربنا حتى وصلنا إلى باب الفرع. خرج الضابط من الفرع ونظر إلينا، وقد صُدِم عندما شاهدنا، فقال للعسكري: ما هذا؟ قال له: سيدي هؤلاء مساجين جئنا بهم من مدرسة المخابرات العسكرية. فأجابه الضابط: لدي أعداد كبيرة، ولن أستقبلهم، هؤلاء ميتون، ماذا سأفعل بهم؟ فقال له العسكري: سيدي الليلة فقط، وغدًا صباحًا ننقلهم إلى "فرع المنطقة" في الريف. قال له الضابط: لن أستقبلهم، هؤلاء مومياوات، وليسوا بشرًا. ورفض أن يدخلنا.

بعدها ركبنا السيارة، واقتادونا إلى "فرع المنطقة" في الريف. نزلنا من السيارة، لم يتكلم معنا أحد ولا كلمة، وقفنا ساعة ونصف الساعة، ثم وضعونا كل أربعة أشخاص في غرفة منفردة وأغلقوا الباب علينا، وبعد ساعتين طلبني المحقق إلى "غرفة التحقيق"، ذهبت إليه، لأول مرة كنت أشاهده وجهًا لوجه! نظرت إليه وجدته يضحك، قال لي: ماذا يا أبو يزن؟ ما زلتَ على قيد الحياة؟ أنا هنا لم أجبه بقيت صامتًا، فقال لي: أرسلتك إلى مدرسة المخابرات العسكرية التي لا ينجو منها أحد ورجعت حيًّا؟ قلت له: من لديه بقية من حياة لن تقتله شِدّة. قال لي: ما هذه اللحية؟ بعدها صاح إلى الشاويشين فحلقوا لحيتي. وقال لي: كُتِب لك عمر جديد، لا ترني وجهك نهائيًّا. قلت له: إن شاء الله.

عدت إلى غرفة المنفردة، وبقيت فيها شهرًا، وكل من شاهدني في الفرع

من السجناء بكى على وضعي ومنظري الذي كان مثل المومياء، صُدِم الجميع من شكلي فقد كنت هيكلًا عظميًّا.

بقيت في "فرع المنطقة" بالريف شهرًا ونصفَ الشهر، وفي الصباح الباكر أخبرونا أنه تم إخلاء سبيلنا. أعطونا الأمانات وصعدنا إلى الباص نحو النيابة العسكرية، هناك أخذوا منا الأمانات ووضعونا في مهجع بقينا فيه ساعة، بعدها سجلوا أسماءنا وقيّدونا وغطّوا أعيننا ووضعونا في سيارة لا نعرف إلى أين سوف يقتادوننا. وصلت بنا السيارة إلى "الشرطة العسكرية" في مدينة القابون، بقيت هناك خمسة أيام، بعدها تم تحويلنا إلى "سجن عدرا المدني".

الخروج إلى الحرية

الوقوف لساعات طويلة في المحاكم على أمل أن ينطق القاضي بالحكم، إما الخروج إلى الحرية، وإما قضاء سنوات عمرنا في زنزانات النظام، أو دفع مبالغ مالية كبيرة لقاء الخروج، والذي ليس لديه مال يبقى في سجون الجلاد منسيًّا.

وقد أقدم بعض المساجين على شنق أنفسهم حتى يرتاحوا من معاناتهم في السجن. حتى إن هناك شابًّا اسمه "زكريا حمامة" من مدينة حلب، قام بتعليق مشنقة له داخل الحمام وشنق نفسه حتى الموت من دون أن يشعر به أحد، بعدها أصبح السجّانون يخافون من تكرار هذه الحادثة.

يتابع أبو يزن فيقول: أربع سنوات ونصف قضيتها في "سجن عدرا"، لم يكن هناك أي نوع من التعذيب داخله؛ لأنه سجن مدني، ولكن المعيشة داخله صعبة من ناحية الطعام والشراب والضغط النفسي، كنا مئة شخص في غرفة السجن.

بقيت أول ما دخلت "سجن عدرا" قرابة شهر من دون محاكمة، وبعدها ذهبت إلى محكمة الإرهاب. دخلت إلى القاضية "باسمة المهدي"، حققت معي بقضايا عن الجرائم المتهم بها، فأنكرت كل شيء، قالت لي:

أنت حاليًّا موقوف. عدت إلى "سجن عدرا" وبقيت موقوفًا شهرًا، وبعد شهر حولتني إلى "محكمة الجنايات" وبعدها حولتني إلى "محكمة جنايات الإرهاب"، وبعد ثمانية أشهر كانت أول جلسة لي بعدها؛ حيث كنت أنزل إلى المحكمة كل ثمانية أو تسعة أشهر، والقاضي يؤجل، وفي كل مرة أخضع للمحاكمة وأقوم بحضور جلسة يؤجل القاضي المحاكمة.

كنت متهمًا بارتكاب أعمال إرهابية، وضرب حواجز أمنية، وخطف عدد من الضباط لقوى الأمن السياسي بهدف التفاوض مع الدولة عليهم، وتمويل أعمال الإرهابيين عن طريق أجهزة دولية، والانضمام إلى عدة منظمات إرهابية وتدريبها على حمل السلاح واستخدامه ضد الدولة، والكتم الجنائي عن جميع الجرائم.

أربع سنوات ونصف داخل السجن، هنا يئست، فكل فترة نخرج إلى المحكمة من الساعة الخامسة صباحًا، ونحن مكبلو الأيدي ومعصوبو الأعين، وعندما نصل إلى المحكمة كان العساكر يجمعوننا ويضربوننا بالعصي الكهربائية، وكنا نبقى من دون طعام وشراب حتى الساعة التاسعة مساءً، وكنت أعود وأنا منهك تمامًا.

وصلت إلى مرحلة أني أريد أن أعرف حكمي فحسب، فاتصلت بالمحامي، وكانت آخر مرة نزلت إلى المحكمة وقلت للقاضي: احكمني فقد تعبت. وحينها قال لي القاضي: كتابك الذي فيه "جرم ضرب الحواجز من غرفة العمليات" جاء، وكتاب "الخطف" جاء، ووعد مني الجلسة القادمة سوف أحكمك، وبعد مدة جاء موعد الجلسة فانتظرت أن يذيعوا اسمي، ولكن اسمي لم يكن موجودًا في قائمة الأسماء، فاتصلت بالمحامي وأخبرته، فقال لي إن القاضي أجلني أربعة أشهر، لكنني حينها نفد صبري، ولم أعد أستطيع الانتظار ولا دقيقة واحدة.

أخبرت أصدقائي بأني أريد دفع مبلغ من المال من أجل أن أُحاكَم، وكان يوجد داخل السجن اتصالات، وكان هناك محامٍ ماهر أخرج والد رفيقي من السجن، فاتصل رفيقي بوالده وأخبره قصتي، فقال له والده: إن المحامي يريد أن يتكلم مع أبي يزن، فتكلمت مع المحامي، قال لي: سمعت

أنك تريد أن تحاكم مقابل دفع المال؟ فأجبته: نعم، حبذا لو يتم ذلك. فطلب مني مبلغَ مليوني ليرة سورية، لكنني رفضت الدفع وعرضت عليه مبلغ مليون ونصف فقط. فقال لي: انتظرني يومًا واحدًا، وبعدها سيكون أخي عندك وبحوزته بطاقة زيارة من المحكمة.

أشرقت شمس الأحد الغائبة عنا نحن المساجين، وحل الصباح على السجانين الذين يجددون طاقتهم ليوم تعذيب جديد، وإذ بالسجان ينادي باسمي بصوته الذي أبغضه، وأعطاني ورقة كُتب فيها "زيارة"، كدت أطير من الفرح، وبدأ الأمل يدخل إلى قلبي، نزلت إلى غرفة الزيارات وبالفعل تحقق ما قاله المحامي، إنه أخو المحامي ينتظرني، فعرفني بنفسه وأخبرني أنّ أخاه أرسله إليّ، وأنه يحمل منه خبراً سيفرحني، فقد اطّلع على إضبارتي وباستطاعته إخراجي من السجن خلال مدة أقصاها ثلاثة أيام، وليس تقديمي للمحاكمة فقط، مقابل مبلغ قدره اثنا عشر ألف دولار، شعرت بأن الأمل يكبر ولم أكترث للمبلغ الكبير ووافقت من دون تردد لكنني اشترطت ألا يتم الدفع إلا بعد خروجي من السجن.

بعدها اتصل بي المحامي وقال لي: يوم الاثنين ستكون خارج السجن، لكنني لم أقتنع أنني خلال فترة زمنية قصيرة سأكون خارج السجن. وفي اليوم التالي اتصل المحامي برفيقي وقال: ليتكلم أبو يزن معي. اتصلت به في المساء، قال لي: ألف مبروك. لكنني لم أصدق فجلست على الأرض ولم أعد أستطيع الوقوف، وقال لي: بعد نصف ساعة ستسمع اسمك، فجهز حقيبتك لتذهب إلى أهلك. بعد قليل جاء شخص وقال لي: مبارك إخلاء سبيلك. لكنني بقيت على أعصابي حتى أذيع اسمي إخلاء سبيل، وجاء عسكري ومعه ورقة فيها اسمي "إخلاء سبيل"، وقعت عليها، وبعدها ودعت الشباب الذين معي في السجن.

وفي الصباح أخذوني إلى "الجنائية"، نمت ليلة، وبعدها تحولت إلى "الشرطة العسكرية"، وبقيت عشرة أيام فيها، ثم خرجت من سجون النظام إلى الحرية.

وقفت على الطريق وأنا غير مصدق أنني خارج السجن، فركبت سيارة

أجرة، وصلت إلى البرامكة واتصلت بأهلي، فجاءت أمي ومعها خالتي، وذهبنا إلى بيت خالتي. وفي صباح اليوم الثاني ذهبت مع أمي لنشتري ملابس، ولكن أول حاجز أوقفني وطلبوا هويات، وكنت قد أعطيت أمي ورقة عليها رقم رفيقي قبل أن نخرج. أنزلوني عند الحاجز وأدخلوني إلى "غرفة الحاجز" ووضعوا عصبة على عيني والكلبشات في يديّ. كانت أمي في الخارج تبكي علي، فاتصلت أمي وأخبرت رفيقي أني تعرضت للاعتقال عند أول حاجز، فجاء رفيقي مباشرةً وسألهم عمّا يحدث، فأخبروه أني مطلوب لـ "الفرع ٢٢٧"، فقلت لهم: كنت مسجونًا خمس سنوات ومعي أوراق إخلاء سبيل. لكن "رئيس الفرع" قال لي: أنا لا أعترف بهذا الكلام، أنت مطلوب لـ "الفرع ٢٢٧". وضعوني في السيارة، وأمي ورفيقي لحقوا بي. وصلت إلى أقرب فرع، نزلت وطلبوا الأمانات. قال لي المساعد: لماذا جاؤوا بك؟ أخبرت المساعد أنني قضيت خمس سنوات في السجن وعند أول حاجز أوقفوني. وقد كان لرفيقي معارف فتمكن من مساعدتي.

وبعدها خرجت وذهبت مع رفيقي وأمي إلى منزل رفيقي وأخبرته أني أريد مغادرة البلاد.

خرجت إلى حماة؛ حيث هربني ضابط دفعت له مبلغًا ماليًّا كبيراً، وعندما وصلت إلى حماة نمت ليلةً فيها، وفي صباح اليوم الثاني تواصلت مع شخص أوصلني إلى مدينة "معرة النعمان" فبقيت شهرًا فيها، وبعدها دخلت تهريبًا إلى تركيا.



"أم مصطفى" من مواليد عام 1977، متزوجة ولديها أربعة أولاد، من سكان مدينة درعا البلد. كانت تعمل ممرضة في مشفى الأطفال التابع لمدينة درعا، وكانت أول مسعفة نسائية في مدينة درعا منذ انطلاقة الثورة السورية؛ حيث قامت بإسعاف المصابين وتضميد جراحهم وعملت مع بعض الكوادر الطبية لتأمين بعض النقاط الطبية وتوزيعها على أغلب المناطق الساخنة ضمن مناطق درعا البلد، وقامت بدورات إسعافيه وتدريبية للفئات والشرائح كافة. وكانت دائمًا على استعداد لإبقاء النقاط الطبية مستمرة في عملها، وعلى استعداد تام لأي حالة إسعاف مهما كانت. قامت بعدة نشاطات على مستوى الإمداد الطبي والإغاثي والدعم النفسي لكل المصابين. اعتقلت في تاريخ 28/ 3/ 2014 وبقيت في المعتقل لغاية 15/1/2017.

تقول "أم مصطفى": تاريخ ٢٨/ ٣/ ٢٠١٤ لن أنساه؛ كنت ذاهبة إلى مديرية الصحة لإحضار لقاحات للأطفال لتوزيعها في درعا البلد، ومخيم درعا، وطريق السد، وكان معي أمر رسمي، ولكن ذلك اليوم كان يومًا أسودَ؛ حيث استوقفني "حاجز المحكمة"، وهذا الحاجز يُعدّ الفاصل ما بين درعا البلد ودرعا المدينة. تمّ إيقافي عنوة وسحب حقيبتي الشخصية وجوالي مني، ثمّ جاءت سيارة سوداء مفيّمة فيها أربعة عناصر للأمن؛ حيث قاموا بوضع العصبة على عينيّ والكلبشات في يديّ مع عبارات بذيئة، ووضعوني

داخـل السـيارة. جلسـت بجانـب ثلاثـة عنـاصر، وأجـبروني عـلى خفـض رأسي بـين مقاعـد السـيارة إلى أن وصلـت إلى الجهـة الأمنيـة.

نزلـت مـن السـيارة واقتـادوني إلى داخـل الفـرع؛ حيـث قـام أحـد العنـاصر بـضربي عـلى رأسي وشـتمي بعبـارات قـذرة وقحـة، ثـم وضعـوني داخـل غرفـة تواليـت في قبـو قديـم.

لا أنسى تلـك المنفـردة، كنـت أقـضي كل حاجاتي ضمـن غرفة تدعـى "تواليت" والتـي كانـت تخـرج منهـا فـئران وجـرذان وعناكـب. بقيـت أربعـة أيـام منسـية داخـل هـذه الغرفـة المقرفـة، بعدهـا طلبـوني للحديـث معـي، فذهبـت إلى غرفـة التحقيـق. أراد المحقـق أن يعـرف مـن هـي "أم مصطفـى"، وأخـذ يناقشـني في أغلـب الأمـور، وقـال إن هـذا الحديـث ودي، واسـتمر الحديـث مـدة سـاعتين ونصـف، بعدهـا أعـادوني إلى الغرفـة المعتمـة فبقيـت داخلهـا شـهرين إلا خمسـة أيـام.

وذات يـوم دخـل السـجان ومسـاعد المحقـق واقتـاداني معصوبـة العينـين إلى غرفـة التحقيـق، وأمـرني المحقـق بالمكـوث عـلى الأرض ووجهـي إلى الجـدار، وأخذ يرشـقني باتهامـات عـدة، وبـدأ بـضربي بواسـطة "الأخـضر الإبراهيمـي"، ونعتنـي بالعاهـرة. قـام بوضعـي عـلى عصوَيـن وأنـا ممـددة عـلى الأرض، ورفعنـي فلقـة. كنـت أصرخ مـن شـدة الألم، لم أعـد أعـرف مـن أي جهـة يأتينـي الـضرب. وبعـد إصراري عـلى عـدم الاعـتراف أعـادوني إلى غرفـة المنفـردة، وقـال لي المحقـق: بعـد سـاعة سـوف نسـتدعيكِ إلى غرفـة التحقيـق.

التحرش بالمعتقـلات في معتقـلات النظام

أفـرع الأمـن العسـكرية في مدينـة درعـا كانـت معروفـة بإجرامهـا، كان داخلهـا كل فئـات الأعـمار حتـى الأطفـال الرضـع. غرفهـا صغـيرة لا يتجـاوز طولهـا متريـن، لا مـكان للجلـوس، وتعذيـب حتـى المـوت بواسـطة الكبـل الرباعـي والعـصي البلاسـتيكية الكهربائيـة والشـبح عـلى الأبـواب. كانـت الدمـاء تمـلأ الغـرف، ورائحـة الـدم والمـوت في كل مـكان، وأجسـاد المعتقلين والمعتقلات أشـبه بالأمـوات، كل هـذا ترافـق مـع الألفـاظ البذيئـة والعبـارات القـذرة التـي

كانـت أقـسى مـن سـياط الجـلاد توجـه إلى هـؤلاء السـجناء، وهـم في زنزانـات مظلمـة بـاردة، مغيَّبـون عـن العـالم أجمـع.

تقـول "أم مصطفـى": بعـد أن عـدت إلى غرفـة المنفـردة تمنيـت لـو أنّ الأرض تنشـقّ لتبتلعنـي، كنـت أسـمع كلـمات صعبـة وقاسـية؛ كلـمات نابيـة، لم أسـمعها طـوال حيـاتي إلا داخـل سـجون النظـام، توجـه إلي، آه مـا أقسـاها مـن كلـمات تـكاد تعـصر قلبـي ألمًـا.

فـرع الأمـن العسـكري في درعـا (حميـدة الطاهـر) كان أحقـر فـرع وأقـسى وأقـذر فـرع مـن كل الجهـات الأمنيـة في المنطقـة، بقيـت داخـل هـذا الفـرع شـهرين في غرفـة منفـردة تدعـى "تواليـت"، كنـت أسـمع أصـوات الشـباب كيـف يتعذبـون، أصواتـًا في كل أنحـاء السـجن، أنينـًا مـن شـدة التعذيـب.

في "فـرع حميـدة الطاهـر" وضعـوني في منفـردة، وهـي عبـارة عـن "تواليـت"، ولهـا بـاب خشـبي، وهنـاك بلـور مـن الأعلى فاتـح اللـون. لما دخلـت إلى المنفردة جـاء المحقـق "أبـو عـلي" وكـسر اللمبـة ومنـع الإضـاءة عنـي، وقـال: الضـوء ممنـوع. فكانـت في الليـل مظلمـة جـدًّا، ولكـن كان هنـاك ضـوء خـارج التواليـت يعكـس إنـارة خفيفـة إلى الداخـل، وفي النهـار كانـت الرؤيـة واضحـة قليـلًا، كنـت أشـاهد فـأرة صغـيرة تقـترب منـي، كنـت أفـزع منهـا في البدايـة وبعدهـا اعتـدتُ عليهـا، وأصبحـت أنظـر إليهـا وهـي تنظـر إليّ، لم أعـد أخـاف منهـا، كنـت أرمـي فتـات خبـز لهـا أحيانـًا، فتمسـك فتـات الخبـز وتنظـر إليّ وتـأكل، وأنـا أتكلـم وأبـكي.

ذات يـوم جـاء العنـاصر والمحقـق أبـو عـلي وأخرجـوني مـن التواليـت، صـار يفتّـش المـكان، وبعـد ذلـك قـام بتفتيـشي تفتيشـًا دقيقـًا، وطلـب منـي أن أخـرج جـوّالي، قلـت لـه: ليـس معـي جـوال. قـال لي: إذًا مـن تكلّمـين؟ قلـت: لا أتكلّـم مـع أحـد. فقـال لي: أنـتِ كاذبـة. فقلـت لـه: أتكلـم مـع الفـأرة. في هـذه اللحظـة ظـنّ أني جُننـت، وصـار يسـتهزئ بي ويقـول: هـذه نهايتـك، قـذرة ومجنونـة.

ولكـن الـذي لفـت انتباهـي عندمـا أخرجنـي خـارج التواليـت، وجـود آثـار دمـاء قديمـة عـلى أحـد جدرانـه. كان منظـر الجـدار مرعبـًا، هنـاك حتّـى منظـر العنـاصر والمحققـين مرعـب، كانـوا متوحّشـين لا يشـبهون البـشر بـأيّ سـمة.

ذات يوم في وقتٍ متأخر من الليل جاء أحد العناصر، وقال لي: أم مصطفى جهزي نفسك. وجاء معه المساعد، قال للعنصر: أعطِها عصبة العينين هذه. قبل أن أخرج من غرفة المنفردة كانوا يضعون العصبة على عينيّ والكلبشات في يديّ، قال المساعد للعنصر: ليس هذه العصبة، أعطِها هذه. كان وجهي على الحائط وقتها، قال له: المعلم قصد هذه العصبة. أنا لم أعرف ماذا يقصد، ولما وضع العصبة على عيني، كانت رائحتها كريهة جدًّا، شعرت باستياءٍ كبير، وعندما دخلت إلى المحقق قال للعنصر: أزِلْ العصبة عن عينيها. قال لي: انظري بماذا ربطنا عينيكِ، نظرت إلى القماشة، كانت قماشة طويلة بيضاء اللون عليها دم قديم، قلت له: لا أعرف ما هذه القماشة. قال لي: هذه من الشهيد الذي هو فطيس كان في المشفى الوطني، لقد سحبنا جثة هذا الفطيس، ورابطة القماش هذه من أجل أن أذكرك بعملك عندما كنتِ تعالجينه وتحاولين إعادته إلى الحياة، المسلح الذي كان يضرب علينا وعلى أطفالنا، هذا فطيس نحن أجهزنا عليه، فهذه القماشة إحدى ذكرياته من أجل أن تشاهدي وتعرفي، نحن قادرون على الوصول إلى كل شيء نريده، لا يهمّنا أحد نهائيًّا، وسوف تكون نهايتك مثله.

نظرت إلى القماشة، وقلت في نفسي، يا له من جبان وحقير ومتوحش، نحن في دولة أشرار، دولة وحوش مجردة من الإنسانية.

قبل ترحيلي من هذا الفرع طلبني مساعد المحقق في ساعة متأخرة من الليل، ذهبت معه إلى غرفة التحقيق وكان ثمِلًا حينها. خرج مساعد المحقّق وتركني أنا والمحقق في الغرفة، كنت خائفة، اقترب منّي وقام بخلع حجابي، بعدها أخذ يتحرش بصدري وجسدي، فقمت بدفعه بكلّ قوة فاصطدم بالجدار، هنا جُنّ جنونه، ونادى العسكري وأمره بإحضار سكين، أنا خفت وقلت في نفسي سوف يقتلني بالتأكيد، ولكن هنا الذبح كان أهون من استباحتي، وأنا لست سوى إنسانة ضعيفة متعبة.

جاء بالسكين وألقى بي على الأرض وقيّد يديّ، بعدها قام بقص شعري بالسكين بقوة، وأنا أتألم وأصرخ من شدة الألم. كان الألم نفسيًّا وجسديًّا، لا أنسى ذلك الموقف ما حييت.

بعد انتهاء الشهرين في "فرع حميدة الطاهر" تم تحويلي إلى فرع للأمن العسكري في المنطقة نفسها، وُضِعتُ في غرفة، طولها متران ونصف، فيها ١٦ امرأة مع أطفال، قسم منهم جالس وقسم واقف أو جالس على ركبة، وكان الوضع مزريًا للغاية، وكان طعامنا بطاطا مسلوقة مثل الحجارة، وبرغل مع حصى. كان ممنوعًا أن نقوم بتنظيف المكان الذي نجلس فيه، مع أنّ هناك الكثير من الحشرات والقمل في كل مكان.

أما بالنسبة إلى طرق التعذيب، فقد كنا نُضرَب بالكبل الرباعي والعصي الكهربائية ونُشبَح على الأبواب وبساط الريح.

كنا نسمع صراخ السجناء يملأ المهاجع، أصواتًا لا تهدأ ليل نهار، كانوا يتوسلون إلى هؤلاء الجزارين الذين كانوا يزيدون من التعذيب.

فترة التحقيق كانت في ساعات متأخرة من الليل، حُقِّقَ معي مرتين داخل هذا الفرع. كان في غرفة التحقيق محقق وجلاد ومساعد محقق، وكنت معصوبة العينين ومكبلة اليدين، وكنت أجلس جاثيةً، ووجهي إلى الأرض، سألني المحقق عن الاسم، ومعلومات عن أهلي وزوجي، ومن هم المسلحون في منطقتي، ومع أي جهة كنت أتعامل، ومن كان يساعدني، والأماكن التي كنت أذهب إليها، وأين كنت أعالج المصابين، ومن أين كنت أحضر الأدوية ومستلزمات الإسعاف والضماد، ولكن أنكرت كل هذا رغم التعذيب الذي تعرضت له؛ حيث قاموا بشبحي مدة ساعتين مع ضرب مبرح على جسدي كله، ضرب لا أنسى ألمه، ضرب بالعصي الكهربائية التي آثارها على جسدي حتى اللحظة.

ولا أنسى كيف كان يذهب إلى التواليت كل من كان موجودًا في غرفة المهجع؛ كنا نذهب جميعنا خلال ربع ساعة، وكان التواليت خارج المهجع، حتى إن رئيس الأمن العسكري قام بمنعي من لبس الحذاء، وأجبرني أن أدخل حافية القدمين إلى التواليت، وكان معي امرأة مسنة منعت كذلك من ارتداء الحذاء.

مُنعتُ من ارتداء الحذاء لأنني طلبت من "رئيس فرع الأمن العسكري" أن يسمح لنا بأن ننظف التواليت؛ حيث كانت مياه الصرف الصحي فائضةً

والمنظـر مقرفًـا، فقلـت لـه: يـجب أن ننظـف قبـل أن ندخـل، فالروائـح تمـلأ المـكان والأمـراض سـتنتشر بسـببها. فقـال لي: بسـبب كلامـك هـذا، سـتمنعين مـن أن تلبسي الحـذاء. قلت لـه: لا مشـكلة. وبقيـت مـن دون حـذاء، وقـد انتفخـت قدمـاي وتشـققتا.

بقيـت داخـل "فـرع الأمـن العسـكري" مودعـة مـدة سـتة وعشريـن يومًـا، بعدهـا نُقِلـتُ إلى فـرع جديـد وهـو فـرع المـوت والوحشـية.

"فـرع فلسـطين" الداخل مفقـود والخارج مولود

تتابـع "أم مصطفـى" روايـة قصتهـا فتقـول: تـم ترحيـلي مـن "فـرع الأمـن العسـكري" في مدينـة درعـا إلى فـرع جديـد، وكان معـي ٣٦ شـابًّا وفتـاةً مـن طـلاب الجامعـات. نُقِلنـا في باصـات وكنـا معصـوبي الأعـين ومكبـلي الأيـدي، وصلنـا إلى "فـرع فلسـطين"[12]؛ فـرع المـوت والوحشـية. نزلنـا ووقفنـا رتـلًا مـن أجـل أن يأخـذوا الأمانـات منـا، كنـت حافيـة القدمـين حينهـا. عندمـا وقفـت شـاهدني شـباب مـن مدينـة درعـا وصـاروا يتكلمـون فيـما بينهـم بصـوت منخفـض، ويقولـون هـذه الدكتـورة أم مصطفـى. وقالـوا لي: أنـت حافيـة! وأصبح

١٢- فـرع فلسـطين (الفـرع ٢٣٥) سـمي بهـذا الاسـم لأن الغايـة المعلنـة مـن تأسيسـه كانـت لمكافحـة التجسـس الإسرائـيلي عـلى المنظـمات الفلسـطينية، والتحقيـق مـع الجواسـيس العـرب والفلسـطينيين الذيـن يعملـون لصالـح العـدو الصهيـوني. ويتبـع للفـرع "وحـدة الضابطـة الفدائيـة" وتختـص بشـؤون جيـش التحريـر الفلسـطيني والحـركات الفلسـطينية المسـلحة التـي توجـد بسـلاحها بشـكل رسـمي عـلى الأراضي السـورية. ويتبـع الفـرع لجهـاز المخابـرات العسـكرية (الأمـن العسـكري)، وتـرأس الفـرع العميـد "محمـد خلّـوف" وهـو أحـد ضبـاط القـوات السـورية الذيـن كانـوا موجوديـن في طرابلـس- لبنـان سـابقًا قبـل انسـحاب الجيـش السـوري مـن لبنـان، وأحـد المتهمـين بالتخطيـط لاغتيـال الشـهيد "رفيـق الحريـري".

يقـع بنـاء فـرع فلسـطين عـلى أوتوسـتراد المتحلـق الجنـوبي (طريـق المطـار) في منطقـة القـزاز، ويتألـف البنـاء مـن سـبعة طوابـق وأقبيـة، وكل طابـق متخصـص للتحقيـق بقضايـا معينـة؛ فمثـلًا في الطابـق الأول قسـم التحقيـق بالقضايـا السياسـية، وفي الطابـق الرابـع قسـم التحقيـق بقضايـا الإسـلاميين. وهنـاك قسـم لقضايـا التزويـر، وآخـر لقضايـا تهريـب السـلاح، وقسـم مهتـم بالتحقيـق مـع أعضـاء المنظـمات الفلسـطينية.

يشـتهر هـذا الفـرع بطـرق التعذيـب الأكـثر قسـوة بـين الأفـرع الأمنيـة السـورية؛ فقـد روي الكثـير عـن التفنـن في أسـاليب التعذيـب الجسـدي والنفسـي في هـذا الفـرع الـذي كان بمجـرد السـماع باسـمه تقشـعر الأبـدان مـن الصـور البشـعة المختزنـة لـه في ذاكـرة السـوريين والفلسـطينيين السـوريين.

كل شـخص منهـم يخلـع حـذاءه ويعطينـي إيّـاه، كانـت قدمـاي منتفختَـين ومتشـققتين.

كنـا ننتظرهـم حتـى يأخـذوا الأمانـات، وكنـا مقيّدي الأيـدي والأقـدام، وهناك سـيارة للصحـة موجـودة أمامنـا. كان هنـاك حـالات سـل بـين السـجناء، ويقومون بأخـذ صـور أشـعة للصـدر، فأغلـب المعتقلـين في المهجـع الذيـن أصيبـوا بالسـل كانـوا أشباه أجسـاد؛ مجـرد هيـاكل عظميـة، كأنهـم خارجـون مـن القبـور، عندما رأيتهـم فزعـت منهـم. كان للسـجن عـدة أبـواب، دخلنـا مـن أحـد الأبـواب، دُهِشـتُ عندمـا شـاهدت عبـارة "الداخـل مفقـود والخـارج مولـود". كان هنـاك كلبـان بوليسـيان ضخـمان، منظرهـما مخيـف، بـدأا ينبحـان وكأنهـما يريـدان أن يأكلانـا، كان شـيئًا مفزعًـا.

عندمـا جـاء دوري وقفـتُ أنـا والفتـاة التـي كانـت معـي مـن ناحيـة البـاب الرئيـسي مـن أجـل تسـليم الأمانـات، لا أنـسى ذلـك المشـهد؛ فقـد وقـع أمامـي شـاب عـلى الأرض مـن سـيارة الصحـة التـي كانـت أمامنـا وكان منظـر الشـاب مرعبًـا، وكأنـه هيـكل عظمـي، قدمـاه كلهـا جـروح مفتوحـة يخـرج منهـا القيـح. كانـت رائحـة القيـح والعفـن والمـوت تفـوح مـن هـؤلاء الشـباب، وكانـت وجوههـم مريضـة صفـراء اللـون أقـرب إلى البيـاض.

دخلنـا إلى غرفـة المهجـع، وبقيـت ٣٦ يومًـا، لم يسـألني أي شـخص سـؤالًا، كانـوا ينـادون عـلى اسـمي بــ "درعـا"؛ فذكـر الاسـم ممنـوع. وشـكل المهجـع مثـل صنـدوق مغلـق؛ لا نوافـذ فيـه ولا أي فتحـة تهويـة. كنـا خمسـين شخصًا في غرفـة صغـيرة جـدًّا، ننـام عـلى شـكل "تسـييف"، كان داخـل هـذه الغرفـة نسـاء كبـيرات في السـن، وفتيـات صغـيرات، وأطفـال رضّـع، وحوامـل.

الأصـوات الناجمـة عـن التعذيـب والشـبح وصراخ التوسّـل والقهـر والبـكاء بحرقـة يمـلأ صداهـا المهاجـع، كنـا نسـمعها ليـل نهـار. كلـمات قـذِرة تُوجَّـه إلى السـجناء، وشـبح وتعذيـب ببسـاط الريـح، وضرب بـ "الأخـضر الإبراهيمـي" الـذي مَـن كان يشـاهده كان يخـاف مـن منظـره، فكيـف عندمـا ينهـال عـلى أجسـادنا النحيلـة. لا أنـسى كيـف شَرَعَ الجـلّاد بـضربي، وأنـا أصرخ وأقـول: "يـا اللـه أحـد أحـد". وهـو يقـول لي: بـدأتِ بالرسـالة؟ ويوجـه إليّ كلامًـا قـذِرًا،

ويضربني ضربًا أفقدني الوعي. وكان يجلس محقق يشرب "المتة"، قام بسكب المياه الساخنة على صدري، فاحترقت بحروق من الدرجة الثانية، فكان ألمًا لا يوصف. وكان معي فتيات قام الجلادون بسكب المياه المغلية على أفخاذهنّ فأُصِبن بحروق من الدرجة الأولى، هذا إضافة إلى الضرب على الوجه، ونتف الشعر، والشبح.

كانوا يتفننون في تعذيبنا؛ كان هناك سيخ في الحائط لرفعنا عليه وشبحنا، فقاموا برفعي مسافة ١٠ سم عن الأرض. من شدة الألم أحسست وقتها أنّ الدم كله نزل، وأحسست أنّ قدميّ صارتا مثل الطبل. لم يكن وجعًا طبيعيًّا، لذا لا أستطيع أن أنساه.

كنا نسمع الأصوات التي تصدر أثناء التعذيب في كل أنحاء السجن ليل نهار، كان هناك حالات اغتصاب، حتى إن هناك فتيات حملن وتعرضنَ للإجهاض، ولن أنسى منظر الفتاة التي كانت في ريعان شبابها، من غوطة دمشق، وتدعى "فاطمة"، كانت متعبة، أخذوها إلى غرفة التحقيق، وبعد ثلاث ساعات جاءت وعلى رقبتها علامات، كان وضعها غير طبيعي، صارت تبكي وصرت أبكي عليها. بعد شهر ونصف اكتشفت أنّها حامل، فصارت تتكلم وتهدد، بعدها أخذوها وضربوها ضربًا مبرحًا، ثمّ أخذوها إلى مكان مجهول. وكان هناك امرأة حامل ولدت في الفرع، وبعد أن ولدت أخذوا الطفل، ولا تعرف الأم إلى أين.

كان هذا الفرع فرع الموت واللا إنسانية؛ فرع الوحشية. كنا نذهب إلى غرفة التحقيق في وقتٍ متأخر من الليل، ويدخل إلى الغرفة شاب وبنت، ونكون معصوبي الأعين ونرفع أيدينا إلى الأعلى على الحائط، وهم وراء المكتب، وبعدها يسألون البنت وإذا لم تعترف يقومون بضرب الشاب، فيجتمع أربعة أشخاص عليه ويقومون بضربه حتى تعترف البنت، والأمر نفسه مع الشاب؛ حيث يستجوبونه، وإذا لم يعترف يقومون بضرب البنت أمامه حتى يعترف. لم أجد أحقر وأقسى وأعنف من معاملة كهذه بأساليب التعذيب والتعنيف والتنكيل، "فرع فلسطين" شيء مرعب.

المعتقل هو الحي الميت

تتابع "أم مصطفى" روايتها فتقول: كنا داخل غرفة مهجع، يأتي السجان كل يوم في الصباح ويطرق على الأبواب من أجل أن نستيقظ، كان السجّان يناديني باسم "درعا".

مرةً سألني السجان: هل أنت ممرضة؟ أجبته: نعم. قال: هناك امرأة حامل وأجهضت وأصابتها حمى، هذه الإبرة تعطينها إياها في الوقت المحدد. قلت له: لا مشكلة. المرأة كانت قد أجهضت من شدة التعذيب الذي تعرضت له.

كان الطبيب يأتي مرة في الأسبوع ليشاهد من يكون مريضًا، وإن كان هناك مريض يعطيه حبة "سيتامول" لا غير.

وذات يوم طلبني السجان في منتصف الليل، خفت وقلت: ماذا فعلت؟ أدخلني إلى غرفة فيها شابّان وقال لي: عاينني هاتين الحالتين، ولكن إذا تكلمت بكلمة سأقوم بإعدامك. قلت له: كما تريد. نظرت إلى الشاب الأول، كان طويل القامة نحيفًا جدًّا؛ هيكلًا عظميًّا يغطيه جلد فحسب. وضعت يدي من أجل أن أرى الجروح فدخلت يدي داخل جسده. لم تكن رائحة العفن والقيح طبيعية، فقلت للسجان: هذا ميت. كان منظر الشاب مخيفًا تقشعر له الأبدان.

نظرت إلى الشخص الثاني فوجدته بالشكل نفسه أيضًا، صرت أتوسل إلى السجان لإحضار ماء وسكر. مثل طفل صغير قمت بإعطائه الماء والسكر بهدوء، أصبح الشاب يأخذ نفسًا، بعد ذلك قمت بعملية تمسيد على صدره وعلى القلب، استعاد وعيه، فقلت للسجان: إن شاء الله وضعه تحسّن، لكنه يحتاج إلى سيروم. قال لي: أنت تخدعيننا؟ لقد رجع إلى الحياة، انظري إذا نطقتِ بكلمة سأقتلكِ.

عدتُ إلى غرفة المهجع من دون أن أتفوّه بأي كلمة، كنت مصدومة، آه على هؤلاء الشباب، إلى هذه الدرجة وصلنا! ألا نستطيع إنقاذ حياة شخص يموت بين أيدينا؟! أي نظام مجرم حاقد لا يعرف ما هي الإنسانية؟

حُقِّقَ معي ثلاث مرات داخل "فرع فلسطين"؛ أول مرة في الساعة التاسعة مساءً، فقد جاء السجان وطلب مني أن أخرج. كنت معصوبة العينين ومكبلة اليدين، خرجت إلى غرفة التحقيق، دخلت ووجهي إلى الحائط، كان هناك محقق ومساعده، وكان هناك "الأخضر الإبراهيمي" على الطاولة. صار يحقق معي ويسألني من أين أحضر الأدوية، ومن هم الذين يساعدوني، ومع أي جهة أتعامل، ومع أي فصيل؟ حتى سألني عن نتائج امتحان ابني الصغير التي كانت في الحقيبة، وكان ناجحًا إلى الصف الرابع، سألني: ما هذا؟ قلت له: هذه نتائج امتحان ابني الصغير. قال لي: متفوق، هل يدرس في مدارس الدولة أم المعارضة؟ قلت له: مدارس الدولة. قال لي: هل ستجعلينه يقاتل مع المسلحين ضدنا؟ هنا بقيت ساكتة، فقال لي: هذا ابنك الذي تتباهين به، نستطيع الآن أن نحضره ونشبحه أمامك، وقتها أرينا مهاراتك يا أمّ الإسعاف.

بعدها وضع يدي على الطاولة وانهال بالضرب عليهما؛ انكسرت العصا، ثمّ استبدلها بعصا ثانية، ضربني على جسدي كله، وقال لي: من أجل أن تعرفي كيف تعالجين الشباب المسلحين. أغمي عليّ من شدة الألم، وأصبح عندي مشكلات عصبية في أصابع يدي تحتاج إلى علاج.

بعد فترة طلبني المحقق مرة ثانية إلى غرفة التحقيق، عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، دخلت إلى غرفة التحقيق، صار يسألني الأسئلة نفسها، كنت أنكر، فقام بشبحي وتعليقي على الحائط. بقيت معلقةً أكثر من ساعتين، ثمّ أُغمي عليّ، فقام بإنزالي وسكب الماء على جسدي وبعدها عاد وشبحني مرة أخرى، بقيت لبعد الفجر، بعدها أعادوني إلى غرفة المهجع، كنت منهكة من شدة التعذيب والألم.

في المرة الثالثة التي حققوا فيها معي، جاؤوا بمحقق ضابط في فرع الدراسات "قسم الفيحاء"، حقق معي وصار يسألني الكثير من الأسئلة: من تساعدين، ومع من تحضرين الأدوية، ومع أي فصيل تتعاملين، ولأي فصيل تنتمين، ومن الأطباء الذين يساعدونكِ؟ وقال إنني مسؤولة عن "حزب التحرير" وأساعد "جبهة النصرة". كان كلامه قاسيًا، ووجّه إليّ كلامًا سيّئًا أصعب من الضرب.

تعبت كثيرًا في "فرع فلسطين"؛ كان الأكل مقرفًا، لا يؤكل، وفيه نُفايات، كنا نجوع، فقد كان الجوع داخل "فرع فلسطين" غير طبيعي، حتى أصبح لون بشرة السجناء أصفرَ مائلًا إلى البياض. تعبت داخل هذا الفرع حتى وصلت إلى مرحلةٍ مرضت فيها، وساء وضعي الصحي، وصرت أتقيأ دمًا. عندها قاموا بإحضار طبيب وقام الطبيب بفحصي. كان وزني قد نزل إلى ٤٠ كغ، أعطاني الطبيب السيروم والإبر، وبدأت أستعيد وعيي. كان رئيس المهجع متخوّفًا من أن تكون حالتي مرض السلّ وينتشر المرض في السجن، كان قد مضى على وجودي داخل "فرع فلسطين" حينها أربعة أشهر ونصف، فأمر رئيس الفرع أن يتم نقلي إلى فرع آخر.

فرحة الحرية لم تكتمل

تقول "أم مصطفى": في الصباح الباكر تم وضع كلبشة في يدي بسلاسل، كل بنتين في كلبشة واحدة، وصعدنا إلى الباص، وكان الباص قد انطلق بنا. في الطريق سمعت صوت الأذان، وكنت أول مرة أسمعه منذ أن دخلت إلى سجون النظام، وكنت أقول في نفسي إلى أين سيذهب بنا هذا الباص؟ بعدها توقف، وصلنا إلى "فرع كفر سوسة" في مدينة دمشق، نزلنا من الباص ووقفنا رتلًا، قاموا بتفتيشنا وأخذوا ما معنا من أمانات، أخذوا جوالي ومبلغًا ماليًّا صغيرًا كان معي، وصادروا عقدًا صغيرًا كان فيه أول حرف من اسم ابنتي، قلت للسجان: لماذا أخذت العقد؟ قال لي: هذا من حق الدولة. بقيت ساكتة ولم أتفوّه بحرف، بقيت داخل "فرع كفر سوسة" يومين.

بعدها نُقِلتُ إلى "سجن عدرا المركزي للنساء"، كان الوضع هناك مزريًا، وكان هناك مشكلات في المنطقة وقصف. وصل بنا الباص إلى "سجن عدرا"، دخلنا بسرعة، وكان هناك مساعدان ورئيس السجن يدعى "عدنان". هنا قاموا بأخذ ما تبقى معنا من أمانات، وعندما قاموا بتفتيشي نظر إليّ السجان وقال لي: أنتِ ميتة، منظرك يوحي بالموت. لم أتكلم معه، جاءت السجانة وقامت بتفتيشي أيضًا، فتشت كل أغراضي التي كانت معي، والتي كانت مهترئة. قالت لي: أغراضك كلها مليئة بالقمل، يجب رميها إلى الخارج.

دخلت إلى غرفة مهجع النساء، وقد كنت متعبة جدًّا، فأدخلنني إلى الحمام، وأعطينني ثيابًا، بعدها ارتحت قليلًا. في ذلك الوقت كان السجن محاصرًا، وكان داخل "سجن عدرا" هناك زيارات طبعًا، أخبرونا أنه عندما يُفَك الحصار سيُسمَح لنا أن نتكلم بالجوال مع أهلنا. عندما جاء دوري بالاتصال تكلمت مع أمي، كنت لم أسمع صوتها منذ ثلاث سنوات. سلّمت عليها، قالت لي: قلبي وروحي معك، الله يفك أسرك أنتِ وكل المعتقلين. كم كان شعورًا قاسيًا أن أسمع صوت أمي من دون أن أراها، آه ما أقساه من شعور، أحسست أنّ قلبي احترق ألمًا.

بدأت حياتي داخل هذا السجن، ولكن إلى متى؟ كان كل مهجع يضمّ مئة شخص، وكان هناك استغلال داخل السجن. وكان رئيس السجن يأخذ مقابل سرير النوم مبلغًا قدره ٥٠٠٠ ليرة سورية، وعلى الخزانة ٣٠٠٠ ليرة سورية.

وكانت حياتنا داخل المهجع رتيبة؛ حيث نستيقظ في الصباح الباكر على صوت "أبو تيمور" و"أبو نغم" يفتحان باب المهجع، كنا عندما يُفتَح الباب علينا مثل العصافير التي تريد الطيران لتخرج إلى ساحة المهجع، نبقى من الساعة الثامنة صباحًا حتى الساعة الثانية ظهرًا، هنا يكون قد جاء موعد الغداء، فتُوزَّع وجبات الطعام، ويعاد ويفتح الباب مرة ثانية في الساعة السادسة مساءً، وفي الساعة التاسعة يوجد شيء اسمه تأمين تفقّد، حيث نقوم بتنظيف كل المهجع، وبعدها نخرج ونقف صفين، تتلى أسماء كل السجينات للتفقد، بعدها يدخل الضابط ورئيس السجن إلى الداخل، هذا على مدار كل يوم.

كان هناك حمام وتواليتان لما يزيد على خمسين سجينة، وكانت هناك مشرفة تشرف على المهجع من ناحية النظافة.

كان معنا في المهجع نفسه بنت من منطقة الزبداني، كان حكمها من محكمة الميدان العسكرية، كانت هذه الفتاة جميلة وذكية، وكان رئيس السجن كلّما خطر في باله يحضر هذه الفتاة ويضربها ضربًا شديدًا حتى تتبول من شدة التعذيب، ثم يضحك عليها ويلقي بها في الزنزانة ضمن

"منفردة" كل النهار، بقيت على هذه الحالة حتى أصابها الجنون، ثم أُخِذت إلى مشفى الأمراض العقلية والنفسية، بعد فترة أعادوها إلى المهجع، فبقيت مدة من الزمن، وكان وضعها ميؤوسًا منه.

في صباح يوم أخذوها ولم نعد نراها. بعد فترة جاؤوا بسجينات إلى "سجن عدرا" من "الفرقة الرابعة"، أخبرننا أن هناك فتاة اسمها "ناديا" كانت موجودة داخل "الفرقة الرابعة" وكانت تتعرض للتعذيب كثيرًا، وكانت قد فقدت عقلها، وأنه تم تصفيتها هناك.

في "سجن عدرا المركزي" عُيِّنتُ مشرفة داخل المهجع كوني من مدينة درعا، وكان هناك بنات مثل الشبيحة وضعهنّ رئيس الفرع "عدنان" مثل جاسوسات علينا من أجل نقل كل ما يحصل داخل غرفة المهجع إليه، ولكني أخبرت البنات أن يأخذنَ حذرهن. وذات مرة أرسل رئيس السجن إلي وقال: أنا أريد حدوث مشكلات داخل السجن بين السجينات. قلت له: أنا لا أستطيع فعل شيء كهذا. قال لي: من درعا ولا تستطيعين؟ وقتها تم نقلي إلى مهجع آخر في السجن نفسه.

"سجن عدرا المركزي" يختلف تمامًا عن الأفرع بالنسبة إلى المعتقلات، مثل روح كانت تحتضر داخل فروع الأمن وعندما ذهبت إلى السجن عادت إليها الحياة بعد الاحتضار. وعلى الرغم من أنه سجن وفيه جلادون، إلا أنه كان سجنًا كبيرًا، أسواره عالية كلها شباك، وهناك كاميرات مراقبة في كل مكان وضباط وعناصر الضباط، وكان هناك فسحة سماوية عليها شباك، كنا نشاهد السماء مربعة الشكل نشعر بالحياة، كنا مثل الطيور المسجونة في قفص، عندما نسمع صوت الأذان من الجوامع القريبة من السجن تعود الحياة إلينا، فنشعر بالأمل.

كل ثلاثة أشهر كان لي جلسة تحقيق، نذهب إلى جلسات المحكمة من ساعات الصباح الباكر، كنت أشاهد وجه "أبو حيدرة". تعبت كثيرًا، كل جلسة كانت تؤجل، أحيانًا نحضر الجلسة من دون أن يسأل القاضي أي سؤال، يقول تأجلت الجلسة فحسب. كم هو شعور مؤلم أن نحضر كل ثلاثة أشهر، ونحن نعيش على أمل أن ينطق القاضي بحكمنا أيًّا كان الحكم،

فالانتظار كان صعبًا، خاصةً أن نحضر ونحن مكبلو اليدين، ونكون قد استدعينا إلى المحكمة من ساعات الصباح الباكر، ونبقى ننتظر إلى المساء، وفي النهاية يقول لنا تأجل الحكم.

حتى جاء يوم 15/1/2017، فهذا الموعد لا أنساه ما حييت، فقد كان الموعد الذي نطق به القاضي قرار إخلاء سبيلي. خرجت من القصر العدلي، فتحوا الباب الخشبي الكبير، شاهدت سوق الحميدية والشارع العريض والناس وأهلي، خرجت وفكري مع الذين ظلّوا في السجن، إلى متى سيبقون في السجون وإلى متى سيبقى الظلم؟ ذهبت مع أهلي إلى البيت، وكان استقبالًا عظيمًا. صليت وطلبت من أهلي أن يدعوا لكل المعتقلين، اللهم فرج عنهم وفك أسرهم.

خرجت "أم مصطفى" بعد عناء طويل داخل سجون وأفرع النظام، فهل ستكتمل فرحتها بعد خروجها من السجن.

العودة من المجهول إلى الحياة من جديد

تقول "أم مصطفى" خرجت من "سجن عدرا المركزي" مباشرة إلى درعا. لم يكن هناك تسليم للمنطقة سنة ٢٠١٧، كان هناك معارك بين النظام والثوار، وكانت المنطقة محاصرة من قبل قوات النظام السوري. بقيت مدة شهرين من دون عمل، تعالجت خلال هذه المدة، شاهدت أهلي وأصدقائي رغم أنني كنت متعبة جسديًّا. عدت إلى عملي في مشفى ميداني وأخذت منزلًا في إحدى القرى القريبة من "درعا البلد". عدت إلى عملي وأصبح لديّ ثأر وحقد على النظام بسبب اعتقالي وسجن المعتقلين والمعتقلات الذين ما زالوا في سجون النظام، فأصبح عندي حافز أقوى من السابق أن أعمل ضمن اختصاصي، وفي الوقت نفسه كان عندي نشاطات أخرى عملت فيها.

فعملي بالدولة فصلت منه، وممنوع عليّ أن أدخل مجال الدولة، ففرغت نفسي لعملي؛ لأني لا أستطيع التحرك في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام؛ لأني خرجت إخلاء سبيل تحت محاكمة من خلال واسطة، ودفعت مبلغًا ماليًّا حتى خرجت من السجن.

سعيت أنا ومَن معي من أشخاص أن نعمل بتجمّع للمعتقلات وزوجات المعتقلين وذويهم، كان هذا العمل ضمن اجتهادات شخصية، نجمع تبرعات من أيادي الخير، لم يكن هناك أي منظمة أو جهة رسمية من حكومة الائتلاف قدمت لنا المساعدة، ولم يدعمونا بأي نوع من المساعدات، فأصبح العمل ضمن اجتهادات شخصية، حيث نجمع للمعتقلين الذين بقوا في "سجن عدرا"، ونرسل إليهم مبالغ مالية صغيرة.

مارست عملي كممرضة إسعاف في غرفة العمليات لمعالجة المصابين، وكان لديّ نشاط بالدعم النفسي وعززت ملف المعتقلين الذي كان له صدى واسع في كل المحافل المحلية على مستوى درعا، حتى إنّ هناك شخصًا قال لي: "أن تصل متأخرًا خير من ألّا تصل أبدًا". أعطتني هذه الكلمات حافزًا كبيرًا.

ولكن بعد فترة أصبحت تصلني تهديدات من بعض الناس، ولاسيّما الأمن العسكري في درعا، أنهم سمعوا أني تكلمت عمّا يحصل في فروع النظام، والذي يحصل للمعتقلين، وذكرت أسماء ضباط، وألوان التعذيب التي تُمارَس على المعتقلين في فروع النظام. أصبحوا يرسلون تهديدات أن الدور قادم إليّ، ومن هذه التهديدات: "سنصل إليك ونقصّ لسانكِ، نحن قادرون على تصفيتك، وقادرون على الوصول إلى أولادك".

أخبرت زملائي أنّني تعرضت للتهديد، فقالوا لي: لا تهتمي لهذا الكلام، نحن في حاجة إليك، وأنتِ امرأة ماهرة، وعملك مشهود به. فعملت سبعة أشهر بعدما خرجت من السجن من دون أجر ولا راتب.

بعد أن سُلِّمَ المحرر في الجنوب للنظام، وصارت التسويات، جاءت الباصات الخضر فسجلت أنني أريد الخروج، ولكن الأطباء قالوا لي: يوجد اتفاق سيكون بضمان روسي لكي ترجعي إلى وظيفتك.

أخذنا تسويات ولم أرضَ بالتسوية، ولكنّ لجنة الأزمة في درعا قالوا لي إنني يجب أن آخذ ورقة تسوية؛ لأن لدي حكمًا، فأعطوني تسوية، طبعًا سألوني أسئلة قلت له: يا عيني لا تقل لي عصابات مسلحة، ونحن حررناكم، أنا دخلت إلى معتقل، أنتم كلكم عصابات مسلحة، لا تقل لي عصابات،

أنتم رأس العصابات التي تتكلم عنها، هل ستعطيني الورقة أم لا؟ إذا كنت لا تريد أن تعطيني إياها انقعها واشرب ماءها. قال لي: انتظري سنعطيكِ الورقة ونحن سنساعدك وننظف ملفك. قلت له: حبيبي لا أحتاج تبييض، اتركوني فحسب. أخذنا الورقة بعد خمسة عشر يومًا، سلمونا إياها من أجل عدم تفييشنا ضمن درعا، كل خسارتي من أجل ورقة تسوية وعليها صورتي من أجل ألّا أتعرض للمساءلة ضمن درعا البلد.

قررت أن أذهب إلى تركيا بوساطة بعض الأصدقاء، وصلت إلى حماة مع أربعة عشر شابًّا، دخلنا بين البساتين، كان هناك قصف، قال لنا المهرب: انتظروا حتى الصباح، الآن لا يوجد أمان. ولكن في الصباح أُلقيَ القبض علينا، جاءت دورية وأُخِذنا إلى نقطة في حماة، دخلت، قال لي المساعد: أهلًا وسهلًا بأم مصطفى، الحمد لله على سلامتك، هل ستدخلين وتجاهدين في إدلب أو تعملين في مشفى ميداني في إدلب. لم أردّ عليه. قال لي: لا تردّي. قلت له: أنا ذاهبة إلى تركيا وليس إلى إدلب. قال لي: هل هناك مشفى ميداني في تركيا؟ لماذا ستذهبين إلى تركيا؟ قلت له: أريد أن أعمل. قال لي: تريدين أن تلتحقي بالمعارضة، جيّد أننا أمسكنا بك، نحن حريصون عليكِ أكثر من الكلاب الذين تريدين الذهاب إليهم.

في اليوم الثاني أخذونا إلى "الجوية" في حلب، بقيت ثلاثة عشر يومًا في غرفة صغيرة، وبعد يومين نادى عليّ المحقق، ذهبت إلى غرفة التحقيق، قال لي: نحن نعرف أنك كنتِ موقوفة سابقًا. وبعدها أصبح يسألني: ماذا ستفعلين في تركيا؟ مع من ستتعاملين؟ أخذوا استجوابًا كاملًا، وأعادوني إلى الزنزانة، ثمّ استجوبوني مرة ثانية بالأسئلة نفسها: ماذا ستعملين في تركيا؟ ابقي في وظيفتك، كوني إنسانة محترمة في بلدك. قلت له: هل الذي يخرج من بلده غير محترم؟ قال: لا. قلت له: أسألك جاوبني، إذا الإنسان ضاقت به بلده إلى أين يذهب؟ قال لي: أنت ممنوعة من السفر. قلت له: أنا خرجت تهريبًا مثل باقي الناس. قال لي: صحيح، ولكن حظك سيئ.

بعد يومين حولوني إلى "الأمن السياسي" نحو ساعة، بعدها تحولت إلى القضاء، لم يرني القاضي، أخذوني إلى "سجن حلب المركزي". يوم دخلت قلت يستحيل أن أخرج، نمت ليلة ولم أتكلم مع أي شخص، وفي اليوم التالي

عُرضت على القاضي، قال لي: ارتاحي، لن تُظلمي. قال لي: أنت ظُلِمتِ، أنا اطّلعت على قضيتك الأولى، أنتِ عملت بمهنتك رغم الحصار والضيق، ما كان يجب أن تبقي. قلت له: ماذا سأقول يا سيدي القاضي، أنتم كل واحد منكم دولة. قال لي: صحيح. ثم ضحك، وقال لي: نحن دولة أشرار، ولكن يجب أن تأخذ العدالة مجراها في مكان ما من الدولة، أنا من عندي سأطلق سراحك. أعطاني ورقة أسير فيها على الحواجز، وقال لي: أتمنى أن ترجعي إلى حياتك الطبيعية وتنسي هذه التجربة. كان يتكلم وأنا غير مصدقة، خرجت من السجن، واتصلت وتكلمت مع أهلي وعدت من حلب إلى درعا، رجعت إلى درعا وكلي خيبة، عدت إلى درعا البلد ولا يوجد مجال للعمل ولا مجال للحياة.

معاناة أم مصطفى في سبيل لمّ شمل أطفالها

رغم الخروج من السجن المظلم إلى ساحات الحرية إلا أنّ الفرحة لا تكتمل تبقى معها غصة يحملها داخله المعتقل تترك شرخًا واسعًا بينه وبين أفراد عائلته، فكثير من العائلات ضاع مستقبلها وتدمرت بذنب الاعتقال مدة طويلة، ولاسيّما الأطفال، فهم ضحايا البعد الذي سبّبه هذا السجن.

أم مصطفى عانت الأمرّين، فكانت فترة اعتقالها طويلة، خاصة أنها عانت فترة الاعتقال في أول مرة لتعود وتُعتقل في المرة الثانية، لكنّ "رابطة الكرامة والحرية للمعتقلين والمفقودين" وقفت معها بعد أن وكّلت لها محاميًا ودفعت مبالغ مالية كبيرة، ولم يتركها مشرف الرابطة "سعيد الشيخ سعيد" (أبو إبراهيم) حتى خرجت من جديد وعادت إلى منطقتها وبيتها وأولادها الذين حُرِموا من أمهم فترة اعتقالها وعانوا اليتم وعاشوه.

تروي "أم مصطفى" فتقول: في فترة اعتقالي نشب خلاف بين أهلي وأهل زوجي من أجل الأولاد، ابني مصطفى كان في الصف السابع، وابني الأوسط كان في الصف السادس، وكان مصابًا بأكثر من إصابة، وأنا كنت أشرف على علاجه، بقيت معه أعطيه العلاج حتى فترة اعتقالي، وتداركت وضعه الصحي، وتماثل للشفاء نوعًا ما، وابني الصغير في الصف الثالث، وابنتي

الصغيرة عمرها ثلاثة أعوام.

أهلي كانوا يريدون أن يبقى أولادي معهم؛ فأهل زوجي كانوا في منطقة بعيدة عن منطقة أهلي وكان الوضع في منطقة أهل زوجي غير مستقر بعكس منطقة أهلي التي كان وضعها مستقرًا وفيها مدارس، وحتى أمي قالت: الأولاد نضعهم في عيوننا، هؤلاء أولاد ابنتي، وقطعة منها، راحت ابنتي، ولا أريد أن أخسر أولادها. ولكنّ أهل زوجي رفضوا، فقاموا بتوزيع الأولاد فيما بينهم، أهلي أخذوا قسمًا من أولادي، وأهل زوجي أخذوا قسمًا آخر، وأصبح الأولاد بعيدين عن بعض ومشتتين. وعندما أصبح الوضع في المنطقة (في درعا) متوترًا، وتصاعدت وتيرة القصف، أصبح الأولاد عبئًا عليهم؛ لأنهم كانوا عائلة كبيرة، وكانت مسؤولية؛ لأن الأب مستشهد والأم معتقلة في عداد الموتى، إضافةً إلى خوفهم من النظام؛ فقد كان كل فترة يدخل إلى الأحياء السكنية ويأخذ دفتر العائلة ويسأل من هؤلاء الأولاد؟

حتى عندما يقصفون من "درعا البلد" باتجاه "درعا المدينة" كانت أصابع الاتهام تشير إلى أولادي، وكأني أنا التي اخترعت الثورة. كان هذا قاسيًا على الأولاد، فقد كانوا يقولون لهم: أمكم السبب أهلكت نفسها وشتّتتكم. كان هناك ظلم ويتم، واليتم لم يكن عندما استشهد والدهم، اليتم عندما اعتُقِلت، عندما تهجّر الأولاد وتشتتوا.

حتى إنهم منعوا الأولاد من رؤية بعضهم سوى مرة واحدة كل شهرين، فكانوا لا يلعبون ولا يختلطون مثل باقي الأطفال. سابقًا، عندما كنت معهم، كنت ألعب معهم وأنام بينهم، وأقرأ لهم قصصًا، وأشرف على دراستهم. كنت أحاول سدَّ الفراغ الذي تركه والدهم؛ فكنت موظفة وأمًّا وأبًا وسترًا وغطاء وحماية. لم أكن عالةً على أي شخص، بل كنت أعتمد على نفسي، أعمل وأقدّم لهم.

أخذت بيتًا في إحدى القرى وسكنت مع أولادي، عدت إلى عملي رغم أن وضعي الصحي متدهور، ويدي تحتاج إلى عملية، ولكن نظرت إلى مأساة وضعي الصحي، ومأساة أولادي، ومأساة عملي وقوت أولادي، فاضطررت إلى العودة إلى عملي.

أحاول أن أعيد أولادي مثلما كانوا سابقًا، شعرت أنّ هناك شرخًا حتى اللحظة بيني وبين أولادي، أحاول ألّا أكون تلك الأم التي كانت تضيّق على أولادها، أحاول أن أكون لهم صديقة وأختًا وأمًّا.

أصعب شيء واجهني بعد خروجي من السجن أن يكون هناك حاجز بيني وبين أولادي.

أوجّه كلمة للمنظمات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان وحقوق المرأة والطفل:

إنّ التعنيف الذي يحصل في سورية أثره كبير على الأولاد؛ حيث دمرت الحرب جيلًا كاملًا، فتحطمت آماله أمام مسمع ومرأى المجتمع الدولي، وكأنهم في غيبوبة ولا يريدون سماع صوت كلمة الحق.



السردية الرابعة

الإعتقال بناءً على سؤال وجواب

محمد - ح من مدينة منبج في ريف حلب، كان يعمل في لبنان، اعتقل وهو في السابعة عشرة من عمره في تاريخ ٢٠١٤/٥/٢٩، وبقي معتقلًا حتى تاريخ ٢٠١٩/١/٢٧.

يقول محمد: دخلت إلى لبنان بطريقة غير شرعية، وكنت أعمل في مطعم في بيروت وبقيت حتى سنة ٢٠١٤. جاءتني فرصة للسفر إلى السعودية، فقمت بإخراج جواز سفر، وتأجيل خدمة الجيش، وأخرجت دفتر العلم من دمشق عن طريق شخص بالواسطة، ودفعت مبلغًا ماليًا للشخص، وأوراقي كلها بناءً على ذلك نظامية، ولكن لا أستطيع السفر من مطار بيروت؛ لأنه بالأساس ليس معي أوراق دخول إلى بيروت.

اقترح أهلي أن أدخل سورية باعتبار أن معي أوراقًا نظامية، حيث يتم دخولي إلى سورية عن طريق شخص مهرب، وبعدها أسافر إلى تركيا، ومن مطار تركيا أسافر إلى السعودية.

بعد فترة نزلت إلى سورية مع مهرب وقطعت الحدود اللبنانية، وبقي أمامي الحدود السورية، وصلت أول الحدود السورية، وهنا أمسكوا بي لتبدأ معاناتي داخل سجون النظام السوري، وأعيش داخل زنزاناته الباردة التي لا تحمل سوى الموت داخلها.

في تاريخ ٢٠١٤/٥/٢٩ اعتُقِلت على الحدود السورية. سألوني: لماذا دخلت بطريقة غير شرعية؟ أجبتهم: أنا لدي فيش منع دخول إلى لبنان بسبب مشكلة حصلت معي، وذهبت إلى لبنان لأعمل وعدت لأني طالب في الثالث الثانوي وعندي امتحانات وأريد تقديم الامتحان. قال لي أحد الضباط: دقيقة لنرى. نظر إلى أوراقي فوجدها نظامية، قال لي: والله أمرك غريب، سنقوم بتحويلك إلى الفرع، كل ما في الأمر سؤال وجواب فحسب، فليس عليك شيء، وهم سيحولونك إلى المحكمة بتهمة الدخول خلسة، والقاضي

سوف يطلق سراحك مباشرة.

وضعوني في سيارة، وانطلقت بنا إلى الفرع، دخلت "فرع الأمن العسكري" في مدينة طرطوس، كانت الأيام الثلاثة الأولى تعذيبًا وضربًا مبرحًا، شُبحت على الحائط لساعات طويلة وضُرِبتُ بواسطة الكبل الرباعي. بقيت داخل هذا الفرع تسعة عشر يومًا، بعدها استُدعيت إلى غرفة التحقيق، فقال الضابط إن هناك عفوًا من الرئيس بشار الأسد، ولكن عليّ الاعتراف بأي شيء من أجل تحويلي إلى المحكمة، وإذا لم أعترف سوف أبقى داخل السجن ولا أستطيع الخروج.

من شدة التعذيب قلت سأعترف بأي شيء، فأخبرت المحقق أنني هاجمت المطار الحربي بواسطة مسدس وأطلقت النار منه، بعدها أعادوني إلى غرفة المهجع لأبقى فيها تسعة عشر يومًا.

بعد تسعة عشر يومًا نُقِلتُ إلى "الشرطة العسكرية" في مدينة طرطوس. هناك لا يوجد تحقيق، اعتُبِرت عابر سبيل فحسب، ولكن خلال سبعة أيام ذقت تعذيبًا وإهاناتٍ وضربًا. بعدها نُقِلت إلى "فرع البالونة" في حمص.

أصبح اسمي وهويتي رقم 96 داخل "فرع فلسطين"

بعد مضي يومين في "فرع البالونة" في حمص، نُقِلنا إلى "الشرطة العسكرية" في القابون في مدينة دمشق، بقينا في القابون مدة ساعتين، بعدها جاؤوا بسيارة اللحمة[١٣]؛ سيارة طويلة مغلقة مثل شكل البراد، وضعونا فيها، كنا مكبلي الأيدي ومعصوبي الأعين، ركبنا في السيارة بعد أن اكتمل الجنزير ولا نعرف إلى أين سوف تكون الوجهة. انطلقت بنا السيارة، كان معنا شاب من مدينة طرطوس، ولكن أصله من مدينة دمشق، وقف الشاب، وكان هناك شباك صغير عبارة عن فتحة، رفع العصابة عن عينيه

١٣ - سيارة اللحمة هي سيارة عسكرية مخصصة لنقل اللحوم، بصندوق معدني كبير، لها نوافذ بطول ٤٠ سم وعرض ٢٠ سم، مغلقة بشبكٍ معدنيٍّ صغير الفتحات، ويكون المعتقلون مقيدين بسلسلةٍ معدنيةٍ واحدة مع بعضهم، هذه الطريقة المعترف عليها والمتبعة في نقل المعتقلين من السجون إلى سجون أخرى أو من السجون إلى المحاكم، وهي طريقة تشبه طريقة نقل الحيوانات.

وأخبرنا أننا على طريق دمشق، بعدها توقفت السيارة، أخبرنا أننا وصلنا إلى "فرع فلسطين".

لمجرد سماع اسم الفرع، انتابنا رعب شديد، وأصبح بعض الشباب الذين في السيارة يبكون من شدة الرعب والخوف، فقلت في نفسي: يا رب ماذا سوف يحل بنا؟

وقفت السيارة، كان هناك حاجز لم تستطع السيارة الدخول فتوقّفتْ، وهنا فتحوا باب السيارة، ونزل كل الجنزير، دخلنا، ثمّ مشينا، بعدها أخبرونا أن نجلس في ساحة، جلسنا ثم تم إدخالنا إلى غرفة اسمها "غرفة الأمانات" وأخذوا الأمانات منّا. استقبلنا سجان كان يدعى "أبو حبيب" معه "كبل الأخضر الإبراهيمي". كنا شبه عراة، وانهال علينا بالضرب بالكبل، كان هذا أول استقبال لنا في "فرع فلسطين".

طلب العساكر والضباط بعدها من سخرة السجن تفتيشنا، ففتشوا كل شخص، بعدها وضعونا في غرفة اسمها "غرفة تشميسة" لا يوجد لها سقف، أشعة الشمس دائمًا داخلها. بعد أن جمعونا داخل هذه الغرفة وزعونا على غرف، فكان رقم الغرفة التي وضعت فيها 9، وأصبح اسمي رقم ٩٦. كنا هنا مجرد أرقام، لا بد أن أنسى اسمي وكل شيء يتعلق بهويتي، فهويتي هي رقم ٩٦. بقيت ثلاثة أيام داخل الغرفة، بعدها استُدعيتُ إلى غرفة التحقيق. خرجت إلى غرفة التحقيق مع سجان، وكان معه جلاد، وقفت على درج، كان على طول الدرج هناك سجناء، كلهم مطلوبون إلى غرفة التحقيق.

كان أمامي شخص، ناداه المحقق من أجل الدخول إلى غرفة التحقيق، ذهب الشخص، وبعد أن خرج كان وجهه مشوهًا، خرج هذا الشاب ووقف أعلى الدرَج، ضربه السجان والجلاد ليسقط من أعلى الدرج إلى الأسفل، ويضرب وجهه بالجدار، هنا أصبح الدم يسيل على طول الشاب، بعدها قال السجان للسخرة: احملوه واغسلوا وجهه وارموه في غرفة المهجع.

بعدها سمعت المحقق ينادي باسمي (رقم 96)، قلت له: حاضر سيدي. كان الخوف يتملّكني، دخلت إلى المحقق، ووضعوا عصابة على عيني. كان المحقق جالسًا، وقفت أمام الطاولة وكان السجان يقف إلى جانبي، سألني

المحقق: أنت محمد- ح؟ قلت له: نعم سيدي. قال: أنت مسلح؟ قلت له: نعم سيدي. قال لي: جيد أنت لن تعذبني بالمرة (وصار يضحك). كان المحقق يسأل وأنا أجيبه، بعدها قال لي: محمد اطلع إلى خارج الغرفة. وأنا خارج من الغرفة قال لي: محمد قف. فوقفت في منتصف الكردور، وكان يحمل الأخضر الإبراهيمي، اقترب مني ونكشني به على كتفي وقال لي: انزل إلى السخرة. بعدها دخلت إلى غرفتي، عندما دخلت كل الذين معي داخل غرفة المهجع سألوني كيف سار التحقيق؟ أخبرتهم بكلّ شيء حصل معي.

بعد يومين طُلِبتُ مرة ثانية إلى غرفة التحقيق، خرجت إلى المحقق، كنت معصوب العينين ومكبل اليدين، طلب مني أن أستلقي على الأرض استلقيت ورفعت قدمي إلى فوق. قال لي: أنزل قدميك وابقَ على ظهرك. وقف بجانبي وضربني بكل قوة بالكبل الأخضر الإبراهيمي، أحسست من شدة الألم في أول ضربة أنّ جسدي تمزق، وبعدها انهال عليّ بكل لؤم وحقد، وأنا أصرخ. بعدها ضربني على خاصرتي، من شدة الألم لم أعد أستطيع التنفس. بعد التعذيب قال لي: اجلس. فجلست، قال لي: كم شخصًا قتلت؟ قلت له: أنا لم أقتل أي شخص، أنا معترف بأني حملتُ مسدسًا فحسب. قال لي: لا تدعني أعيد التعذيب نفسه عليك، يجب أن تخبرني ما نوع السلاح الذي كان معك، سلاح رشاش أم قناصة؟ وكم شخصًا قتلت؟

من شدة التعذيب والضرب لم أعد أحتمل، فقلت له: أعترف سيدي كما تريد، قتلت العدد الذي تريده. قال لي: أنا أريد هذه الكلمة فحسب، أنت قاتل. بعدها قال لي: اذهب إلى الخارج. عدت إلى غرفة المهجع، وبعد ثلاثة أيام طلبني المحقق إلى غرفة التحقيق، كان آخر تحقيق معي داخل هذا الفرع، ووضع المحقق أمامي أربع عشرة ورقة، بصّمني على الأوراق ولا أعرف ما مضمون هذه الأوراق.

بعدها عدت إلى غرفة التحقيق، أخبرني أنني سوف أتحول إلى المحكمة يوم الأربعاء، ولكن بقيت داخل هذا الفرع ثمانية أشهر وعشرة أيام، عشت داخله أيامًا صعبة، فضلًا عن التعذيب النفسي الذي كان أقسى من التعذيب الجسدي. كنا أكثر من مئة شخص في غرفة صغيرة جدًّا وننام

بطريقة "التسييف"، هذا غير الأمراض التي كانت منتشرة بين السجناء.

بعد مضي ثمانية أشهر وعشرة أيام تحولت إلى الفرع الجديد. خرج معي خمسة عشر شخصًا، جمعوا سجناء من كل الأفرع حتى اكتمل الجنزير، ونُقِلنا إلى "الفرع 48"، هنا استقبلنا الفرع يومًا واحدًا، ولا يوجد تحقيق داخل هذا الفرع.

خمسة وعشرون مليونًا ثمن خروجي من سجن الموت

يقول محمد: مجرد ذكر اسم "سجن صيدنايا" يكفي، فهذا السجن مرعب ومخيف بكل ما تعنيه الكلمة؛ لأن كل من دخل إليه لم يخرج. توقعت أني لن أخرج في حياتي من داخله، فعند وصولي إلى السجن كان هناك مئة عسكري منتشرين في الساحة وفي أيديهم أكبال، ومجرد أن نزلنا من السيارة انهالوا علينا بالضرب المبرح والتعذيب، كنت لا أعرف من أين يأتيني الضرب، حتى وصلنا إلى الزنزانات.

كانت منفردة طولها متران، وعرضها متر. وضعوا أكثر من عشرين شخصًا من دون ثياب؛ فقد أخذوا ملابسنا وحرقوها، وبقيت داخل غرفة المنفردة خمسة عشر يومًا، بعدها وضعونا في المهجع، وكان فيه ما يقارب التسعين سجينًا.

كان الطعام قليلًا جدًّا؛ وجبة واحدة فقط، هي عبارة عن خبزة متعفنة عليها حشرات وثلاث حبات زيتون. أيام كثيرة كنا نُحرَم من الطعام؛ فعندما يكون هناك عقوبة للجناح نُحرَم كلنا من الطعام مدة يومين. كان هناك جوع وعطش في معظم الأوقات.

لا يوجد حمام، كنا ندخل إلى التواليت حفاة، ونتغطى في الليل ببطانيات عليها قمل. كان هناك موتى يوميًّا في كل غرف المهاجع والمنفردات.

كنا نستيقظ في الصباح على صوت السجان وهو يصرخ ويطرق على الأبواب ويصيح بأعلى صوته: "المهاجع من عنده فطيسة". أول غرفة المهجع يقول له: "شخص واحد". يقول له: "سيدي واحد" بعدها يذهب إلى غرفة

المهجع الثانية يقول له: شخصين. هكذا حتى ينتهي من جمع كل الجثث. بعد ساعة أو ساعتين يحضرون نقالات ويحملون الجثث إلى خارج السجن لدفنهم في مقابر جماعية، خلال الشهر يخرجون ما يقارب ٢٧ جثة من السجناء.

ما زلت أتذكر أنّ ذات يوم سمعنا أمرًا من الباب الرئيسي، وهو أن نكون كلّنا من دون استثناء جاثين، ووجوهنا إلى الحائط، وأيدينا على الأعين، فرؤية السجان ممنوعة، وبمجرد رؤيته قد يدفع السجين روحه.

قال السجان لرئيس المهجع: يوجد عندك صوت، أخرِجْ الذي يصدر صوتًا. قال له: سيدي والله ليس عندي. قال له: سأذهب وأعود، أريد ثلاثة خارج المهجع. هنا غادر السجان ولم يعد لليوم الثاني، في الصباح أدخلوا الفطور إلى غرفة المهجع، قال السجان لرئيس الغرفة: أنا قلت لك أخرِجْ ثلاثة. فقال له: سيدي أنت لم تعد. قال له: هل تردّ بوجهي؟

بعدها أخرج ثلاثة أشخاص لا ذنب لهم اختارهم عشوائيًّا، وقال له: ليقفوا جانبًا وتعال، أنت اقترب. قال له: انظر يمينًا ويسارًا. كان هناك عمود باطون، قال له: قف قرب الحائط جاثيًا، اجعل يديك على عينيك، وارفعْ رأسك. عاد السجان إلى الخلف وضربه بالبوط العسكري على رأسه، من شدة الضربة أصاب رأس السجين الحائط، ففتح في رأسه جرحًا كبيرًا وأغمي على السجين، قال لنا السجان: احملوه وارموه بالتواليت. كان اسم الشخص "رائد" من مدينة حماة.

كان معنا أطفال، أعمارهم تحت السن القانوني. ذات مرة كنا واقفين في الكردور، كان أمامي ولد صغير، قال له السجان: تعال. ثم ضربه على رأسه وقال له: لا ترفع رأسك. ضربه بالهِراوة على رأسه، بعدها ضربه بالبوط العسكري على أعضائه التناسلية. الولد صار يصرخ من شدة الوجع قال لنا: أخرجوه معكم. لما صعدنا إلى غرفنا وضعنا الطفل بالكردور، ونحن داخلون إلى الغرفة سمعت السجان يقول للولد: أفضل من أن تكبر ويصير عندك أولاد من هذا النسل السيّئ يقومون ضد الدولة.

حضرت جلسة محاكمة في "سجن صيدنايا"، كانت المحكمة شكلية،

دخلت عند القاضي بلباس صيدنايا الذي كله دماء، سألني القاضي: كم مظاهرة خرجت ومن أعطاك السلاح؟ وكنت حينها عيّنت واسطة، فلم يحكم عليّ بالإعدام؛ لأن عندي شهودًا، فأخذ بكلام الشهود، وأنزل حكمي من الإعدام إلى المؤبد بعد دفع مبلغ مالي قدره خمسة وعشرون مليون ليرة سورية.

جاء السجان وبصّمني على حكم، حُكِمت خمس عشرة سنة، وخُفِّفت العقوبة لأني قدّمت شهودًا للمحكمة من خمس عشرة سنة إلى تسع سنوات، ثم شملني العفو سنة 2014، فانخفض حكمي ست سنوات، وكنت قد أمضيت أربع سنوات وثمانية أشهر فيكون لي ربع المدة، في اليوم نفسه تحولت إلى "سجن عدرا"، دخلت إلى "سجن صيدنايا" سنة ٢٠١٥ وخرجت سنة ٢٠١٦ بعد دفع مبلغ مالي كبير.

انتقلت إلى "سجن عدرا" في دمشق، لبسنا لباسًا مدنيًّا، كنت وقتها مريضًا جدًّا نتيجة الوسخ والقمل والأمراض المنتشرة في "سجن صيدنايا"، فنُقِلت إلى القابون، وبقيت ثلاثة أيام، بعدها تم تحويلي إلى "سجن عدرا المركَزي" الذي رفض استقبالي؛ لأني كنت مريضًا، وتمّ نقلي مباشرة إلى مشفى في دمشق، قاموا بفحصي، وأجروا لي تحليلًا، تبين أن معي بداية مرض السل. بقيت ثلاثة أشهر داخل المشفى، بعدها أجروا لي تحليلًا آخر ليتأكدوا من أني شفيت من هذا المرض. طبعًا لأن السلَّ مرضٌ معدٍ، والضباط والعساكر يخافون من أن يصيبهم هذا المرض، وليس خوفًا على السجناء.

بقيت في "سجن عدرا" ثلاث سنوات، بعدها خرجت من السجن في تاريخ ٢٠١٩/١/٢٧، خرجت وكلي أمل في حياة جديدة رغم أنني خرجت بعد معاناة كبيرة إلا أني خرجت وفي داخلي غصّة كبيرة على رفاقي الذين تركتهم خلفي. متى سينقشع الظلم ويطلقون سراح المعتقلين من سجون النظام السوري؟ السجون مليئة بجميع أنواع الانتهاكات، كل ما أتمناه أن يكون كل رفاقي بصحة وعافية، وأن يُفرَج عنهم ويجدوا عدالة تنصفهم ليخرجوا إلى ساحات الحرية.

عندما خرجت كان أهلي ينتظروني، كانت فرحة كبيرة لأهلي أني عدت

إليهـم بعـد هـذه السـنين القاسـية التـي أمضيتهـا في زنزانـات النظـام السـوري، خرجـت لأجـد العـالم كلـه قـد تغـير، لم أجـد رفاقـي الذيـن كنـت أحلـم أن ألتقيهـم بعـد هـذه السـنوات الطويلـة، النـاس كلهـا تغـيرت، ووجـدت صعوبـة كبـيرة في التأقلـم مـع البـشر.

السردية الخامسة



الاعتقال بتهمة خطف ابن ضابط

عبد الستار- ج من مواليد ١٩٩٦ ينحدر من مدينة إدلب، وهو طالب كان يدرس تقنيات حاسوب ويعمل في محل حلاقة من أجل تأمين مصروفه في الوقت نفسه، اعتقل في تاريخ 27/6/2014 بتهمة خطف ابن ضابط لإجبار والده على الانشقاق والالتحاق بركب الثورة وبقي معتقلًا حتى تاريخ 1/1/2018.

يقول عبد الستار: في بداية الحراك السلمي خرجت إلى الساحات وهتفت؛ لأنه كان هناك ظلم كثير من آل الأسد وانتشار للفساد والرشوة. في تاريخ 27/6/2014 اعتقلني "فرع أمن الدولة" في إدلب بسبب موضوع خطف ابن الضابط حتى ينشق والده ويصبح في صفوف الثورة. بعد فترة استطاع ابن الضابط الهروب وتم نصب كمين لي، وقبل نصب الكمين كنت في زيارة عند بيت أختي في مدينة إدلب، وجاء أحد رفاقي وقال لي: إنني أدعوك للخروج معي إلى المسبح. قلت له: أنا موافق. فذهبت معه.

حين وصلت كان هناك كمين من أربعة أشخاص ينتظرونني مع ابن الضابط، فتعاركت أنا وابن الضابط واستطعت الهروب منهم، ووصلت إلى منزلي وأخبرت والدي بكل شيء، فقال لي أبي: سوف نغادر البلد. ثمّ جاءتني مكالمة من أحد الأصدقاء سألني: أين أنت الآن؟ أخبرته أنني في المنزل، بعد مضي ساعة كان هناك عناصر من أمن الدولة والسياسية والشبيحة تطوق الحي برمته. استطعت الهروب من على الأسطح فشاهدني أحد عناصر الشرطة فصوّب البندقية نحوي فرميت بنفسي من الطابق الثالث ووقعت على الأرض ولم أعد أستطيع الوقوف، أحسست وكأن روحي انتُزِعت مني، من شدة خوفي وقفت على قدمي وركضت بسرعة. بعدها قام الأَمن باعتقال والدي وأخي حتى أسلّم نفسي.

تم اعتقالي واقتيادي إلى "فرع أمن الدولة" في إدلب، دخلت إلى الزنزانة؛ كانت غرفة صغيرة فيها تسعون سجينًا، سمعت أصوات أشخاص يصرخون من شدة التعذيب، كانت الأصوات في كل أنحاء السجن، فقلت في نفسي: يا رب إنني خائف، ماذا سيحصل معي؟

أخذوا الأمانات مني وأدخلوني إلى المهجع، كان داخل غرفة المهجع عدد من الأشخاص أعرفهم، سألوني: لماذا أنت هنا؟ قصصت لهم قصتي قالوا: أمرك صعب انسَ الحياة المدنية، نحن لم نفعل شيئًا وسيتمّ تحويلنا إلى دمشق. تفاجأت وانصدمت، قلت في نفسي: يا الله هل من المعقول أن يحصل لي شيء فظيع؟

أول يوم طلبوني إلى غرفة التحقيق، ذهبت إلى المحقق، وكنت معصوب العينين ومكبل اليدين، سألني المحقق: ما اسمك؟ قلت له: اسمي عبد الستار. قال للعساكر: خذوه إلى غرفة الشبح. أخذوني إلى غرفة كان فيها أبي وأخي، وشبحوني أمامهم وصاروا يعذبونني، وأبي وأخي يتوسلون لهم ويقولون: "اتركوه اتركوه". هنا صرت أقرأ آيات قرآن، والسجان يزيد في ضربي، كان أمامي أبي وأخي معصوبَي الأعين، وأنا كنت معلقًا ويداي خلف ظهري، ويتم ضربي بواسطة الكبل الرباعي، ومن شدة التعذيب والضرب لم أعد أحتمل فأصبحت أصرخ صراخًا ملأ السجن، حينها قاموا بلدغي بالكهرباء على جسدي كله حتى أخفض صوتي، هنا تعبت وأُغمِي علي، ولم أعد أشعر بشيء ولا حتى بالضرب، يضربني الجلاد بالكبل وأنا لا أشعر بشيء، فقدت وعيي نهائيًّا.

وفي اليوم الثاني استُدعيتُ إلى غرفة التحقيق، سألني المحقق الأسئلة نفسها. قلت له: سيدي أنت لم تسألني أي سؤال ومباشرة تم تعذيبي، ألا يجب أن أعرف ما السبب؟ فقال لي: لا داعي لأن تعرف ماذا فعلت لأنك أنت بالأساس تعرف، أخبرني كيف فجرت الألغام.

كنت مستغربًا من سؤاله عن موضوع الألغام، الموضوع الذي اعتقلت من أجله لم يتكلم معي فيه ولا كلمة، انتقل فورًا إلى موضوع الألغام والعبوات الناسفة وضرب حواجز وتفخيخ السيارات، قلت له: كل الذي

سألتني عنه لا أعرف أي شيء عنه. قال المحقق: لا، أنت فعلت ذلك. قلت له: سيدي أنا طالب أدرس، تستطيع أن تسأل عني، ليس لي أي علاقة بكل هذه الأمور. قال لي: أنت لك علاقة أنت مجرم خطير وأنت إرهابي.

أصبح التعذيب يزيد يومًا بعد يوم، الشبح كان لا يقلّ عن خمس ساعات، ويكون هناك ثلاثة سجانين ينهالون علي بالأكبال الرباعية، وشخص يضربني على يدي. وصلت إلى مرحلةٍ بتُّ لا أستطيع الوقوف على قدمي، هنا أصبحوا يضعوني على بطانية وينزلوني إلى غرفة التعذيب ويعيدوني إلى غرفة المهجع، بقيت خمسة عشر يومًا، أصبحت يدي نصف مشلولة لا أستطيع لمس شيء، حتى إني كنت لا أستطيع تحريك يدي.

تعب جسدي هائل، ولم أعد أحتمل الضرب، فقلت للمحقق: أحضر ورقة فارغة وأنا أبصم لك عليها ما تريد، واكتب ما تشاء وأنا أبصم لك عليها. قال لي المحقق: لا تتمّ الأمور هكذا، نريد منك أن تساعدنا، لا نستطيع أن نعمل بمفردنا، نحن لسنا من أبناء المنطقة حتى نعرف، يجب أن تساعدنا. أصبح يسألني كيف أخذنا ابن الضابط، ومن أي مكان، وماذا فعلنا معه، بعدها انتقل إلى موضوع الألغام والعبوات الناسفة وضرب الحواجز. اعترفت، رغم أني لا أعرف ما هي الألغام، وكيف شكلها، حتى العبوات الناسفة اعترفت عليها تحت التعذيب، وبعدها بصّمني على ورقة.

بعد أن بصّموني على الاعترافات التي كتبها المحقق بناءً على كلامه وكذبه، وبعد شهر من التعذيب تركوني مدة ثلاثة أيام من دون ضرب.

اللحظات الفاصلة ما بين الموت والحياة، ورقة صغيرة وخمسة ملايين قررت مصيري

يقول عبد الستار: نُقِلنا في ساعات الصباح الباكر، ووضعونا في باصات، كنا مكبلي الأيدي ومعصوبي الأعين، ركبنا في الباص، وانطلق بنا الباص إلى مصير مجهول ينتظرنا، وبرفقة الباص دورية فيها عدد كبير من الشرطة العسكرية والضباط؛ لأنهم كانوا يخافون من هروب السجناء وهم مكبلون بجنازير.

بعد ثلاث ساعات توقفت الباصات، وبعدها فتحوا باب الباص ونزل كل الجنزير، وضعونا في ساحة، هنا عرفت أني وصلت إلى "الفرع 285"[14] (شعبة المخابرات العامة في سورية لأمن الدولة).

كان الاستقبال والترحيب بنا بتجريدنا من كل ملابسنا، بعدها قمنا بحركات تدعى الحركات "الأمامية والخلفية"، وقفنا صفًّا واحدًا، كانوا يوجهون لنا كلامًا بذيئًا، ويسمعوننا سبًّا وكفرًا لا يوصف، لم أسمع طوال حياتي كلها مثل هذه الألفاظ القبيحة. بقينا ثلاث ساعات في الساحة، بعدها أدخلونا إلى غرفنا بعد أن سلمنا الأمانات.

كان هناك سجان اسمه "مصطفى"، أمسك إضبارتي وسألني: ما اسمك؟ قلت له اسمي. فقال لي: ما هو جرمك؟ قلت له: الاعتراف موجود عندك في الإضبارة. قال لي: أنت معترف على ألغام وعبوات ناسفة وضرب حواجز، إضبارتك جميلة. قلت له: هذه الجرائم والاعترافات كلها تحت التعذيب، ولا شيء مثبت يدل عليّ. بعدها قال لي: موجود في الإضبارة ابن ضابط بالاعتراف. قلت له: هذا ابن الضابط شخص منافق كذاب. السجان من شدة حقده صار يكفر ويسب وأمسك شاربه وقال لي: لن أتركك اليوم حيًّا، اليوم آخر يوم لك. وأنا فعلًا صدقت أنه سيكون آخر يوم لي. ثم دخلنا إلى غرفة، عرضها متر ونصف وطولها ثمانية أمتار، كان هناك حمام وتواليت. في الخمسة عشر يومًا الأولى كنا داخل الغرفة مقيّدي الأيدي ومعصوبي

١٤ - يتبع "الفرع ٢٨٥" لإدارة أمن الدولة أو كما يُسمى جهاز إدارة المخابرات العامة، والذي يتبع بدوره لوزارة الداخلية، ويقع الفرع المذكور بين مشفى المجتهد ودوار كفر سوسة، ويطل على شارع "أبو الدرداء" وهو موجود ضمن مجمع أمني ضخم يضم إلى جانبه الفرع الإداري في إدارة المخابرات العامة، ويحتوي على العشرات من أماكن وغرف الاحتجاز، ويعد هيئة التحقيق الرئيسة لجهاز أمن الدولة.
ووثق تقرير لـ"مركز توثيق الانتهاكات في سوريا" بعض أساليب التعذيب في "الفرع ٢٨٥" التي تنوعت واختلفت شدتها بحسب التهم الموجهة إلى الشخص أولًا، وبحسب السجان الذي كان يقوم بعملية التعذيب الممنهجة ثانيًا. ومن هذه الأساليب: قلع الأظافر، والضرب على جميع أنحاء الجسم، ولا سيّما الأعضاء الأكثر حساسية وهشاشة، وإطفاء أعقاب السجائر بجسم المعتقل، خاصة في منطقة اليد والظهر، وحرمان الأشخاص الذين تعرضوا للتعذيب من الدواء لتطبيب الأمراض والكدمات والجروح الناتجة عن التعذيب، والضرب الشديد أثناء الذهاب إلى "التواليت"، ما كان يؤدي بعدد من المعتقلين إلى عدم تناول الطعام نهائيًّا -أو بشكل خفيف- حتى لا يضطروا للذهاب إلى الحمام. ومنها أيضًا سكب الماء الساخن على أجساد المعتقلين وغالبًا على منطقة الظهر والكتف.

الأعين، بقيت خمسة عشر يومًا واقفًا على قدمي ووجهي إلى الحائط. كان هناك سجانون خارج الغرفة ينظرون إلينا من خلال فتحة صغيرة في الباب تدعى "طاقة". كنا ننام ثلاث ساعات فقط، ننام ونحن واقفون، وأثناء إحضار الطعام كان السجان في الصباح الباكر يصرخ بأعلى صوته "كلب الغرفة"، ويدخل الفطور الذي لا يُؤكَل، وهو عبارة عن رز مسلوق فحسب، يوضع الطعام في "قصعة"، ونتناول الطعام، يقول لنا السجان الكل يتجه إلى هذه الجهة، وكنا نجلس نصف جلسة على ركبنا ونتناول الطعام بسرعة، وأي شخص يجلس كان يُضرَب ضربًا مبرحًا حتى يفقد وعيه.

من كثرة الوقوف أصبحت قدماي بحجم الطبل، حيث تجمع الدم كله أسفل قدميّ اللتين تشققتا وخرجت منهما دماء كثيرة.

بعد مضي خمسة عشر يومًا وضعونا في غرفة صغيرة، فيها أكثر من ١٣٠ سجينًا، وكان هناك فتحة صغيرة في الباب، وفي منتصف الفتحة قاطع من أجل أن نضع أيدينا في هذه الفتحة ويضربنا السجان بالهِراوة على أيدينا.

وذات يوم كنت أنا و"محمد قتالي" نتحدث بصوتٍ منخفض ظنًّا منا أن السجانين لا يوجد أحدٌ منهم في الخارج يسمعنا، قال لي محمد: هنا كأنهم مجرمون وظالمون أكثر من الذين كانوا في "فرع إدلب".

قلت له: الله يعلم، ربما. سمع السجّان حديثنا، وقال لنا أن نضع أيدينا من خلال الفتحة الصغيرة، وانهال علينا بالضرب المبرح بعصا ثخينة بكل ما يحمل من حقد على أيدينا بواسطة الهراوة، ومن شدة الألم صرت أصرخ بأعلى صوتي، وصار الدم يخرج من يدي، وبقيت مدة خمسة عشر يومًا لا أستطيع تحريك يدي.

من شدة التعذيب الذي تعرضت له داخل هذا الفرع، كانوا يضعوننا على بطانيات لإدخالنا إلى غرف التعذيب، ويتم تعذيبنا، وبعدها يرجعوننا إلى غرفة المهجع؛ لأننا وصلنا إلى مرحلة لم نعد نستطيع تحريك أقدامنا.

حتى الطعام قاموا برميه داخل التواليت، وبعد أن يُرمى الطعام في التواليت يقول لنا السجان: اذهبوا لتتناولوا طعامكم من التواليت. ومن

شـدة الجـوع كنـا نضطـر إلى تناولـه، فقـد وصلنـا إلى مرحلـة لم نعـد نسـتطيع مقاومـة الجـوع.

وكان هنـاك العديـد مـن السـجناء الذيـن كانـوا معنـا ماتـوا مـن شـدة التعذيـب والجـوع، فخـلال مـدة خمسـة عـشر يومًـا مـات سـبعة أشـخاص.

مـا زلـت أذكـر تلـك الحادثـة بعـد أن أُغلِـق التواليـت داخـل المهجـع، وأصبحنـا نقـضي حاجتنـا خـارج المهجـع، وهنـاك السـجانون والعسـاكر الذيـن يطوقـون المـكان، فنخـرج مكبـلي الأيـدي ويتـم ضربنـا بالعـصي الثخينـة إلى أن نصـل إلى التواليـت، ندخـل كل خمسـة أشـخاص دفعـة واحـدة ويعـد السـجان ثـلاث عـدات، وأي سـجين يتأخـر قـد يلاقـي حتفـه؛ حيـث يطلـب منـه السـجان أن يقـف جانبًـا ويحـضر منشـفة ويضعهـا عـلى رأسـه، ويضربـه بعصـا عـلى قلبـه خمـس ضربـات حتـى يمـوت السـجين، بعدهـا يتـم رمـي السـجين ونقلـه إلى خـارج السـجن ثـم دفنـه في مقابـر جماعيـة.

بعـد مـضي عـدة أشـهر داخـل هـذا الفـرع الـذي كلـه تعذيـب ومـوت، وبعـد أن انتهـى التحقيـق معـي، قامـوا بفـرز كل شـخص حسـب جرمـه؛ أنـا ومحمـد وأحمـد وشـخص مـن مدينـة "بنـش" يدعـى "أبـو المجـد" نُقِلنـا إلى "فـرع الخطيـب"[15]. بقيـت أسـبوعًا داخـل "فـرع الخطيـب" لم يضربنـي أحـد؛ لأننـي كنـت "إيداعًـا" بعدهـا تحولـت إلى "فـرع الفيحـاء" وبقيـت مـدة عشريـن يومًـا، ثـم نُقِلـتُ إلى القابـون "فـرع الشرطـة العسـكرية".

---

١٥ - الفـرع الداخـلي ٢٥١ (فـرع الخطيـب)، يقـع في منطقـة الخطيـب بـين سـاحة الخطيـب وشـارع بغـداد بالقـرب مـن مشـفى الهـلال الأحمـر السـوري في دمشـق، ولهـذا سُـمي بفـرع الخطيـب. يتألـف مـن بناءيـن سـكنيين داخـل منطقـة سـكنية يقطنهـا مدنيـون، شـغل اللـواء توفيـق يونـس منصـب رئيـس الفـرع، وذلـك خـلال الفـترة الممتـدة بـين ٢٠١١ و٢٠١٦. ويتبـع الفـرع لجهـاز أمـن الدولـة (إدارة المخابـرات العامـة بكفـر سوسـة).
قبـل الثـورة السـورية كان هـذا الفـرع ذا سـطوة عـلى العاملـين في الدولـة؛ حيـث يحـوّل الموظفـون إليـه لأسـباب أمنيـة لينالـوا فيـه حظهـم مـن التعذيـب. كذلـك يـشرف الفـرع عـلى إعطـاء الموافقـات الأمنيـة للطـلاب في الجامعـات والمعاهـد السـورية.
وبعـد انـدلاع الثـورة السـورية اشـتهر هـذا الفـرع بارتـكاب العاملـين فيـه جرائـمَ مروعـة مـن تعذيـب وقتـل بحـق المعتقلـين فيـه، بمـا في ذلـك جرائـم الاغتصـاب التـي ارتكبهـا عنـاصر الفـرع في الزنازيـن الخاصـة بالنسـاء. كـما تـم توثيـق الكثـير مـن أسـماء المعتقلـين الذيـن استشـهدوا تحـت التعذيـب في هـذا الفـرع.

في "سـجن القابـون" كان العسـاكر يأكلـون عـلى حسـابنا، وكان هنـاك برقيـات تصـل مـن أجـل تحويـل السـجناء إلى "سـجن صيدنايـا"، كنـت خائفًـا، بعدهـا طلبنـي القـاضي أنـا ورفيقـي أحمـد، وسـألني عـن الاعترافـات التـي في الإضبـارة، أخبرتـه بـأن الاعـتراف كلـه كان تحـت التعذيـب. صـار القـاضي يضحـك، خرجـت مـن عنـده ثـم حُوِّلـت إلى "المحكمـة العسـكرية" وتـم اسـتدعائي إلى القـاضي الـذي سـألني عـن الاعـتراف، أخبرتـه بأنـه كلـه كان تحـت التعذيـب، لكنـه كان غـير مصـدق لكلامنـا، وصـار يضحـك، فأعطـاني برقيـة صيدنايـا وعندمـا شـاهدت البرقيـة "سـجن صيدنايـا" شـعرت أن قلبـي توقـف. لبسـت بدلـة لونهـا أزرق، وتـم وضعنـا في سـيارة لحمـة، فقلـت في نفـسي في هـذا السـجن سـوف أمـوت ولـن أرى أهـلي مجـددًا. انطلقـت بنـا السـيارة، مشـينا مسـافة سـاعة، وبعدهـا توقفـت السـيارة فجـأة، نـزل الجنزيـر كلـه، بعدهـا أمسـك العسـكري ورقـة وصـار يقـرأ بعـض الأسـماء، كان اسـمي مـن ضمـن الأسـماء ومعـي رفيقـي أحمـد، ركبنـا في سـيارة ثانيـة واقتادونـا، وبعـد مـضي سـاعتين وصلنـا إلى "سـجن عـدرا".

كانـت فرحـة كبـيرة رغـم أننـي نقلـت إلى سـجن، لكـن المهـم لم يتـم نقـلي إلى سـجن المـوت.

وصلنـا إلى "سـجن عـدرا"، كانـت الحيـاة داخـل هـذا السـجن حيـاة مدنيـة، ولكـن كان هنـاك ظلـم كثـير مـن قبـل العسـاكر والضابـط للسـجناء.

حـضرت جلسـات محاكـم، أول جلسـة تحقيـق كانـت عنـد قـاضي اسـمه "محمـد الصالـح" سـنة 2015، ثـمّ حولـوني مبـاشرة إلى الجنايـات عنـد القـاضي "رضـا مـوسى" وحـضرت عنـده عـشر جلسـات، كانـت أحكامـي ثقيلـة. بعدهـا اسـتلم قضيتـي قـاضٍ وقاضيـة اسـمها "زهـرة"، وبعـد مـضي خمسـة أشـهر اسـتطاع أهـلي الوصـول إلى محـامٍ طلـب مبلغًـا ماليًّـا، قـدره أحـد عـشر مليـون لـيرة سـورية، ولكـن وضـع أهـليَ المـادي لا يسـمح بدفـع هـذا المبلـغ، وبعـد محـاولات عديـدة خفـض المبلـغ إلى خمسـة ملايـين. دفـع أهـلي خمسـة ملايـين لـيرة سـورية حتـى اسـتطعت الخـروج إلى الحريـة.

خرجـت مـن سـجون المـوت إلى الخـارج، لكـن نتيجـة الاعتقـال لسـنوات طويلـة ضـاع مسـتقبلي ودُمِّـر، ومـا زال أهـلي يتحملـون ديونًـا حتى هـذه اللحظة،

ودراستي ضاعت، حتى المحل الذي كنت أعمل فيه تدمّر بالقصف، وكل شيء كنت أحلم فيه قد تدّمر واختفى وضاع منذ لحظة اعتقالي.

بدأت الآن من الصفر حتى أُعيد ولو جزءًا بسيطًا من الذي ضاع مني ومن مستقبلي.

السردية السادسة



الاعتقال من خلال نصب كمين

و

العنف الجنسي

منى دياب فاتو تبلغ من العمر ٣٨ عامًا، تنحدر من مدينة حلب، تعمل كوافيرة، اعتقلت في تاريخ 10/8/2012 وبقيت معتقلة حتى أفرج عنها في تاريخ 1/1/2013.

تقول منى: كنت أعيش في حي سيف الدولة في مدينة حلب، وعندي محلّان؛ أحدهما شراكة والآخر ملك لي. كنت كوافيرة، وكان بيتي قريبًا من "جامع آمنة" في حي سيف الدولة، وكنت أشاهد المظاهرات كيف تخرج وتهتف للحرية كل "جمعة". كان الوضع في جسر الشغور سيّئًا وقتها، وكان هناك قصف شديد، وأهلي كانوا في مدينة جسر الشغور، فنزح قسم منهم إلى منزلي في مدينة حلب، وتوجه قسم آخر إلى ريف اللاذقية. من شدة القصف الذي تعرضت له جسر الشغور بقي فيها نسبة قليلة من سكانها. كانت لدي سيارة خاصة، وكنت أذهب إلى مدينة جسر الشغور وأقدم لهم بعض الإغاثات قدر استطاعتي، وأقوم بنقل المصابين والجرحى نتيجة القصف إلى المشافي. بقيت في عملي هذا منذ سنة ٢٠١١ حتى 2012، وكان عملي ضمن المناطق المحررة "حلب وريف اللاذقية وجسر الشغور".

وذات يوم اتصلت إحدى الزبائن التي تأتي إلى صالوني وأخبرتني أنها تريد أن تلتقي بي، وأن لديها مشكلة، وتريد مني أن أذهب معها، ثم نذهب بعدها إلى بيت أهلها لتناول الغداء، فذهبت للقائها بسيارتي. كانت تنتظرني، وركبت معي، وصلنا إلى نزلة السريان فنزلَت لتشتري رصيدًا لجوالها. أمسكتُ جوالي حتى أخبر الشباب الذين أقدّم لهم إغاثة بأني سوف أتأخر بعض الوقت، ولكن تفاجأت بسيارتين أمامي وسيارة خلفي، وقبل أن أرسل الرسائل كان سلاحهم مصوّبًا فوق رأسي. قالوا لي: أهلًا "أبو علي". كنت مصدومة ولا أدري ماذا أفعل، وعرفت بعدها أن هذه الصديقة كانت تراقبني عندما كنت أتردد إلى المناطق المحررة، وبقيت تراقبني لفترة عندما تأكدت من ذهابي إلى المناطق المحررة لأخذ مواد إغاثية للنازحين،

واتفقت مع شخص اسمه "مصطفى كامل".

اعتُقِلت عن طريق نصب كمين لي في تاريخ ٢٠١٢/٨/١٠، ووُضِعتُ في سيارة شبيحة النظام السوري. اقتادوني إلى "فرع الأمن"، ووضعوا الكيس في رأسي، وطوال الطريق كانوا يضربونني. ضربوني على رأسي وجسدي ووجهي، وكانوا يوجهون إليّ مسبّات على كل حاجز تقف سيارتهم عنده ويقولون لهم: انظروا إلى هذه العاهرة. كان الكلام بذيئًا لدرجة يصعب سماعه.

توقفت السيارات، أنزلوني في مكان في الميدان بحلب (منطقة كلها شبيحة)، نزلت في محل تشبيح لهم، ضربوني وأهانوني وتكلموا معي كلامًا أصعب من الموت والضرب، فضلًا عن الضرب العشوائي بأحذيتهم وبالعصي الكهربائية.

بعدها نُقِلتُ إلى "الأمن السياسي" في مدينة حلب، دخلت إلى السياسية، ودخل معي هذا الشخص الذي يُدعى "مصطفى كامل". كان هناك شخص تقدم نحوي، وكنت معصوبة العينين ومكبلة اليدين وانهال عليّ بالضرب، لم أكن أعرف من أين يأتيني الضرب، بعدها جاء أشخاص معه وانهالوا عليّ بالضرب وقاموا بركلي، وضربي بالعصي الكهربائية. من شدة الضرب تبوّلت وصار معي نزيف، تعبت كثيراً ولم أعد أستطيع الحركة، بعدها جاء المحقق وطلب منهم أن يتوقفوا عن ضربي، قال لهم: ابتعدوا عنها. بعدها قال لي: اجلسي. كان وضعي ساعتها يُرثى له، ولم أعد أستطيع الحركة.

بعدها أصبح المحقق يتكلم معي ويقول: أنت امرأة جيدة وستقومين بمساعدتنا. أخذ تلفوني وبعدها صار التلفون يرن، وكانت إحدى صديقاتي تتصل، أعطاني التلفون وطلب مني أن أردّ على المكالمة. تحدثت معها بشكل طبيعي، تكلمت معها ولم أدعها تشعر أني معتقلة بعدها أغلقت التلفون وأخذه مني المحقق.

كان المحقق يريد أن أسلمهم عناصر من الجيش الحر، كانت التهمة التي وجهها لي هي أني أريد خطف "مصطفى كامل" واستدراج عساكر وضباط.

أنكرت هذا الكلام كله، وقلت له: أنا كوافيرة أذهب إلى إدلب؛ لأنّ

صالوني تعرّض للدمار، وليس عندي محل فأضطر للذهاب إلى إدلب من أجل عملي، وأعود إلى منزلي، لدي ثلاثة أطفال ومسؤولة عنهم، وأريد أن أعيش، وبقيت مصرّة على اعترافاتي.

بعدها قاموا بوضعي على بساط الريح، رفعوا قدمَيّ، وانهال ثلاثة أشخاص عليّ بالضرب بكبل رباعي مزّق جلدي، وأصبح الدم ينزل من قدمي، وكان هناك شخص يضربني على يدي ، ثمّ فقدت وعيي، بعد ذلك نقلوني ووضعوني في غرفة منفردة هي عبارة عن تواليت، كانت مقرفة فيها حنفية مياه، أشرب من هذه الحنفية، ومُنِعت من كل شيء، كان صوت المياه التي تنقط نقطة نقطة مزعجًا في الليل لدرجة تشعرني أني في حياة أخرى؛ حياة مظلمة، كانت منفردة مظلمة جدًا لا يوجد إنارة نهائيًا ، كنت أسمع أصوات التعذيب تملأ كل مكان في السجن، خاصة في منتصف الليل، صراخ التعذيب والتوسل إلى هؤلاء الجلادين، ولكن كانوا يزيدون في قسوتهم وتعذيبهم.

وفي الصباح كانوا يخرجونني لقضاء حاجتي، وعندما كنت أخرج كنت معصوبة العينين ومكبلة اليدين أمشي من فوق الجرحى، كانوا يضعون المعتقلين المصابين قرب التواليت والدماء تسيل منهم، كانت معاملتهم وحشية وخالية من الإنسانية، كانوا وحوشًا على هيئة بشر.

بقيت مدة عشرة أيام في هذه المنفردة، وبعدها وُضِعتُ في غرفة المهجع التي كانت أسوأ ألف مرة من غرفة المنفردة.

رحلة الموت البطيئة داخل المطار العسكري

بعد مضي عشرة أيام خرجت من غرفة المنفردة ووُضِعت في غرفة المهجع. كانت صغيرة، وفيها أعداد كبيرة، أكثر من مئة سجين، عائلات بكاملها؛ أطفال رضّع معنا.

أكثر موقف أثّر فيَّ ولا أنساه هو طفل عمره عشر سنوات اعتُقِل مع والده الذي كان أمام مسجد، وبحسب كلام الطفل إنّ والده كان يخرج

جوازات سفر، فاعتقلوا والده واحتفظوا بالطفل، ووضعوا الأب في غرفة التحقيق.

الطفل كان يبكي بكاءً يحرق القلب ويصلّي ويدعو أن يفكّ الله أسر والده. وُضِع الطفل بين السجناء في غرفة موزّع؛ لأن الغرف كلها ممتلئة بالسجناء، وقتها كل السجناء تأثروا بهذا الطفل، الكل أصبح يبكي، بقي الطفل على هذه الحالة لليوم الثاني حتى أطلقوا سراح والده بعد أن تعرّض للضرب والتعذيب.

كانت كلّ دقيقةٍ عشتها داخل فرع السياسية بمئات السنين، إهانات سمعتها وأصوات التعذيب، وشاهدت كيف الشباب والنساء يتعرضون للتعذيب، وكيف الدماء تنزف من أجسادهم وأقدامهم من شدة الضرب، وكيف يحملون الأموات إلى خارج السجن. كل هذا لا يزال راسخًا في مخيّلتي.

كنت دائمًا أتعرض للتعذيب، وذات مرة وُضِعت في غرفة تعذيب، فتفاجأتُ بامرأةٍ، كانت معصوبة العينين وكانوا يضربونها بالكبل، ومن ثم ضربوها بالعصا الكهربائية، كان معها زوجها وكان يعاني من مرض في القلب، واثنان من أولادها، وكان قسم من أولادها موجودًا في الكنيسة، كانت تصرخ وتبكي كثيراً على أولادها. كان طفلها الصغير، وابنتها الوحيدة، وعمرها ست سنوات، قد بقيا في الكنيسة. اعتُقِلت مع زوجها وطفليها بتهمة إدخال سلاح إلى الكنيسة، وتعرضت للتعذيب هي وأولادها، حتى إنّ أحد أطفالها من شدة التعذيب الذي تعرض له لم يعد يحتمل، فأصبح يقول: أمي مجرمة تدخل سلاحًا. من شدة الضرب اعترف الطفل بما يريدون، فجسمه الصغير لم يعد يحتمل الضرب، أمّا طفلها الآخر فكان ينكر ويقول: نحن لا نعرف شيئًا عن السلاح. وُضِع الطفل الذي ينكر في غرفة منفردة من دون طعام بين الحشرات والقمل.

كانوا يضربوني على قدمي، ومن شدة الألم تتشقق ويخرج الدم منها، وكان أصعب شيء أن يجبروني بعد الضرب والجلد على أن أقف على قدمي، فكنت أشعر وكأني أمشي على سكاكين. كان الضرب عشوائيًّا، وأكثره كان على رأسي، وقد جاءت ضربة قوية فجأة على أذني، وضعت يدي على أذني حتى

أتأكد من أنها موجودة؛ لأنني أحسست أنني فقدت أذني، بعدها قاموا بصعقي بالكهرباء حتى يُغمى علي وأفقد وعيي ولا أشعر بأي شيء. وكان هناك أوساخ وقمل وأمراض منتشرة داخل السجن، حتى الحمام كان بمياه باردة والطعام وجبة واحدة وكانت وجبة لا تُؤكل.

بقيت داخل هذا الفرع في حلب خمسين يومًا، بعدها جاء سجان وأخبرني أن أخرج معه، ظننت أنني سوف أخرج من السجن، ولكن عندما سلموني أغراضي التي كانت معي هنا عرفت أني سوف أُنقَل إلى مكان آخر أو سوف يتم إعدامي.

تحولت من "فرع السياسية" في حلب، وكان معي عشرون شابًّا، وكنت المرأة الوحيدة بينهم. ذهبنا من طريق إيكاردا، وكنا مكبلي الأيدي ومعصوبي الأعين، وصلنا إلى "مطار حلب الدولي" وبقينا من الصباح إلى المساء، كان هناك كثير من الناس الذين يتم نقلهم مع عساكر مصابين بالمطار، كان الذل والتعذيب الذي تعرضت له هناك يعادل الخمسين يومًا التي عشتها داخل "فرع السياسية"؛ ضرب بالأكبال، وتهديد بالاغتصاب والقتل وتهديد بالموت البطيء، وأنهم سوف يلقون بنا من الطائرة، ضرب بالأحذية العسكرية من قبل العساكر، لا أعرف من أين يأتيني الضرب، وكلام بذيء؛ فقد كانت أقل جملة "يا حيوانة لماذا فعلتِ ذلك؟" كان الضرب لا يوصف حتى الدماء ملأت كل مكان.

بعد أن وصلنا إلى مطار دمشق تم صفعي على وجهي، بعدها وضعونا في باصات، انطلقت بنا ووصلت إلى فرع جديد "فرع السياسية الفيحاء". كان البرد شديدًا حينها، وعند دخولي إلى الفرع أخذوا مني الأمانات وسألوني عن اسمي، وبعدها وقفت بجانب الحائط ويداي لِفوق، بقيت واقفةً مدة ساعة، وبعدها وُضِعتُ وحيدةً في غرفة، وكنت مريضة ومتعبة جدًّا. كان طول الغرفة ثلاثة أمتار، وعرضها ثلاثة أمتار، وكان الجوّ باردًا، بكيت مرةً لأني كنت متجمدة، كنت متجمدة من شدة البرد ومريضة، أعطوني أغطية تغطيت ونمت من شدة تعبي.

في صباح اليوم الثاني في "فرع الفيحاء" دق على الباب أحد العساكر

وقال لي: أعطيني القصعة، فصرت أتلفت حولي ماذا يقصد؟ ماذا يريد؟ فأنا لم أكن أعرف ما هي القصعة. قال لي بصوت مرعب: "هذه يا حيوانة". أعطيته إياها وسكب لي القليل من الشوربة وهي عبارة عن مياه ساخنة معها قليل من العدس، لم يكن هناك ملعقة، لم أكن أعرف كيف سأتناولها، فقلت له: "أريد ملعقة". فقال لي: "تريدين ملعقة؟ هذا بيت أبيك يا...". كان كلامًا أصعب من الموت، وقتها قمت باحتساء الشوربة بيدي، وكانت أول مرة آكل شيئًا ساخنًا منذ خمسين يومًا.

جاء السجان وقال لي: استحمي، أحضري قليلًا من مسحوق الغسيل. لأنه كان قد مرّ خمسون يومًا من دون حمام، فكانت رائحتي مقرفة. فقلت له: ماذا سألبس؟ فقال لي: ثيابك أيتها الحيوانة. استحممت في مياه باردة، كان البرد قارسًا، وبعد أن انتهيت غسلت ملابسي، وقمت بلفّ نفسي بواسطة حرام حتى تجفّ، وبعدها ارتديت ملابسي وكانت رطبة، فمرضت وقتها، ولم أعد أستطيع الحركة. أصابني رشح قوي، وكان وضعي الصحي سيئًا لدرجة أنني شعرت بأني سوف أموت من شدة التعب الذي أصابني.

بعدها طلبني المحقق إلى غرفة التحقيق، وجاء سجان وقال لي: جهزي نفسك. كانت ثيابي مهترئة، ووضع العصبة على عينيّ والكلبشات في يديّ، وصلت إلى أمام غرفة التحقيق، طرق سجان الباب قال له: سيدي. دخلت كان أربعة أشخاص في غرفة التحقيق، أعاد التحقيق نفسه الذي حُقِّقَ معي في "فرع السياسية" في حلب. قلت للمحقق: أنا أعمل بالإغاثة. قال المحقق: لا أنت قاتلة، وأنتِ تسلّمين عساكرنا إلى الجيش الحر. قلت له: سيدي هذا الكلام كله كذب. قال لي: لا تجعليني أضعك تحت سابع أرض وأخفيكِ. فقلت له: ماذا تريد أنا جاهزة، ولكن أنا لم أفعل شيئًا ولا أعرف شيئًا. خرج من غرفة التحقيق ثلاثة ضباط ومحقق، وبقي محقق اسمه "محمد"، قال لي: "اجلسي". وطلب لي كأس شاي، قال لي: سوف أساعدك، أنت لن تطول إقامتك هنا، عشرة أيام وسوف تخرجين وستتحولين إلى القاضي. قلت له: أكيد؟ قال لي: عندما تصل إضبارتك أنا سأساعدك، وبعد عشرة أيام سوف تخرجين، وترين أولادك وعائلتك.

الخروج بعملية تبادل أسرى

بعد مضي عشرة أيام صاحوا باسمي "منى"، خرجت وكنت فرحة، قلت: الحمد الله وأخيراً سوف أخرج. تم تحويلي إلى محكمة ميدانية إلى "محكمة الإرهاب"، بقيت ثلاثة أيام وأنا أذهب إلى محكمة الإرهاب، والقاضي يرفض مشاهدتي ويعيدني إلى القاضي بكفر سوسة، بقيت ثلاثة أيام أنام في كفر سوسة مع السجناء؛ لأن قضيتي كانت مدعومة.

تحولت إلى القضاء، وبعد أن قضيت مدة الخمسة أشهر في "فرع الفيحاء" تحولت إلى "محكمة الإرهاب" مع ست سجينات، أطلقوا سراح ثلاث سجينات، ونحن الثلاث مثلنا أمام القاضي. سألني: أنت ماذا فعلتِ، وعلى ماذا وقّعتِ؟ قلت له: تحت التعذيب. قال لي: أنت لديك أرقام الإرهابيين. قلت له: هؤلاء ليسوا إرهابيين، أنا كنت أعمل كوافيرة، أخرج إلى إدلب، لم أشاهد سلاحًا ولا أعرف شيئًا. اعتبر هذا الكلام جريمة أوقفني على أساس أني اعترفت.

بعدها تم تحويلي إيداعًا إلى "سجن عدرا"، عندما دخلت إلى "سجن عدرا" كان وضعي يُرثَى له، استحممت وارتحت، بقيت مدة أسبوع، وفي كل يوم أستيقظ من الصباح الباكر وأجهز نفسي من أجل خروجي، ولكن اكتشفت أنني منسية.

نقلوني ضمن "سجن عدرا" من غرفة الأمانات إلى غرفة الإيقاف، بقيت شهرين، بعدها جاء خبر إطلاق سراح معتقلين بناء على عفو صدر في الشهر الثالث بقرار من بشار الأسد في عيد الأم، وكان اسمي الوحيد وقتها الذي يشمله العفو، وقال لي المحامي أنور البني: منى أنتِ الوحيدة التي سوف تخرجين؛ لأنّ قضيتك جنحة. شعرت بالفرح، بعدها أخذوني إلى المحكمة، وتم تصويري على أساس أنّه سوف يتمّ إطلاق سراحي، وسيأتي المحامي إلى السجن حتى يستلمني، ولكن كل هذا كان تمثيلًا.

بعد ثلاثة أيام جاءت دورية، وضعوني في سيارة، وضعوا العصابة على عينيّ والقيود في يديّ، تكلمت مع السجان "علي" وقلت: إلى أين ستأخذونني؟ قال لي: أنت ماذا فعلت؟ قلت له: أنا لم أفعل شيئًا. قال لي:

منى ماذا فعلتِ؟ أنا هنا قلت في نفسي ستكون نهايتي؛ لأني سمعت إشاعة أنّ هناك سجناء سوف يتم نقلهم إلى إيران أو إعدامهم، قلت في نفسي سوف أُعدَم.

أصبحت أتوسل إلى السجان طالبةً منه هاتفًا، قال لي: لا أستطيع، المقدم معي. قلت له: خذ الحلق والخاتم واتركني أجري مكالمة. قال لي: أنا سأجري المكالمة وأنت ضعي السماعة على أذنك وتكلمي. قلت له: حاضر. عندما توقفت السيارة نزل المقدم يحضر الطعام استطعت التحدث بالتلفون، اتصلت بالمحامي أنور البني، قلت له: أنا لا أعلم إلى أين سيأخذونني. وأغلق السجان التلفون. فأخبر "أنور البني" الجميع، ونشر على وسائل التواصل الاجتماعي أني خُطِفت من قبل فرع الأمن.

دخلت إلى "الفرع 285"، وضعوني في غرفة طولها ثلاثة أمتار، وعرضها متران، فيها حمام وكاميرات مراقبة، كنت وحيدةً داخل الغرفة، فأضربت عن تناول الطعام.كنت أسمع أصوات التعذيب، وأشاهد الشباب كيف تُلَفُّ جثثهم وتُرمَى.

بقيت مدة أسبوع داخل هذه الغرفة، بعدها أحضروا امرأة حُبلى، اسمها "ناديا تعتاع"، كانت في الشهر السابع من الحمل. من شدة الرعب والخوف أصابها نزيف، طلبوا لها طبيبًا، بعدها نُقِلَت إلى مشفى، وكنت قد أعطيتها ورقة عليها رقم "أنور البني" كي تخبره عن مكاني، وأني أضربتُ عن الطعام.

بعدها أحضروا بنتًا اسمها "عفاف" وأصبح العدد يزداد، ووصل إلى ثلاث وعشرين بنتًا، وكانت الغرفة صغيرة فكنا ننام "تسييفًا". بقينا ثلاثة أشهر وخرجنا بعملية مبادلة أسرى.

سلّمونا أغراضنا، وبقيتْ ثلاث بنات، معهم بنت ناشطة إعلامية اسمها "عبير"، خرجت وأنا أبكي عليها بحرقة. أعطوني مهلة ثمانٍ وأربعين ساعة للخروج من مناطق النظام، بعدها سيكونون غير مسؤولين إذا تمّ القبض علي، أعطوني رقمًا خاصًّا للتواصل معهم إذا أوقفني أي حاجز؛ لأنه ليس هناك ختم على يدي، استلمني المحامي في كفر سوسة مع أذان المغرب،

في اليوم الثاني ذهبت إلى الكراج، وكان معي ورقة إخلاء سبيل، ذهبت إلى الشمال السوري المحرر، ولكن آخر حاجز أوقفني، فنمت ليلة عند الحاجز وكان لا يريد أن أعبر حتى تنتهي مدة الثماني والأربعين ساعة، تكلمت مع العميد، وقال لهم إنه يجب أن أعبر، كان أهلي عند دوار بلدة التمانعة ينتظرونني.

عندما خرجت من السجن ظننت أن الدنيا ستكون بخير، لكنها لم تكن كذلك. بعد خروجي من السجن استُشهِد أخي، عائلتي كانت تُراعي مشاعري، فقد أصبحتُ عصبية، خسرت كل شيء، دُمِّرت، رجعت تحت الصفر. التعذيب النفسي أصعب من الموت، المجتمع بشكل عام رفضني، حتى لو لم يتكلموا فأنا أشاهد هذا من خلال عيونهم ونظراتهم، هذا الشيء يدمرني من الداخل، ما هو ذنبي؟ أني كنت معتقلة وخرجت ضد الظلم؟!

فقدت أسناني، تعالجت مدة ثلاثة أشهر في المناطق المحررة، وعصب قدمي تعرض للعطب، وظهري ورأسي يؤلماني من شدة الضرب.

ولكن الحمد لله ما زلتُ واقفة؛ لأن عندي أملًا برب العالمين أنه سوف يظهر الحق وسوف ننتصر.



السردية السابعة

"فرع سعسع" ذل وتعذيب

فراس من "قرية بيت تيما" في جبل الشيخ، وهو طبيب أسنان. اعتقِل في تاريخ ٢٠١٢/٣/٧ وبقي في المعتقل حتى عام ٢٠١٦.

مع انطلاقة الثورة كنت متحمسًا ومتأملًا أن نحصل على ما حصلت عليه الدول التي خرجت قبلنا مثل مصر وتونس، كنت أشجّع الشباب على المظاهرات السلمية، وكنت أعطيهم دروسًا في التوعية، نحن نريد أن تكون ثورتنا أنقى وأطهر ثورة، نريد الحرية والكرامة والتخلص من الحكّام الطغاة.

بدأت المظاهرات في بلدنا وبدأ النظام السوري يستخدم العنف. كنت أعمل في مشفى ميداني في "خان الشيح". مع اشتداد الأمور التي بدأت بالتدهور في منطقة "المعضمية" وأصبحت الأمور أصعب؛ نتيجة القصف، أصبحنا نرسل مساعداتٍ إنسانية وإغاثية لأهل المعضمية أنا وشخص آخر وهو أخو زوجتي، بحكم أن الوضع في منطقتنا في جبل الشيخ كان أفضل.

في ٢٠١٢/١/٣ قام النظام السوري بحملة عسكرية على بيت جن وقتل ثلاثة من أولاد خالتي واعتقل الباقي، وبسبب شدة التعذيب الذي تعرضوا له اعترفوا عليّ وعلى أخي زوجتي، وعلى إثر الاعتراف كان الاعتقال.

في تاريخ ٢٠١٢/٣/٧ كنت وقتها في دوامي بالمستوصف كالمعتاد، وجاءت سيارة من الأمن العسكري من "فرع سعسع"، دخل مساعد إلى المستوصف لقبه "أبو ماهر"، وسأل أين الدكتور فراس، خرجت لأقابله، فشعرت أن هناك شيئًا، قال لي: إن العميد يريدك عشر دقائق، تفضل معنا. خلعت "المريول" ونزلت معه، وإذا بسيارة عليها "دوشكا" بانتظاري، قال لي: اركب في سيارتك. وركب معي إلى "فرع سعسع". ووصلنا إلى "فرع سعسع"، مباشرة أمسكني من رقبتي شخص ضخم، وقال لي: سوف أقوم بسلخ جلدك. ثم قام بتقييد يديّ، ووضع العصابة على عينيّ.

كان داخل الفرع كريدور طويل، ويوجد هناك منفردات من كلا الطرفين، والسجناء واقفون ومقيّدون ووجوههم إلى الحائط، كانوا يقفون ما يقارب ثماني عشرة ساعة؛ فالجلوس ممنوع، وأيّ شخص يشاهده السجان قد جلس سيقوم بضربه مباشرةً. كان هناك كثير من السجناء يفقدون حياتهم أو يُغمى عليهم بسبب شدة التعذيب والوقوف الطويل، ولاسيما الأشخاص الذين أجسادهم لا تتحمل الوقوف لفترات طويلة.

بقيت في "فرع سعسع" تسعة وثلاثين يومًا، وأنا مكبل اليدين والقدمين ومعصوب العينين، وممنوع أن أرفع العصبة عن عينيّ حتى وإن دخلت إلى الحمام.

كان الطعام رديئًا للغاية، كنا نتناول مقدار ملعقة مربّى فقط، أو بيضة يتقاسمها أربعة أشخاص، ولم نكن نستحم. كان الضرب وحشيًّا لدرجة أن المعتقل قد يتعرّض لتكسير عظامه، كانوا يعمدون إلى تقليع الأظافر، ويجبرون المعتقل على شرب بوله.

وكان التعذيب المتواصل للشخص يؤدي به إلى الانهيار أو الهلوسة. وكان وقت التعذيب يبدأ في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ويستمر الضرب والتعذيب حتى بزوغ الفجر.

وكان يدخل علينا سجان سكران، ويقوم بتشغيل الأغاني، وكل السجناء واقفون بالكردور معصوبو الأعين ومقيّدون، ويبدأ بضربهم بعصا ثخينة ضربًا مبرحًا.

وكان رقمي داخل الفرع هو 38 وكانوا ينادونني باسم 38. كان المساعد يصرخ إليّ حتى أذهب إلى غرفة التحقيق، فيبدأ التحقيق بعد منتصف الليل، ويستمر حتى الصباح، كان المحقق يسألني كيف تقدّم الإغاثات إلى أهالي المعضمية؟ عن طريق مَن؟ ومن الذي يوصل هذه المساعدات؟ وكيف يتم نقل الأسلحة والذخائر إلى عناصر الجيش الحر؟ كنت أنكر كل هذه الاتهامات، فيزيد من شدة التعذيب، كان أربعة أشخاص ينهالون عليّ بالضرب، وبسبب شدة التعذيب يختفي صوتي.

ذات مرة بعد انتهاء التحقيق وُضِعتُ في غرفة الشبح، وضعوني على الكرسي ويداي مكبلتان، كان يُعلَّق القيد في السقف، وبعدها يسحب الكرسي، عندما يسحب الكرسي أشعر أن روحي خرجت، ولم أعد أشعر بيدي، وهناك ثلاثة أشخاص يقومون بضربي بواسطة الأكبال على جسدي كله، وأنا عارٍ من دون ثياب، وشخص يضربني على يديّ، ومن شدة التعذيب والوقوف لساعات طويلة بطريقة الشبح أفقد وعيي، ولا أشعر حتى بالضرب، وكانوا بعدها يقومون بصعقي بالكهرباء.

كان "فرع سعسع" أصعب وأشدّ فرع في المنطقة، كنت أشعر أني سوف أموت، طوال المدة التي قضيتها في "فرع سعسع" كنت معصوب العينين ومكبل اليدين، لا أرى النور ولا لحظة، كنت أتخيل النور من شدة الظلمة التي عشتها داخل هذا الفرع.

بعد انتهاء مدة ٣٨ يومًا داخل "فرع سعسع" صاحوا على رقمي، قلت في نفسي إلى أين سيأخذونني؟

"ورقة إخلاء سبيل مزورة قادتني إلى ساحات الحرية"

وضعوني في باص مع خمسة عشر معتقلًا، وكان العساكر يضربوننا ويجلدوننا طوال الطريق، حتى وصلنا إلى "الفرع 291"، نزلنا من الباصات وكان هناك ساحة فيها ضباط وعساكر، كان الاستقبال بالضرب بالأكبال والعصي الكهربائية.

عند نزولي من الباص ركض أحد العساكر نحوي وضربني بقدمه على صدري، أحسست أن قلبي قد توقف، وانكسر أحد أضلع صدري على إثر هذه الضربة، وضربني على وجهي بالبارودة، وضربني على رأسي، في هذه اللحظة لم أعد أشعر بشيء من شدة الألم، كنت معصوب العينين ومكبل اليدين، ثمّ ضرب وجهي بالحائط. وضعونا في غرفة واستمروا بتعذيبنا فيها من الساعة الثامنة صباحًا إلى الساعة الثانية عشرة ليلًا، بعدها أنزلونا طابقين تحت الأرض.

بعد أن نزلنا بدؤوا بجلدنا بـ "الأخضر الإبراهيمي"، أخذوا أسماءنا، انبطحنا على الأرض، كنّا عراةً، بدؤوا بضربنا على بساط الريح، بعد هذا التعذيب الشديد وضعوني في منفردة اسمها منفردة رقم سبعة، كنا فيها سبعة أشخاص.

المنفردة كانت صغيرة جدًّا، عرضها ٨٠ سم وطولها ١٨٠ سم، كانت شديدة العتمة لا يوجد فيها ضوء، يوجد فيها تواليت وحنفية، كنا نتناوب الوقوف والجلوس. وكان الطعام يأتي لسبعة أشخاص بكمية قليلة جدًّا، ووجبة واحدة فقط، كان هناك فتحة في الباب يُدخلون منها الطعام، وكان السجان يطلب منّا أن نضع أيدينا في هذه الفتحة ليتم ضربنا بالكرباج فيخرج الدم من أيدينا.

في اليوم الرابع صاحوا باسمي إلى غرفة التحقيق، أخذوني إلى "الفرع ٢١٥" حققوا معي من الصباح إلى المساء، كان التحقيق هو التحقيق ذاته في "فرع سعسع"، كان خلال فترة التحقيق ضرب بكبل ثخين.

حقق معي مرتين داخل هذا الفرع، وفي اليوم العاشر تمّ نقلي من غرفة المنفردة إلى غرفة المهجع. كان هناك داخل هذه الغرفة ١١٧ سجينًا، وكان الوضع سيئًا للغاية، كان هناك أمراض كثيرة، توفي على إثرها العديد من السجناء، كانوا يحضرون الطبيب فيكشف عليهم من دون أن يعطيهم أيّ دواء.

وكانوا يعطوننا ماءً مالحًا فقط لتعقيم الجرح، كان هناك تعذيب لا يوصف، وكان السجان يقول لنا: نريدكم أن تموتوا.

وكان رئيس المهجع إذا كره شخصًا يتعمّد إيذاءه، وكان أحد سجناء غرفتنا قد تعرّض لتعذيب شديد، ثمّ أدخلوه إلى الغرفة، فبدأ رئيس المهجع بضربه على رأسه حتّى فارق الحياة.

الغرفة كانت بمساحة ستّ عشرة بلاطة، كل شخص يجلس على بلاطة وربع، بطريقة القطار.

دخلت إلى السجن ووزني ١٠٦ كغ، وخلال فترة سجني داخل الأفرع نزل

وزني إلى ٦٠ كغ.

بقيت في "الفرع ٢٩١" أربعة أشهر ونصفَ الشهر، بعدها نُقِلت إلى "الشرطة العسكرية" في القابون، بقيت يومين، بعدها نُقِلت إلى "سجن عدرا"، ثمّ نزلت إلى "محكمة الإرهاب"، كان معي في "سجن عدرا" شخص درزي لقبه "أبو المنذر"، قدمه مقطوعة، وكان هناك شخص آخر اسمه وليد بركات، وآخر اسمه بشار الصالح.

بعدها نقلوني بسبب الازدحام داخل "سجن عدرا" إلى سجن السويداء، ثمّ استطعت الخروج بعد دفع مبلغ مالي قدره أربعة ملايين ليرة عن طريق إخلاء سبيل مزور في السويداء عن طريق الأمن الوطني، خرجت سنة 2016، خرجت من السويداء بتكسي كان سائقها شرطيًّا مقابل مبلغ مالي قدره عشرة آلاف ليرة، أوصلني إلى دمشق، كانت سعسع وقتها مقسومة إلى نصفين بين مناطق نظام الأسد ومناطق المعارضة، كان بينهم طريق، دخلت بالطريق المحرر ووصلت إلى بلدتي.

كنت سعيدًا أنني خرجت وعدت إلى أولادي الذين عندما شاهدتهم لم أعرفهم؛ فقد كان عمر ابني ثلاث سنوات عندما اعتُقِلت، وعندما خرجت كان عمره سبع سنوات، الناس كلهم كانوا قد تغيروا، لم أعرف أغلبهم، عدت إلى عملي في مشفى ميداني.

السردية الثامنة

الاعتقال عن طريق دعوى كيدية



محمـد - ص مـن مواليـد 1996 وينحـدر مـن بلـدة كفرنبـودة في ريـف حـماة الشـمالي الغربي، كان طالبًـا في الثالـث الثانـوي ويعمـل في مدينـة اللاذقيـة لتأمـين مصروفـه كونـه ينتمـي إلى أسرة فقـيرة. اعتقـل في تاريـخ ٢٠١٤/١/١٠ وبقـي معتقـلًا حتـى أفـرج عنـه في تاريـخ ٢٠١٩/٢/١٠.

يقـول محمـد: كان عنـدي امتحانـات في الصـف الثالـث الثانـوي، ولكـن بسـبب انـدلاع المظاهـرات السـورية وأوضـاع أهـلي الماديـة التـي كانـت سـيئة للغايـة لم أسـتطع أن أجـريَ الامتحانـات. كنـت أدرس في "معهـد خـاص" فقـررت الذهـاب إلى اللاذقيـة كي أعمـل وأصرف عـلى أهـلي، وفي الوقـت نفسـه مـن أجـل أن أدرس. في السـنة الأولى والثانيـة لم أسـتطع أن أتقـدم إلى الامتحـان. وفي السـنة الثالثـة درسـت وحفظـت المنهـاج، ثـم نزلـت الى البلـدة "كفرنبـودة" قبـل الامتحانـات، وكانـت أمـي وحيـدةً في البيـت بعـد أن تزوجـت كل أخـواتي البنـات، وأهـلي كانـوا يريـدون زوجـةً لي تسـاعد أمـي في أعـمال المنـزل، فأمـي امـرأة كبـيرة في السـن، ولم تعـد تسـتطيع أن تقـوم بأعـمال المنـزل، فقـرروا أن يزوّجـوني رغـم صغـر سـني، فخطبـت وعـدت إلى اللاذقيـة. قبـل فـترة الخطوبـة أحبّتنـي فتـاة، وهـي ابنـه ضابـط، وعندمـا وصـل إليهـا خـبر خطوبتـي كتبـت تقريـرًا للأمـن ضـدي.

جـاءت دوريـة مـن "الأمـن الجنـائي" مـن دمشـق، كنـت في سـوق الهـال، ووضعـوني في السـيارة مقيّـد اليديـن ومعصـوب العينـين، واقتـادوني إلى "فـرع الأمـن السـياسي" في اللاذقيـة. عندمـا وصلـت إلى هـذا الفـرع كان الاسـتقبال حافـلًا بالـضرب والشـتم، وضعـوني في غرفـة منفـردة تدعـى "تواليـت" وتـم وضـع حـزام عـليّ، ويـدي للخلـف، بعدهـا قامـوا بـضربي بعصـا بلاسـتيكية ضربًـا مبرحًـا، إضافـة إلى الإهانـات التـي تعرضـت لهـا، وكان الضابـط "مديـن الناعـم" مـن مدينـة حمـص ضابطًـا ظالمًـا لا يملـك شـفقة وهـو مـن أشرف عـلى تعذيبـي.

بقيت داخل "فرع الأمن السياسي" مدة عشرة أيام، ولم يحققوا معي داخل هذا الفرع، بعد ذلك نُقِلتُ إلى فرع في دمشق مع عدد من السجناء، وضعونا في باص بعد أن وضعوا العصبة على عينيّ والقيود في يديّ، وانطلق بنا الباص. لم نكن نعلم أين سيقف هذا الباص، وأين ستكون نهاية رحلة العذاب. بعد ساعة توقف الباص، وصلنا إلى الفرع.

النجاة بأعجوبة من الموت داخل "فرع الأمن الجنائي" في دمشق

نزلنا من الباص، اجتمع علينا العساكر، وانهالوا علينا بالضرب المبرح حتى دخلنا إلى الزنزانات. في كل يوم هناك ضرب بالعصي الكهربائية التي آثارها على جسدي حتى اللحظة، وضرب بالأخضر الإبراهيمي، وشبح لأيام عدة. استمرت فترة التعذيب أكثر من مئة يوم، كان عذابًا لا يوصف، والحياة داخل الفرع أشبه بالموت، بدأت حياتي داخله رحلة عذاب طويلة. عندما وصلت وضعوني على بساط وأطبقوه عليّ وانهالوا عليّ بالضرب بـ "الأخضر الإبراهيمي"، استمروا بضربي من أذان المغرب حتى أذان الفجر، ومن شدة التعذيب الذي تعرضت له لم أعد باستطاعتي أن أقف على قدميّ. بعد أن انتهوا من ضربي جاؤوا يطلبون إليّ أن أقف على قدميّ، لكني لم أستطع، حاولوا بجميع الوسائل، لكنني لم أستطع، بعدها قاموا بشبحي، ووضع القيود في يديّ وقدميّ، ووضعي على البلانكو ورفعي، ووضعوا جنزيرًا في يدي، فأصبحت إلى الوراء، وشبحوني للخلف، وبدؤوا بضربي بواسطة عصا، بعد ذلك قاموا بإنزالي ووضعي بشكل الوقوف، وشبحوا يدي لفوق. بقيت مشبوحًا ما يقارب ١٢ يومًا.

في اليوم الثاني جاء إلي سجّان مع مساعد محقق، نادوا عليّ فخرجت معهما إلى غرفة التحقيق، كنت مكبل اليدين والقدمين، دخلت إلى غرفة التحقيق وكان هناك نقيب يدعى "جمعة" ونقيب يُدعى "رامز" وملازم يدعى "مؤيد"، كانوا مجرمين بكل معنى الكلمة لا يملكون ذرة من الإنسانية.

كانوا يريدون منّي أن أعترف أنني قمت بتفجير حاجز لقوات النظام

السوري وقتلت عساكرَ، لكني أنكرت كل هذا رغم التعذيب الذي تعرضت له، وبعدها أعادوني إلى غرفة المنفردة.

بعد التعذيب الشديد الذي تعرضت له لم أستطع الوقوف على قدمَيّ مدة ٤٧ يومًا حتى تحسنت قليلًا.

بعد أن تحسن وضعي عادوا إلى ضربي على قدميّ حتى أصابها الانتفاخ والتشقق، ووضعوا تحت قدمي ملح وطلب مني الجلاد أن أقف، فوقفت ثمّ أغميَ عليّ، هنا لم أعد أشعر بشيء لا تعذيب ولا ضرب.

وضعوني في غرفة المنفردة حتى استعدت وعيي، بعدها أعادوني إلى التعذيب والضرب والإهانات، كانوا يطلبون منّا أن نمشي على رُكَبِنا.

كان هناك خمسة عساكر على يميننا وعلى يسارنا يقومون بضربنا بأحذيتهم العسكرية حتى ينكسر شيء منا، إمّا عظام صدرنا وإما يدنا أو قدمنا، المهم ألّا يخرج منا شخص سليم، وهناك كثير من المساجين أصبح لديهم عاهات وإعاقات، وأنا صار لديّ إعاقة في يدي من شدة الضرب والشبح، إضافةً إلى أنّ السجّان قام بكسر أسناني، فقد كانوا يتفنّنون في تعذيبنا، فقد ضربني بواسطة بوري صرف صحي على أسناني حتى تكسرت.

ولا أنسى مشاهد الأشخاص الذين ماتوا أمام ناظري وكيف قُتِلوا تحت التعذيب؛ ثلاثة أشخاص قُتِلوا أمام عيني من غوطة دمشق، حيث قام أحد السجانين بوضع أحد المساجين على بساط، وضغطوا البساط عليه حتى انكسرت فقرات ظهره، وقد كان كبيراً في السن، فلم يعد يستطيع التنفس، وضعوه في المنفردة حتى مات، كان ممنوعًا على أيّ شخص أن ينظر في غرف المنفردة؛ لأن الذي ينظر ويشاهد ما في داخل المنفردة يضعون رأسه في فتحة الباب ويقومون بكسر رقبته، فلا أحد يخاطر بذلك.

هناك سجين آخر قام السجان بوضع بوري صرف صحي في فمه وضربه بواسطته، فلم يعد يستطيع أن يأكل وأن يشرب، وبعد فترة تُوفّي. كذلك قاموا بضرب شخص معه مرض السكري بشدّة فتشقق جسده كله، وصار القمل والأوساخ يدخل إلى جسده حتى مات.

كان هناك شيء مقرف داخل الزنزانات، القمل في كل مكان ينزل علينا، والجرب داخل هذا الفرع كان موتًا بحدّ ذاته.

بالنسبة إلى المنفردات البعيدة، كنّا نسمع من السجانين أنّه مات فلان، عندها تقوم عناصر السخرة (هم مساجين مثلنا، ولكنّ السجانين وضعوهم كمسؤولين علينا) بوضع الجثث على الأبواب ليتم نقلها خارج هذا السجن، وكان معنا أطفال لا تتجاوز أعمارهم تسع سنوات. وبالنسبة إلى تعذيب النساء كان مثل الرجال، وكانوا يجبرونهنّ على خلع الحجاب عنوةً.

وأنا تشكّلت في قدمي خرّاجات، بسببها لم أعدْ قادرًا على الوقوف، ربّما كنت سأموت لو بقيت فترة أطول في هذا الفرع، حيث لا يوجد طبيب، وإذا حضر الطبيب يأتي مرة واحدة في الشهر، وكان يعطي دواءً مرة واحدة فقط، وإذا جاء مرة أخرى وشاهد السجين نفسه الذي طلب دواء من قبل، يقوم السجان بضرب هذا السجين.

كنت أستيقظ في ساعات الصباح الباكر على صوت السجانين وهم يطرقون على الأبواب، ويقولون بأعلى صوتهم "من عنده فطيسة؟" لم أكن أعلم ماذا يقصدون بهذه الكلمات، وما هي الفطيسة، فيما بعد علمت أنّ الفطيسة هي السجين الذي مات إما من الجوع والعطش، وإما من شدة التعذيب. وفي الصباح يأتي السجانون من أجل إخراج الجثث من غرف المنفردات والمهاجع، ثمّ يتم نقلها بسيارات مغلقة لدفنها بعيدًا عن السجن.

وكانوا يُحضرون لنا الفطور المكوّن من ملعقة مربّى لكل سجين مع ربع رغيف خبز عليه حشرات وعفن، كان هذا شيئًا مقرفًا لا يشبه الطعام، ولكننا كنا مجبورين على تناوله. كان همّ المعتقلين داخل الفرع البقاء على قيد الحياة، نسينا كلّ شيء في الخارج حتى أهلنا، أصبح همنا الوحيد معيشتنا، حبة البندورة كان يتقاسمها ثلاثة عشر سجينًا، كان هناك جوع لا يوصف داخل هذا الفرع.

كان هناك تواليت واحد لكل المهجع، نخرج مرة واحدة فقط، حتى إني كنت أتمنى ألّا أذهب إليه، فلا نصل إليه إلّا ونكون مكسَّرين من شدة

الضرب؛ حيث يقف هناك في الطريق أربعة سجانين، وفي أيديهم خراطيم، وينهالون علينا بالضرب حتى نصل إلى المنفردة، كنا ندخل خمسة أشخاص معًا ويقوم السجان بالعد إلى خمسة.

وبالنسبة إلى الاستحمام، فقد كان كل سبعين يومًا؛ حيث يحقّ للسجين حمام مدّته خمس دقائق، فكنا ندخل عراةً، وهناك سجانون يقومون بضربنا ورشّ الماء البارد علينا، ونخرج من الحمام وكلنا دماء من شدة الضرب. كنا داخل المهجع عبارة عن أرقام فقط.

بقيت داخل "فرع الأمن الجنائي" مئة وخمسة عشر يومًا، شاهدت خلال هذه المدة الموت أمامي، كان العذاب لا يوصف. عندما خرجت من هذا الفرع شعرتُ أني ولدت من جديد.

بعد أن انتهيت من التحقيق في هذا الفرع أجبروني على أن أبصم على أوراق لا أعرف ما هي، بعدها نُقِلتُ إلى "سجن عدرا" في دمشق.

الخروج من المعتقل بعد مضي خمسة أعوام مريرة

في صباح يوم الاثنين الموافق في ٢٠١٤/١٠/٢٠ نُقلنا إلى "سجن عدرا" في باص يقال له باص اللحمة، وضعونا في منفردات؛ المنفردات جنازير يقفلون عليها بقفل هو في قلب الباص؛ ويغلقون الأبواب. كنا معصوبي الأعين ومكبلي الأيدي والأقدام.

وصلنا إلى "سجن عدرا المركزي"، وُضِعنا في غرف المهجع، وكنا أكثر من ١٢٠ سجينًا داخل غرفة المهجع. كان هناك ظلم أكثر من كل الأفرع، فالذي يريد أن يعيش يجب أن يدفع المال حتى يعيش. كان هناك واسطات وتسلّط في السجن، ويقع الظلم على الذين ليس لهم أحد أو سند، وعلى الذي ليس لديه المال. كانوا يكتبون ضبوطًا ويدفعون مبالغ مالية للضابط من أجل أن ينقل هذا السجين الموجود معهم في غرفة المهجع نفسها ويضعونه في المنفردات أو ينقلونه إلى جناح آخر، وكان هناك شيء اسمه

"مفرزة التحقيق". "سجن عدرا" كله ذلّ وظلم، فكان أصعب شيء أن يُسرَق حقُّ الشخص أمام عينيه ولا يستطيع فعل شيء، وكان هناك جوع. كانت الرشوة منتشرة، فالشخص الذي يريد أن يأخذ تخت نزيل جديد مجرد أن يدفع عشرة آلاف ليرة سورية للضابط يأخذ التخت، أو إذا كان هناك شخص له ثأر على شخص يعطي للضابط خمسة عشر ألف ليرة، ويكتب فيه ضبطًا، ويقوم الضابط بنقله إلى مهجع آخر.

كان هناك منظمة أممية تعطي للسجين راتبًا قدره ١٢ دولارًا شهريًّا، ولكن لم يكن يصلنا منه شيء، كان يُسرَق من قِبَل الجمعية المستلمة للسجن، وعلى رأسها "حسين الديري" ومعه اللواء "حسن الغجري" من محافظة السويداء. وكان هناك مقدم يدعى "محمد بنيان" هو رئيس قسم الحراسة في "سجن عدرا"، هذا المقدّم كان يأخذ رشوة على كل شيء داخل السجن. وكان يترتب على أيّ سجين يريد أن يرفع طلب ربع مدة أن يدفع للشرطة، أنا قضيت فترة "سجن عدرا" بعقوبات وجناح معاقبة. وبسبب هذا الظلم كثير من المساجين آذوا أنفسهم بشرب الكلور أو مواد التنظيف.

حضرت جلسة تحقيق، وبعد فترة طلبني قاضي الجنايات لأحضر الجلسات، وكان لا بدّ من دفع المال من أجل تقديم موعد الجلسة وصدور الحكم بحقّي. بقيت مدة سنتين حضرت خلال تلك المدّة جلستين. كانت المدة طويلة؛ لأنني لم أوكّل محاميًا يقدّم لي موعد الجلسة.

هناك شرطي في "سجن عدرا" بقيت رسالة ربع المدة معه أكثر من خمسة وعشرين يومًا، حتى جاء شخص ودفع لي سبعة آلاف ليرة سورية.

أمضيت خمس سنوات داخل "سجن عدرا المركزي" رغم أنني "حدث"؛ لأنه لا يوجد أحد من عائلتي وكّل لي محاميًا، لم يحكمني القاضي حتى تاريخ 2/7/2017، حُكِمَ علي ودفعت مبلغًا قدره مئة ألف ليرة سورية، حتى جاءتني كفالة ربع المدة وسيّرت جميع أوراقي بالمحكمة، وضعت ما يقارب ١٥٠ ألف ليرة سورية.

كان هناك دعوى ثانية ضدي وهي قتل عساكر، حوّلتني المحكمة إلى قاضي الأحداث في حماة.

خرجت مباشرة من "سجن عدرا المركزي"، وصلت إلى فرع الأمانات في حمص، نمت ليلة هناك، وفي اليوم الثاني نقلوني إلى "سجن حماة"، نمت ليلتين في الأمانات، وعُرِضت على المحامي العام الأول في حماة الذي قرر توقيفي، وفرزوني على الأجنحة داخل "سجن حماة المركزي".

دخلت إلى "سجن حماة المركزي"، هنا اختلف الوضع عن باقي الأفرع والسجون، حيث كان المساجين الموجودون قبلنا، والذين كانوا محكومين من محكمة الإرهاب، مسيطرين عليه أثناء فترة الاستعصاء، حيث قاموا بخطف ضباط من داخل سجن النظام، حيث تدخلت جهات وفاوضت على هؤلاء الضباط لقاء إطلاق سراح بعض السجناء.

بعد أن انتهت فترة الاستعصاء قاموا بسحب الأشخاص الذين كان لهم علاقة بهذا الاستعصاء في الليل، ومن ضمن هؤلاء شخص يدعى "الكوبش" أخذوه إلى "سجن صيدنايا" وتم إعدامه.

بقيت داخل "سجن حماة المركزي" حتى انتهت فترة حكمي في تاريخ ٢٠١٩/٢/١٠؛ حيث أُطلِق سراحي.

بعد أن خرجت من السجن كنت غير مصدق أني في الخارج وأني سوف أعود إلى أهلي بعد غياب طويل، عندما خرجت وضعوا ختم إخلاء السبيل على يدي، سيبقى هذا الختم مدة أربع وعشرين ساعة من أجل أن أمرّ على الحواجز ولا يوقفني أحد.

أُفرِج عني بعد دفع مبلغ مالي قدره ١٥٠ ألف ليرة سورية كغرامة، وكان وضع عائلتي لا يسمح لهم بتأمين المبلغ فاضطروا إلى الاستدانة من الأقارب من أجل دفع المبلغ المطلوب، وخرجت من "سجن حماة المركزي".

بعدها توجهت إلى الشمال السوري، وصلت إلى أهلي؛ حيث كانوا يسكنون في خيمة صغيرة متواضعة على الحدود السورية، وأنا حتى اللحظة غير مصدق أني خرجت خارج قضبان السجن رغم أنني بين أهلي وأصدقائي لكن لم تكن هناك فرحة؛ لأني خرجت وبقيَ خلفي مئات المعتقلين، وكلهم أمل أن يعودوا إلى أهلهم.

فالمعتقـل في سـجون النظـام هـو الحـي الميـت، وأصبحـت الآن مـن دون عمـل، ولم يعـد باسـتطاعتي أن أكمـل دراسـتي.

السردية التاسعة

اعتقال نساء خرجن للمطالبة بحريتهنّ



زينب- ع تبلغ من العمر ٤٥ سنة تنحدر من مدينة دمشق، تعمل ربة منزل، شاركت في المظاهرات السلمية ودفعت أولادها للمشاركة فيها، كانت تصنع اللافتات والأعلام التي تُرفع في ساحات الحرية. اعتقلت في تاريخ 10/4/2012، وأفرج عنها في تاريخ 1/9/2012.

تروي زينب قصتها فتقول: أنا امرأة متزوجة ولديّ أربع بنات وصبي واحد، أسكن في حي القابون الدمشقي، كان وضعنا المادي ميسور الحال، وزوجي لا يحتاج إلى عملي، كنت أقضي وقتي في منزلي في تربية أولادي وتعليمهم.

عندما بدأت مظاهرات الربيع العربي في تونس كنّا متفاعلين كثيراً مع ثورة تونس، كنا نتمنّى أن تحصل في سورية. أول مظاهرة خرجت عندنا في القابون يوم الجمعة، وكان وقتها قد توفيت سيدة من البلد، وكانوا يريدون تشييعها ودفنها، فاتفقوا على أن تكون المظاهرات أثناء تشييع السيدة، ولكنّ الأمن كان في كل مكان عند المقبرة، ولكن رغم ذلك خرج شاب وهتف بالحرية، كانت أول مظاهرة شارك فيها زوجي وولدي وإخوتي، بعدها جاء ابني إلى البيت وأخبرني أنهم خرجوا في المظاهرة وهتفوا للحرية.

فيما بعد خرجت مظاهرة قمعها الأمن، وبقي الأمن بعدها خمسة عشر يومًا منتشرًا، ولم يستطع أحد أن يخرج إلى أن خرجت مظاهرة كبيرة وصلت قرب ساحة العباسيين، بعدها هجم الأمن على المتظاهرين، واستُشهِد يومها خمسة شبّان. وفي اليوم الثاني شيّعوا الشهداء، وقد شاركت في تلك المظاهرة، حيث كنت أجهّز أعلام الثورة والرايات للشباب.

كنت أُحضِر قماشًا من السوق مع أختي وأصنع اللافتات وأعلام الحرية التي كانت تُرفَع في الساحة.

بعـد انتهـاء عـزاء الشـباب الخمسـة، طـوّق الأمـن والجيـش الأحيـاء السـكنية، وقطعـوا كل الاتصـالات، وشـنّوا حملـة اعتقـالات في المنطقـة كلهـا، واعتُقِـل كثـير من الشــباب.

ذات يـوم كنـت ذاهبـة إلى المدرسـة مـع ابنتـي الكبـيرة ازدهـار مـن أجـل تقديـم تقريـر طبـي لابنتـي بـشرى حتـى تعـود إلى مدرسـتها، كنـت متفقـة مـع طالبـات المدرسـة أن تخـرج مظاهـرة مـن المدرسـة، وأخـذت اللافتـات وأعـلام الحريـة في حقيبتـي، ولكـن عندمـا وزّعـت اللافتـات عـلى بنـات المدرسـة جـاء عنـاصر الأمـن، أخـذتُ اللافتـات مـن الطالبـات حتـى لا أعرضهـنّ للخطـر، بعدهـا خرجـتُ مـن المدرسـة، ثـمّ قررنـا بـخّ الحائـط بعبـارات، فقالـت لي ابنتـي: مـاذا تريديـن أن أكتـب؟ طلبـت منهـا أن تكتـب كلمـة "ارحـل" عـلى أن يكـون الخـطّ كبـيراً، وقتهـا شـاهدتنا آنسـة الرسـم، فاتّصلـت بالأمـن، هربـتُ أنـا وابنتـي وركبنـا سـيارة، ولكـن تفاجأنـا بالأمـن أمامنـا نزلنـا مـن السـيارة وركضنـا، ولكـن الأمـن لحـق بنـا، وصلنـا إلى مـكان ضيّـق، لكـنّ الأمـن طـوق المـكان ووضعونـا في سـيارتهم، واقتادونـا إلى فـرع في القابـون.

اعتقلـت في تاريـخ 10/4/2012، وعندمـا وصلنـا إلى "قسـم شرطـة القابـون" تدخّـل وجهـاء البلـدة وطلبـوا إطـلاق سراحنـا، لكنّهـم رفضـوا، بعدهـا نقلونـا إلى الطابـق الأعـلى، وجـدت ضابطًـا عمـره خمسـون سـنة تقريبًـا، كان منظـره مرعبًـا، وحولـه عسـاكر كلهـم مسـلحون، كانـت معـي حقيبتـي وفيهـا لافتـات وأعـلام الحريـة، وضعتهـا وراء الكـرسي حتـى لا يشـاهدها الضابـط، لكـن الضابـط أمسـك الحقيبـة، وقـال لي: هـذه حقيبتـك؟ وانهـال علينـا بالـضرب، وركلنـي فوقعـت على الأرض، وصـار الـدم ينـزل مـن أنـف ابنتـي. بقيـت أنـا وابنتـي شـهرًا ونصـف الشـهر في قسـم شرطـة القابـون.

لحظـة دخولنـا إلى "فـرع الجويـة" فتشـتنا سـجانة، فنزعـت الحجـاب عـن رأسي، دخلنـا إلى غرفـة التحقيـق وبقينـا داخلهـا حتـى السـاعة الثانيـة عـشرة منتصـف الليـل.

في فـرع الأمـن يكتبـون في كل غرفـة ضبطًـا مـع ضرب ومسـبات، كان يقـول لي: لمـاذا تخرجـين في المظاهـرات؟ بمـاذا قـصّر معكـم الرئيـس؟ مـاذا تريـدون؟

كنـا داخـل غرفـة صغـيرة، طولهـا مـتر ونصـف وعرضهـا مـتر، كنـا معصـوبي الأعـين ومكبـلي الأيـدي، بقينـا سـتة عـشر يومًـا بعـد أن كتبـوا الضبـط لم يسـألنا أحـد أيّ شيء.

أول سـتة أيـام كنّـا مـن دون طعـام وغطـاء، وبعـد انتهـاء سـتة عـشر يومًـا قامـوا بـضربي بكبـل الأخـضر الإبراهيمـي لأول مـرة وقتهـا.

في كلّ تحقيـق يهددوننـي بابنتـي، كنـت أخـاف عليهـا. كانـوا في التحقيـق يسـألونني عـن أهـل البلـد والمشـافي الميدانيـة وإخـوتي ومكانهـم، ومـن الـذي ينظـم المظاهـرات، ومـن الـذي يصـوّر، ومـن الـذي يعطـي المـال حتـى تخرجـوا في المظاهـرات، أخبرتـه أن كل هـذا الـكلام لا أعـرف أيّ شيء عنـه.

أول دخـولي إلى "فـرع الجويـة" حقّـق معـي ضابـط اسـمه "محمـد" مـن مدينـة حـماة.

في أوّل تحقيـق لي كنـت واقفـة، فأمسـكني ضابـط، وقـال لي: اجلـسي هنـا. لا أعـرف عـلى مـاذا جلسـت، جـاء ضابـط ثـانٍ وقـال لي: يـا زينـب قفـي لكيـلا أشـبحك عليـه. وقفـت مباشـرة، قلـت لـه: مـا هـذا؟ قـال لي: ألا تعلمـين أيـن تجلسـين يـا زينـب؟ هـذا بسـاط ريـح، قفـي.

بقيـت في "الجويـة" مـدة شـهرين، كنـت أسـمع أصـوات تعذيـب، وأشـمّ روائـح كريهـة، وكنـت كلـما سـمعت صـوت الضبـاط وهـم ينزلـون عـلى الـدرج أخـاف، وبعدهـا تحولـت إلى "فـرع الأمـن الجنـائي».

في "الأمـن الجنـائي" بقيـت ابنتـي فـترة لا تـأكل شـيئًا، حتـى جلـب لهـا ضابـط سندويشـة أعطاهـا إياهـا خِفيةً.

بقيـت ثلاثـة أشـهر بـين "الجويـة" و"الأمـن الجنـائي"، سـألت بعدهـا ضابطًـا: متـى سـيُطلَق سراحنـا؟ مـاذا فعلنـا لنسـجَن؟ فقـال لي: سـتخرجين مـن السـجن بعـد أن تبصمـي عـلى أوراق بيضـاء. بعـد فـترة بصمنـا عـلى أوراق بيضـاء.

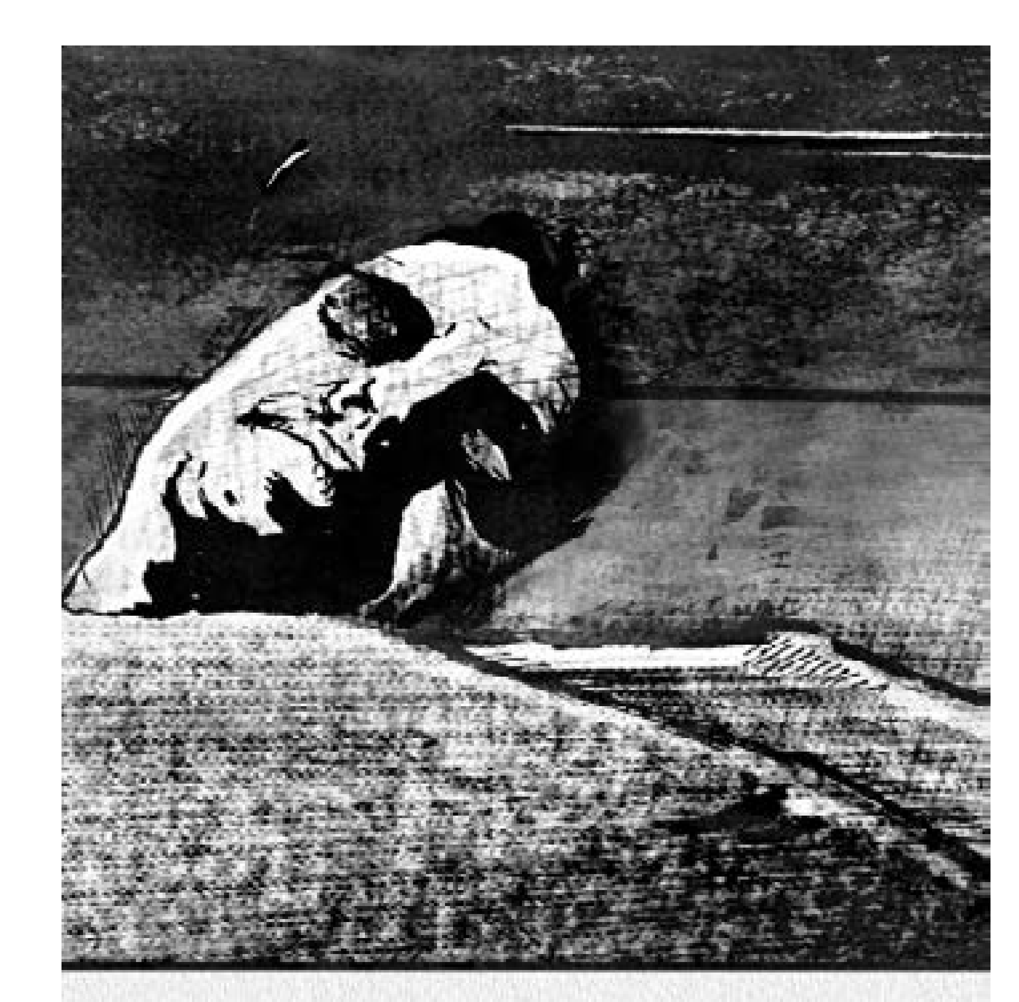
عنـد أذان الفجـر جـاء شرطـي، وقـال لي: زينـب أعطِنـي رقـم أهلـك وزوجـك حتـى يحـضروا المحكمـة؛ وإذا لم يحـضروا سـوف يقومـون بتحويلكـم إلى كفـر

سوسة.

في اليوم الثاني، الساعة السابعة صباحًا جاء ضابط وأخبرنا أن نجهّز أنفسنا، حوّلونا إلى كفر سوسة، ابنتي مرضت، فأخبرت الضابط أنّ ابنتي مريضة، فصرخ في وجهي وأهانني بالكلام.

يوم الأحد تحولت إلى المحكمة، وعند دخولي إلى القاضي تفاجأت بأنّ تهمتي كانت زعزعة الأمن القومي وإهانة شخصية الرئيس، وإثارة الشغب في الشوارع، وتنظيم مظاهرات، خرجت تحت محاكمة بعد دفع مبلغ مالي كبير، خرجت بواسطة وقتها أنا وابنتي، قال لي القاضي: يجب عليكِ أن تعودي للمحاكمة بعد شهر. ولكن المحامي أخبر زوجي بألّا نعود ولا نمرّ على الحواجز، لأنهم سيعتقلونني.

خرجت من السجن في تاريخ 1/9/2012. عندما خرجت كنت فرحة، عدت إلى أولادي وزوجي وأهلي. لست نادمة على شيء، ولن أترك الثورة حتى يسقط النظام وتتحرر البلاد وننال حريتنا التي نحلم بها.



السردية العاشرة

أنا لم أشاهد، أنا سمعت

محمد - د عمره ٤٩ سنة ينحدر من مدينة حماة، كان يعمل صحفيًّا، اعتقل في تاريخ ٢٠١٤/٥/١٥.

يقول: قصتي بدأت منذ أحداث ١٩٨٢ في أحداث حماة، عشنا الرعب والخوف عندما قتل النظام السوري بدم بارد أهلنا أمام أعيننا، تنفيذ إعدامات بوضع مئات المدنيين وصفّهم جانب الحائط ورميهم بالرصاص الحي، كنت طفلًا صغيراً في ذلك الحين، وأصابتني رصاصة في قدمي. شاهدت إعداماتٍ بدم بارد، وكيف كان عناصر النظام السوري يخرجون الناس من داخل بيوتهم إلى الخارج ويقتلونهم.

شاهدت عساكر النظام السوري بقيادة رفعت الأسد "الوحدات الخاصة" يقتلون الشباب والأطفال ويغتصبون النساء، ولا أنسى "جمعة الدفن" عندما جاء رفعت الأسد وشاهد الشباب، قال: هل بقي شباب في حماة؟ وجمع ألف شاب ودفنهم وهم أحياء في مقبرة جماعية.

ولكن الرعب الأكبر بعد الأحداث التي استمرت أسبوعين، الرعب الحقيقي كان بالاعتقالات العشوائية، أصبحنا نخاف من كل شيء، صرنا نقول "الحيطان لها آذان"، وكبرنا والخوف داخلنا.

عندما بدأ الربيع العربي فرحنا، وأخيراً سوف نعبّر عن رأينا ونتكلم بصوت عالٍ ونصيح بكلمة "حرية". رغم ذلك لم أشارك في الحراك السلمي؛ لأني أعرف النظام السوري وإجرامه، أخذت كل الحيطة والحذر، ولكن للأسف بسبب تقرير صغير من شخص كنت أساعده؛ ولأني قطعت عنه المساعدة اعتقلت بسببه.

عند اعتقالي دخلت إلى "فرع أمن الدولة"، بقيت أربعة عشر يومًا، خلال هذه المدة ذقت كل أنواع وأصناف التعذيب؛ الشبح، وبساط الريح، والكهرباء ليل نهار.

بعدها نُقِلت إلى "فرع الأمن العسكري"، كان استقبالي بالضرب، وُضِعت في زنزانة منفردة، وما زلت أتذكر أنهم وضعوني في زنزانة بجانب زنزانة للنساء، لم أرَ شيئًا، ولكن سمعت؛ سمعت أصواتًا ليتني لم أسمعها، سمعت صرخات النساء الضعيفات، وآهات النساء اللواتي يُغتصبنَ من قِبَل عناصر الأمن السوري المجرم، ويح أمتي ويح أمتي على أعراض انتهِكت، يا ليتها كانت نهايتي ولم أسمع صرخات الاغتصاب. كل الرجال الذين شاهدتهم يتعذبون لم تنزل من عيني دمعة عليهم، ولكنّ الذي حرق قلبي وفطره وجعًا وألمًا هي صرخات النساء اللواتي لم يجدنَ من ينقذهنّ من براثن نظام مجرم حقير.

ومن "فرع الأمن العسكري" نُقِلت إلى "الفرع ٢١٥"، كان المحقق خبيثًا، وقتها قال لي: يا ابن فلانة أربع عشرة تهمة وجدتها في إضبارتك من مظاهرات إلى جهاد النكاح.

بقيت في "الفرع ٢١٥" فترة بعدها نُقِلت إلى "سجن عدرا".

في عدرا نزلت إلى قاضي التحقيق، كان برتبة عقيد، قال لي: أنت معترف. قلت له: يا سيادة القاضي إذا الكرسي الذي تجلس عليه كان مكاني سيعترف وينطق أنّه من المسلحين.

بعد ثمانية أشهر تم استدعائي مرة ثانية، وقال لي: سنطلق سراحك بكفالة مالية قدرها عشرة آلاف ليرة سورية.

قال لي: أنت نادم؟ قلت له: لست نادمًا؛ لأنني لم أفعل شيئًا. خرجت من الباب وضمّني المحامي، وقال لي: لو قلت له أنك نادم لَأعادك إلى السجن. يقول أبو محمد: الذي أنطقني هو رب العالمين.

خرجت ومعي كسر في جمجمتي رغم أنني أجريت عملية، قالوا لي: إنّ العملية أُجرِيت بنجاح، هكذا تكلم الدكتور جامع، الذي لا يحمل أي صفة من صفات الأطباء، فقد كان جزارًا خاليًا من الإنسانية. آثار العملية في رأسي أجبرتني على وضع قبّعة لأخبّئ تلك الآثار التي شوّهت رأسي. حصل معي "دسك" في ظهري، ولا تزال آثار صعق الكهرباء على أعضائي التناسلية

شاهدة على حقدهم الدفين تجاه كل حر، يريدون أن يمنعوا أن يكون لدى الإرهابيين -على حد وصفهم- أولاد، هكذا قالوا لي: أنتم الإرهابيون يجب ألّا يكون عندكم ذرّية لئلّا يكونوا إرهابيين مثلكم؛ نتيجة شدة التعذيب حُرِمت من أن أكون أبًا.



السردية الحادية عشرة

التنقل بين أحضان الموت في معتقلات الأسد

بشار وانلي يبلغ من العمر ٣٨ سنة ينحدر من حي ركن الدين في مدينة دمشق، كان يعمل في محل ألبسة نسائية، وأثناء الثورة نشط في مجال الإغاثة، واعتقل على إثر نشاطه هذا بتهمة الإرهاب في تاريخ 17/2/2013 وبقي معتقلًا إلى أن أفرج عنه في تاريخ 2/1/2017.

يقول بشار: جلست في "فرع الأربعين" يومين، وهو تجمّع يضعون فيه المعتقلين، بعدها يتم تحويل كل معتقل إلى فرع، أنا انتقلت إلى "فرع الخطيب" في 19/2/2013. انتقلت إلى هذا الفرع من أحد فروع الموت، ووُضِعتُ في منفردة صغيرة جدًّا، طولها متر وعرضها متر، لها باب أسود، كانت شديدة الظلمة، أكاد لا أرى إصبع يدي لو وضعته أمام عيني، لا أعرف الليل من النهار، كل الأشياء السيئة موجودة فيها، كنت أقضي حاجتي داخل هذه المنفردة التي كانت مثل الجحيم.

كان التحقيق يتم أثناء الدوام الرسمي من الساعة التاسعة صباحًا حتى الساعة الرابعة عصرًا، وخلال فترة التحقيق تعذيب لا يوصف، شبح على بساط الريح، وضرب بالكبل الأخضر الإبراهيمي. عندما ينادي لي السجان "وانلي" كنت أقف أمام الباب وأنا معصوب العينين ومكبّل اليدين، وأمشي من الطابق الأرضي عبر الكردور، وأصعد بين سراديب ضيقة، والسجان يطفئ السجائر في جسدي حتى أصل إلى الطابق العلوي إلى غرفة التحقيق، وهنا تبدأ مرحلة التعذيب ومسلسل التعذيب ورشق التهم التي تنهال علي. كان أحقر تحقيق حقّق معي، من أجل الضغط عليّ كي أعترف، حين اتصل المحقق بزوجتي، من جوالي طبعًا، وزوجتي لا تعرف أين أنا منذ أشهر. كنت على الأرض، ويداي خلف ظهري، اتصل المحقق بزوجتي وأخبرها أنّ الذي يتصل رفيق بشار، ولكن فجأة وقفت وركضت باتجاه المحقق،

ودفعته، فسقط الجوال من يده، وكسرته بقدمي رغم أنني كنت حافي القدمين، وبعدها نزل عليّ كل الغضب، اجتمع المحقق واثنان من السجانين وانهالوا عليّ بالضرب، فقدت وعيي وعدتُ إلى غرفة المنفردة محمولًا وأنا فاقد الوعي.

كنت أسمع صراخ النساء أثناء تعذيبهنّ في الليل، كان صوت التعذيب يحرق القلب.

الاتهامات التي وُجِّهت إليّ في غرفة التحقيق: أول تهمة هي أنني إرهابي، وكان عندي ابن عم في الجيش الحر قد استشهد، فكانت أول تهمة أني كنت مع كتيبة شهداء ركن الدين، والتهمة الثانية كنيتي، فنحن عائلة شبه معارضة منذ زمان حافظ الأسد، وعندي أخ استشهِد في "سجن صيدنايا"، وكذلك وُجِّهَت إليّ تهمة نقل سلاح إلى الغوطة وحمص، وكذلك قتل ضابط برتبة عقيد. وكنت أصرّ على عدم الاعتراف والتوقيع على أوراق فارغة، فكانوا ينقلونني إلى محقق أقسى من الذي قبله، ويزيد من شدة تعذيبي.

انتقلت إلى فرع جهنم على الأرض في تاريخ **1/5/2013**، عرفت أنني في "فرع الإدارة العامة"؛ لأنه عند دخولنا إلى الفرع بعد سماع الكلمات البذيئة والضرب يأتون بأوراق مكتوب عليها "فرع المخابرات العامة أمن الدولة فرع ٢٨٥" من أجل توقيع تاريخ دخولنا إليها.

عند دخولنا انتزعوا ملابسنا لنبقى عراة، ووضعونا في غرفة صغيرة لا تتسع لأكثر من ٢٥ شخصًا، ووصل العدد داخلها إلى أكثر من **100** شخصٍ، وبعدها أخذوني مع خمسة معتقلين آخرين إلى جماعية، وهنا مرحلة الفرز. كان اليوم الذي قضيته أثناء عمليه الفرز يومًا عصيبًا، أسمعونا خلاله شتمًا ومسبات وضربونا ضربًا مبرحًا.

في اليوم الثاني بدأ مسلسل التحقيق مع الضرب، كان هناك في كل يوم جثث في كل الأوقات للمعتقلين من شدة الضرب الذي يتعرضون له، فكانت هناك عمليات تصفية للمعتقلين؛ ضرب حتى الموت، كل يوم يفتح السجان باب الزنزانة ويرمي بجثث المعتقلين، ومعه كيس أسود كبير، نقوم بلفّ المعتقل ونحمله إلى الخارج كي يضعوه في سيارة ممتلئة بجثث سجناء

من أفرع أخرى، بعدها تُنقَل الجثث وتُدفَن في مقابر جماعية بعيدة عن السجن. منظر تقشعرّ له الأبدان.

وبالنسبة إلى الحمامات، كان كل سجان ينادي علينا مجموعات ونكون مكبلي الأيدي ومعصوبي الأعين، والسجانون من الطرفين، وفي أيديهم أكبال معدنية، والأخضر الإبراهيمي، يضربوننا حتى نصل إلى الحمام، كنا ندخل كل ستة أشخاص معًا، وعلينا قضاء حاجتنا خلال عدة السجان. وقتها تأخرت، وعندما خرجت ضربني بكبل عليه مياه أحسست أنّ روحي خرجت من جسدي، سقطت على الأرض وفقدت الوعي.

كان التعذيب الذي تعرضت له لا يوصف، ولكن كان عندي إيمان قوي، فكنت أصبر على الألم، كان يتم شبحي وضربي بواسطة كبل الأخضر الإبراهيمي ويتم وضع الأسلاك الكهربائية على أعضائي التناسلية، حتى حُرِمتُ من الأبوّة.

ذات يوم صرخ لي السجان طالبًا مني أن أخرج إلى غرفة التحقيق، خرجت معه، وعندما وصلت إلى غرفة الموت تم ربطي من يديّ أولًا، ثم من قدميّ، وتأرجحت، ولكن بالعكس بطني إلى الأرض وظهري إلى السقف، والسجان صعد على ظهري ولكن رغم شدة الألم تحملت؛ لأني أمتلكُ إرادة قوية.

بقيت في "فرع الإدارة العامة" مدة شهرين ونصف، قبل أن أنتقل إلى سجن آخر، حاولوا وقتها تصفيتي؛ لأني رفضت الاعتراف والتوقيع على أوراق فارغة، وقتها تم وضعي في ساحة السجن مع خمسة من المعتقلين وقت الفجر، كنّا معصوبي الأعين ومكبلي الأيدي، اجتمع حولنا عدد من السجانين، وانهالوا علينا بالضرب بواسطة بواري حديد، ضرب على الرأس، الدماء تنزف منا، رفاقي الذين معي كلهم استشهدوا وأنا الوحيد الذي نجوت وقتها، ولكن فقدت وعيي ولم أعد أشعر بأي شيء.

الرعب بدل الرحمة في مشافي النظام السوري

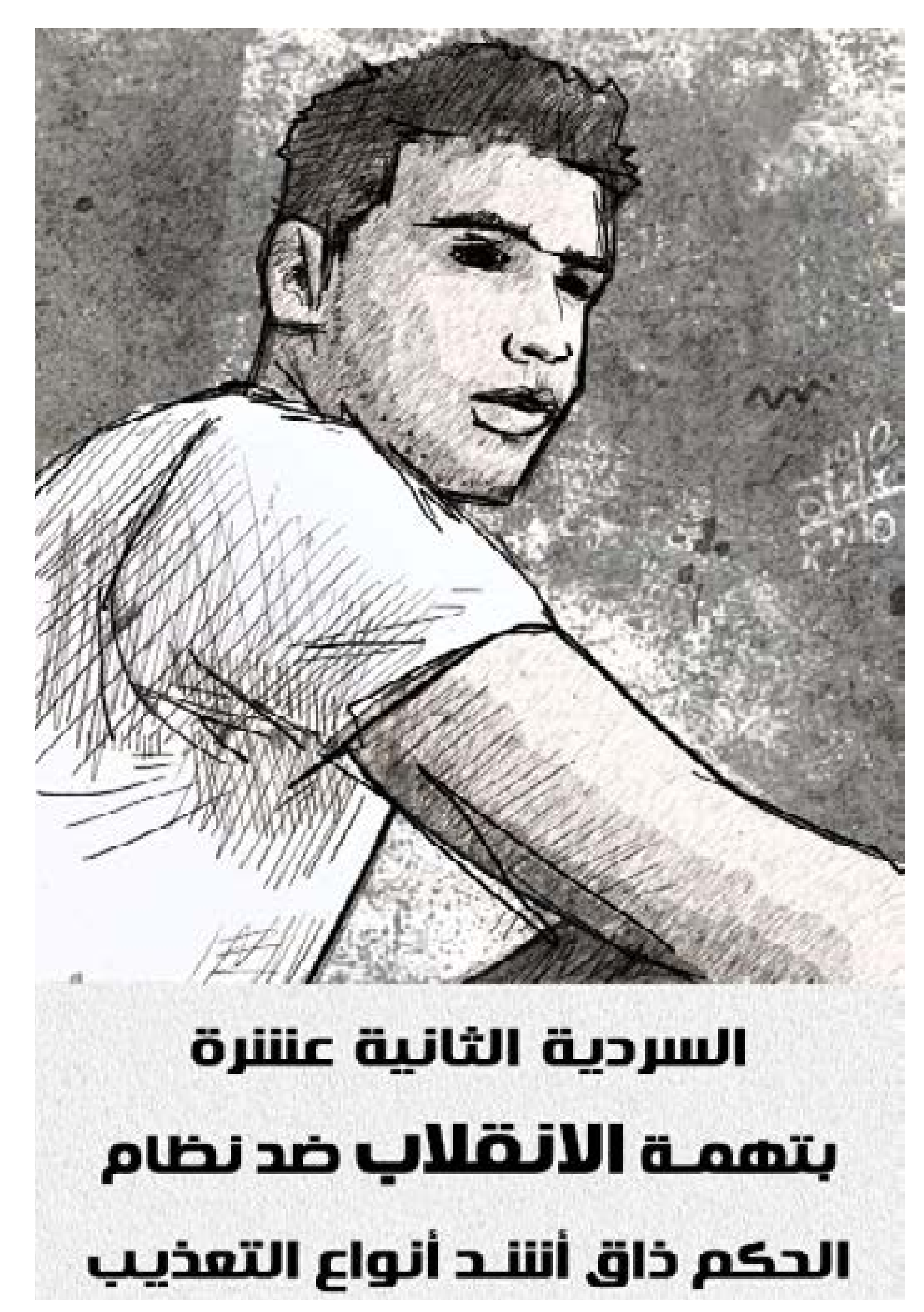
في تاريخ 25/7/2013 نُقِلت إلى "سجن عدرا"، كنت وقتها فاقدًا للوعي، بقيت يومين، ثم نُقِلت إلى "مشفى ٦٠١" في المزة، ولكنه كان "مشفى الموت الأحمر". وقتها علمت زوجتي وأصدقائي أنني داخل هذا المشفى، فقرروا إخراجي ونقلي إلى "مشفى حرستا"، فدفعوا مبلغًا من المال، ونقلوني. دخلت إلى "مشفى حرستا"، ووُضِعتُ في الطابق الأخير المخصص للسجناء، كان وضعي الصحي متأزمًا، وكنت حينها في حاجة إلى طبيبِ جراحةٍ عصبية، بعد خمسة أيام تم استدعاء الطبيب واسمه حسين جامع، كان مجرمًا وليس طبيبًا، كان ينعتني بـ "الإرهابي"، ويقول لي: أنت من المفروض أن تموت. كان يرفض إجراء العملية لي في البداية، وكان يتم إنزالي كل يوم إلى غرفة الإسعاف في الطابق الأرضي ويضع هذا الطبيب يده في رأسي لإخراج القيح، فقد كان هناك ثقب كبير في رأسي، بقيت على هذه الحال شهرًا، كان تعذيبًا لا يوصف.

بعد شهر وافق الطبيب على إجراء العملية بعد دفع مبلغ مالي كبير له، ولكنه وضع شرطًا أن يكون العمل الجراحي من دون تخدير؛ لأنّ التخدير غالي الثمن ومخصص للضباط فحسب. كان وضعي الصحي متأزّمًا وقتها، والجرح ينزف كثيراً فاضطررنا إلى الموافقة. نُقِلت إلى غرفة العمليات، كنت أراقب كيف يُجري لي العملية، حيث نزع الجلد القديم من رأسي، كنت أصرخ صراخًا يملأ كل المشفى، ولكن كنت أحاول أن أتحمل، وكان هناك طبيب آخر قام بقص لحم من فخذ قدمي ليتم وضعه على رأسي "عملية تطعيم"، ولكن أجريت العملية ولم يتم معالجة الكسر الذي في الجمجمة، وتم خياطة مكان الجرح فقط، الذي ترك آثارًا إلى الآن.

بعد العملية بقيت خمسة عشر يومًا من أجل مراقبة وضعي الصحي، كانت المدة التي قضيتها داخل المشفى ٤٥ يومًا، وبعدها تمّت إعادتي إلى "سجن عدرا". نزلت إلى المحكمة مرتين؛ أول مرة كان رأسي ملفوفًا بالشاش، سألني القاضي: ماذا برأسك؟ ولكن قبل أن أجيبه قال لي: اخرج. وبعد أربعة أشهر نزلت إلى المحكمة، كان وقتها القاضي عز الدين ميمون، وبعدها لم أحضر أي جلسة حتى فترة الاستعصاء الذي حصل داخل السجن، وكنت

أحد المشاركين به. تم نقلي وقتها إلى "سجن السويداء" في تاريخ ٢٠١٥/٧/٢، كنت أنزل جلسات إلى المحكمة في دمشق، يتم نقلنا في سيارة شاحنة مغلقة وأبقى في "سجن عدرا" ثلاثة أيام أنام هناك، نزلت أربع محاكم وقتها للقاضي رضا موسى الذي حكم علي في 8/2015/٣١ بالسجن خمس عشرة سنة مع الأشغال الشاقة، وبعد أن تغيّر القاضي بدأت الواسطات والرشاوى والسماسرة التابعة للنظام السوري، حاولت زوجتي ومجموعة من الأصدقاء أن يصلوا إلى الموظف الذي عند القاضي في محكمة الإرهاب الذي هو صلة الوصل بيننا وبين القاضي، تم الوصول إليه وطلب مبلغ ٥٠٠٠ دولار، ووافقنا. تم تأمين المبلغ بعد الاستدانة وبيع كل ما نملك ومساعدة بعض الأصدقاء. طلب الموظف من زوجتي تقديم طعن في الحكم، فتقدمت زوجتي بالطعن، والقاضي وافق وأُعيدتْ محاكمتي. نزلت أول جلسة وأعطاني بعدها إخلاء سبيل، كان القاضي وقتها غازي الصالح، تم إخلاء سبيلي في اليوم نفسه في تاريخ 2/1/2017.

خرجت من السويداء ونزلت إلى دمشق في منطقة جرمانا، وتواصلت مع شخص مهرب من أجل أن يخرجني من دمشق إلى إدلب. وفعلًا جاءت سيارة إلى أمام المنزل وخرجت أنا وزوجتي في سيارة كانت للمخابرات، لم يوقفنا أي حاجز؛ لأننا قمنا بدفع مبلغ كبير وقتها، وصلت إلى إدلب وبقيت في بيت المهرب، ولكن تعرضت لمضايقات وقتها من قبل جبهة النصرة، فخرجت إلى تركيا بواسطة سيارة إسعاف من معبر باب الهوى وزوجتي دخلت تهريبًا، تلقيت العلاج في تركيا، بعدها انتقلت إلى فرنسا وحصلت على الإقامة الدائمة مع زوجتي التي تمارس عملها الحقوقي وأنا أعمل في سبيل فضح جرائم النظام السوري.



أحمد- ع ضابط طيار (طيار مروحيات)، عمره 77 سنة، سُجن 13 سنة، وخرج في بداية الثورة في ٢٠١١/٦/٢٠.

يقول أحمد: اعتُقِلت في أواخر سنة ١٩٩٨، كان يوم أحد، ذلك اليوم لا يُنسى ولو مرت عليه الأيام والسنين يبقى محفورًا في ذاكرتي. قبل الاعتقال بيوم أخذت إجازة، وكنت في البيت، أُبلِغت أنّه لا بد أن أذهب إلى الدوام لأمر ضروري، اعتقدت أن هناك استنفارًا في المطار. في اليوم الثاني وفي الصباح الباكر ذهبت إلى دوامي، هنا بدأت معاناتي مع قصة المخابرات والاعتقال.

في يوم الأحد في تمام الساعة "الثانية عشرة" ظهراً استدعاني ضابط برتبة عميد إلى مكتبه، بعدها اقتادني من مكتبه باتّجاه مكتب قيادة اللواء دخلت إلى داخل غرفة المكتب، كانت المخابرات كلها موجودة، وكان هناك ضابط مخابرات، عرّفه نائب قائد اللواء على اسمي، وقال لي: نريدك ربع ساعة، وبعدها تعود إلى دوامك. قلت له: لا مشكلة، بكل سرور. وخرجنا.

طلبت تغيير ملابسي، ولكنهم رفضوا ولم يسمح لي عناصر المخابرات، كانوا ورائي على الباب مباشرة، فنزعوا الرتب التي على أكتافي، وسحبوني إلى الخارج واقتادوني إلى السيارة، ووضعوا قناعًا أسودَ على وجهي، ووضعوا رأسي بين المقاعد وخفضوه للأسفل، وانطلقت بنا السيارة ولم أعرف إلى أين.

بعدها علمت أننا ذاهبون باتجاه حرستا "فرع المخابرات الجوية"، استمرّ التحقيق معي داخل "فرع حرستا" ثلاثة أيام، وكان التحقيق في الفرع والاستجواب تحت التعذيب أمرًا لا يوصف بسبب شدة التعذيب والإهانات والأصوات التي كانت تُسمَع من الأقبية والزنزانات، استمر التحقيق معي مدة خمسة عشر يومًا، وكان يحقق معي حينها علي مملوك وعز الدين إسماعيل و"رئيس فرع المنطقة بالمخابرات الجوية في حرستا" و"رئيس المخابرات في المزة".

انتهى التحقيق بعد خمسة عشر يومًا، وأثناء فترة التحقيق معي ذقت أشد أنواع التعذيب. كان التحقيق بتهمة قلب نظام الحكم بالقوة، وكان الضرب والتعذيب العنيف بواسطة خيزرانة ملبسة بخرطوم صرف مياه صحي، وكنت كلّما أدخل إلى رئيس الفرع أتعرّض لكمّ هائل من الضربات. كان الضرب عشوائيًّا، وكذلك ضرب بالفلقة؛ حيث يضعون في قدميّ حديدة طويلة في المنتصف لها حلقتان وحبل موضوع ويقوم اثنان من العساكر من اليمين واثنان من اليسار بشدّ الحبل ورفع قدميّ للأعلى، بعدها يقوم ثلاثة عناصر من العساكر؛ واحد من اليمين وواحد من اليسار وآخر أمامي مباشرة، وينهالون عليّ بالضرب بالخيزرانات على قدميّ حتّى أفقد وعيي.

في بعض الأوقات تكون يداي مقيدتين إلى الخلف، وأنا جالس بوضعية جثوّ على الأرض ووجهي على الأرض، ويرفعون قدمَيّ وينهالون عليّ بالضرب، الضرب كله على قدمي، وقد فقدت أظافرَ من قدمي.

انتهى التحقيق بعد خمسة عشر يومًا، بعدها وضعوني في غرفة منفردة خلال فترة اعتقالي في الفرع، كان هناك تعذيب للمعتقلين. وبقيت داخل غرفة المنفردة ستة أشهر، وذات يوم دخل عناصر المخابرات وقالوا لي: "اجمع أغراضك". طبعًا أنا ليس معي ملابس غير "أفرول" الطيران لبسته وخرجت معهم، قاموا بوضع "الكلبشة" في يديّ وقدميّ ووضعوا عصبة على عينيّ، ووضعوني في سيارة، كان معي خمسة أشخاص كلنا أبناء دعوى، انطلقت بنا السيارات وبرفقتهم دورية انطلقت برفقة السيارات، طبعًا هنا لا نعرف إلى أين سوف نذهب؟ وأين ستتوقف بنا السيارات؟ وماذا ينتظرنا؟ قمت برفع العصبة قليلًا عن عيني وشاهدت أول مدخل الشام وبعدها رأيت جسر الثورة، من هنا دخلت السيارات وبعدها اتجهت إلى أوتوستراد المزة، توقفت السيارات عند فرع تحقيق في المزة، وصلنا إلى هذا الفرع وتم اقتيادنا إلى الداخل.

الانتقال إلى "سجن صيدنايا العسكري"

دخلت إلى فرع التحقيق في المزة، فتشوني وجردوني من ملابسي، إضافة

إلى الإهانات والكلام البذيء. وضعوني في منفردة والأشخاص الخمسة الذين معي وضعوهم في منفردات أيضًا، هنا أعادوا التحقيق نفسه الذي حصل معي في حرستا والأسئلة نفسها للاعتراف بتهمة الانقلاب ضد نظام الحكم، فكررت الإجابات نفسها التي قلتها في حرستا، وكانوا يقتنعون بشيء من كلامي ولا يقتنعون ببقيته. بقيت خمسة أشهر في فرع التحقيق في المزة.

وعلى إثر التحقيق معي تم تسريح مجموعة من الضباط من الجيش، وكل شخص مقرب مني وجلس معي، وحتى الأشخاص الذين كانوا يأتون زيارات إلى منزلي تم تسريحهم.

كتبوا الإفادات تحت الضرب والتعذيب العنيف الذي تعرضت له، بعدها قاموا بمسك يدي ووضع أصابع يدي على علبة الحبر وبصّمني المحقق على أوراق لا أعرف مضمونها.

كنت خلال فترة التحقيق في منفردة مظلمة، لها شبك من فوق، وفيها فتحة بارتفاع خمسة وعشرين سنتيمترًا تقريبًا، وعليها قضبان حديد، وكان ممنوعًا أن أقف داخل المنفردة، كنت في وضعية الجلوس، وأستيقظ في الساعة الخامسة والنصف صباحًا، وبالنسبة إلى الطعام كنت أبقى يومين أو أكثر من دون طعام، وعلى رشفة ماء فحسب. مارسوا كل أنواع الضغوط النفسية، حتى إن هناك الكثير من السجناء انهاروا نفسيًّا من شدة الظلم والتعذيب داخل المنفردات، وكان هناك حشرات وقمل، فكان الوضع مقرفًا.

بعد أربعة أشهر من البقاء في المنفردة اقتادوني إلى المحكمة في القابون؛ وهي محكمة ميدانية مؤلفة من رئيس المحكمة، وضابط جوية، وضابط للأمن، والنائب العام للمحكمة. كانت محكمة مهزلة محكمة استثنائية وفق قانون الطوارئ. وقفت أمام القاضي خمس دقائق، وخرجت، بعدها أعادوني إلى فرع التحقيق في المزة وبقيت شهرًا آخر. كانت الفترة التي قضيتها في فرع التحقيق في المزة خمسة أشهر.

بعد أن بقيت أحد عشر شهرًا في أفرع التحقيق، نُقِلنا إلى "سجن صيدنايا العسكري"، ودامت الرحلة داخله اثنتي عشرة سنة، وكانت رحلة عذاب طويلة.

ساعة وصولي إلى "سجن صيدنايا" بدأ التفتيش بخلع الملابس، بقينا عراةً، إضافةً إلى الشتم والسب. قاموا بتوزيع بطانيات ووضعونا في غرفة بجناح موجود فيه أربعة مهاجع، أغلقوا الأبواب علينا، وبقيت ثلاثة أشهر في هذه الغرفة. بعدها نُقِلت إلى الطابق الثالث إلى جناح يقال له "الباب الأسود"، وهو مكان معزول لا نختلط فيه مع أي شخص. بقيت في غرفة "الباب الأسود" شهرين، بعدها نقلوني إلى أجنحة الطابق الثاني، وبقيت ما يقارب السنة، كنا جانب جناح الإخوان المسلمين في تلك الفترة، الأبواب كلها مغلقة، والمعاملة سيئة للغاية، وبالنسبة إلى الطعام كان سيّئًا، والكمية قليلة، وكنا نستحم بمياه باردة متجمدة في فصل الشتاء.

في سنة ٢٠٠٥ تغير مدير السجن و"رئيس فرع الشرطة العسكرية" بسام عبد المجيد، واستلم إدارة السجن لؤي يوسف. هنا أصبحت الأمور أفضل في السجن بعد الإصلاحات التي قاموا بها، فقد قاموا بطلاء السجن وإنارته بلمبات صفراء اللون في الغرف.

في هذه الفترة، عشنا أفضل من السابق، ولكنها كانت فترة قصيرة، إلى حين قدوم التيارات الإسلامية المتشددة مثل القاعدة، والذين كانوا ذاهبين إلى العراق وأفغانستان.

بعد شهر رمضان حصل أن قامت مجموعة متشددة في السجن بقتل شخص منهم كان في العراق، والشاب الذي قُتِل فلسطيني ملقب بـ "الطبوش"، قتله متشدد من مدينة تلبيسة في ريف حمص من عائلة الضحيك.

هنا بدأت الحياة الصعبة والمريرة بعد هذه الحادثة داخل "سجن صيدنايا"، إذ تم تغيير مدير السجن على إثر هذه الحادثة، واستلم المقدم "علي خير بك" وهذا شخص معروف بحقده وظلمه، وليس عنده حسن تصرف مع السجناء. في هذه الفترة أصبح السجناء يعيشون في حالة رعب.

مرحلة الاستعصاء

خُلِط بين السجناء في سجن جمع كل الأطياف، جمع المحكومين على

اختلاف قضاياهم ودمجهم داخل الغرف والمهاجع لإحداث فتنة بهدف قتل السجناء لبعضهم، لم يكن هناك أخبث من هذا النظام. كانت الفوضى تعمّ الغرفَ والمهاجع كلها، والسجناء يعيشون في خوف من أن يُقتَلوا في أي لحظة.

يروي "أحمد" ما حصل بعد جريمة القتل التي تغير على إثرها مدير السجن واستلم "علي خير بك"؛ لتبدأ مرحلة جديدة في عهده؛ حيث قام بدمج السجناء مع بعضهم (كانت كل قضية وتهمة مخصصة بغرف وجناح لها قبل استلامه)، وذلك بوضع شخصين من الإسلاميين المتشددين في كل غرفة ومهجع، وكانت هذه العملية مقصودة حيث لا يمكن لمتشدد من القاعدة أن يتقبل شخصًا من الإخوان أو مسيحيًّا أو درزيًّا، فكان هدفه زرع الفتنة بين السجناء بطريقة خبيثة جدًّا.

أصبحت الفوضى داخل "سجن صيدنايا" لا توصف، كما قام مدير السجن "علي خير بك" بقطع الكهرباء نهائيًّا، وبعد فترة قطع الماء عن السجن، فضاق السجناء ذرعًا من تصرفات مدير السجن، فقام أحد السجناء في جناح الإخوان المسلمين بسرقة خط كهرباء من الكردور وتمديده إلى غرفته؛ لأن الغرف والمهاجع كانت مظلمة جدًّا، فشاهد أحد العناصر من الشرطة الضوء وتتبع مصدره، فقال الشرطي بصوت مرتفع: من الذي مدّد شريط كهرباء؟ وكان الذي سحب شريط الكهرباء رجلًا مسنًّا، فقام أحد الشباب وقال للشرطي: أنا. قال له الشرطي: اخرج إلى خارج الغرفة. وانهال على السجين بالضرب ربع ساعة، والشرطي الذي كان يضرب الشاب قام بشتم الذات الإلهية، والسجناء الذين في الجناح "جماعة الإخوان المسلمين" متشددون فقاموا بالتكبير (الله أكبر الله أكبر)، والشاب يقول للشرطي: اتركني لأجل الله. قال له الشرطي: لينفعك الله ومحمد، وليأتوا لتخليصك. طبعًا كانت هذه عملية استفزاز من الشرطي. هنا بدأ كل من في المهجع بالتكبير، وكل المهاجع تكبّر، خلعوا الباب وخرج السجناء إلى الخارج، وعندما شاهد مدير السجن السجناء يخرجون من السجن، هرب ومعه الشرطي.

هذه الحادثة حصلت فترة الظهر، ومع حلول المساء هدأ الوضع. وفي اليوم الثاني مساءً كان الوضع قد انتهى، وسارت الأمور على ما يرام، ولكن

الوضع بقي متوترًا، فقد كانت المعاملة سيئة للغاية، والزيارات مقطوعة نهائيًّا.

كان السجن في فوضى وصلت إلى مرحلة أنّ الإدارة لم تعد تستطيع أن تسيطر على السجن. بقيت الأمور هكذا في ظل الفوضى، وفقدت الشرطة العسكرية السيطرة على السجن، وأصبحت إدارة السجن إدارة ذاتية، فأصبح هناك نوع من أنواع الشحن الداخلي للقائمين على إدارة السجن، وبعد شهرين حصلت حالة الاستعصاء.

كانت أصعب لحظات عشتها في "سجن صيدنايا" الفترة بين سنة ٢٠٠٥_٢٠٠٦، كان كل يوم يمر علينا كأنه سنة.

قام مدير السجن بإنزال جماعة الإخوان المسلمين والجماعات المتشددة إلى أجنحة منعزلة، واستمر التوتر بين السجناء والإدارة الذاتية، إلى أن حصل الاستعصاء سنة ٢٠٠٧ وانفجر السجن؛ ليبدأ الرعب في "سجن صيدنايا".

وفي تمام الساعة الخامسة والنصف صباحًا قام مدير السجن بوضع كرسيه أمام الجناح، وقال لنا: في الشهر السابع سيصدر عفوٌ لكم.

ما زلتُ أتذكر أول أيام الشهر السابع، غرفتي أول مهجع مطلة على باقي المهاجع، وهناك شبّاك أنظر من خلاله إلى الخارج. في الساعة الثانية عشرة منتصف الليل سمعت صوت باصات، كنت منتظرًا العفو الذي سوف يصدر حسب كلام مدير السجن لنخرج من السجن، وكنت أسمع صوت باصات تأتي وتذهب مدة يومين، كنت مستغربًا فلا أحد يعرف ماذا يحضّرون، وماذا يخططون، والسجن يعيش في حالة رعب، وكانوا في هذه الأثناء ليلًا يدخلون عناصر ويتسلقون بشكل سري على سطح السجن. كانوا يجهزون لعملية جديدة وهي ضرب السجن والمعتقلين في السجن، كان السجناء خلال هذه الفترة يعيشون حالة رعب وتوتر ولاسيّما بعد تسلق العناصر على سطح السجن.

وبعد ثلاثة أيام في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحًا أيقظني أحد زملائي وهو يقول لي: استيقظ هناك مشكلات كبيرة. استيقظت خائفًا، وكان

الصوت غير طبيعيّ داخل السجن، كان صوتًا مخيفًا.

الخروج بعد مضي اثني عشر عامًا داخل السجن الأحمر

يقول أحمد: كانت الأصوات التي يُسمع صداها في "سجن صيدنايا" في ساعات الصباح الباكر خطة خبيثة من نظام خبيث.

دخلَ عناصر الشرطة العسكرية إلى المهاجع وبدؤوا بضرب الشباب، ثم تقييدهم، وكانت الخطة نقل المعتقلين إلى "سجن تدمر" في محافظة حمص، ولكن السجناء في المهاجع أصبحوا يكبّرون (الله أكبر الله أكبر)، وفتحوا الأبواب، كان هناك ١٢٠٠ عسكري ضيّقوا على السجن وتوزعوا، فكلّ قسم منهم يضرب جناحًا، ولكن بعد أن فُتِحت الأبواب وبدأ السجناء يخرجون من غرف المهاجع، أصبح عناصر الشرطة العسكرية خلال ساعة ونصف (١٢٠٠ عسكري مع ضباطهم) في قلب المهاجع، فأصبح هناك سجن داخل السجن، والمعتقلون هم الذين أصبحوا السجانة بعد أن أمسكوا بهذا العدد الكبير من العساكر والضباط.

هنا خرج السجناء إلى الخارج ونزلوا إلى الطابق الأرضي، وبعدها توجهوا إلى الساحة، وبدأ إطلاق النار وقُتِلَ بعضُ المعتقلين أثناء خروجهم إلى الساحة، وحصل اشتباك بالأيدي بين السجناء والعساكر أمام "باب السور"، وقامت الشرطة بإطلاق النار على السجناء فقُتِل بعضُ الشباب وهم في الساحة.

تراجع السجناء للخلف، وعادوا إلى بناء السجن لحماية أنفسهم من إطلاق النار عليهم من قبل الشرطة العسكرية، وفورًا قامت إدارة السجن بالاتصال بالقوة التابعة لها، وجاءت "الفرقة الرابعة" وطوّقت السجن واستمر تطويق "الفرقة الرابعة" للسجن حتى انتهاء فترة الاستعصاء.

قامت إدارة السجن بقطع الطعام والماء عن السجن كاملًا، وكان السجناء وقتها قد نزلوا إلى المطبخ عندما سيطروا على السجن، وأخذوا المواد

الغذائية، كانت الحالة يُرثى لها؛ فالسجن تكسر، والأرض حفرها المعتقلون، وصنعوا سواتر، ووضعوا أكياس على الشبابيك، فقام النظام السوري بوضع رافعات؛ لكل جناحين وضعوا رافعة، وأحضروا إطفائية ورشّوا المهاجع بمياه مجارير، والمحارس العالية التي على الجبل قاموا بتزويدها بقناصات، فكان أي شخص يتحرك بالكردور أي حركة من الداخل مباشرة القناص يقنصه، قُتِل في هذه العملية ما يقارب مئة شخص من السجناء وبعض عناصر الشرطة العسكرية.

كان الضرب لا يهدأ ليلًا ونهارًا، ضرب بالقذائف الغازية المسيلة للدموع رغم إغلاق الشبابيك بأكياس الرمل ووضع سواتر، وأصبحوا يصوبون الرصاص على المهاجع. خلال عشرين يومًا نقص وزني عشرين كغ.

أثناء السيطرة على السجن حينها، سيطر التيار السلفي الجهادي على الطابق الثالث إلى الطابق الأرضي كاملًا، أصبحت الأجنحة عسكرية، وقاموا بتعذيب السجناء والتحقيق معهم، فقاموا بتعذيب سجين يدعى وسيم سماك من مدينة حلب كان مريضًا نفسيًّا، وكان متهمًا بالتعامل مع إسرائيل، فقامت جماعات التيار السلفي الجهادي بإنزاله ثلاث مرات إلى الطابق الأرضي وقاموا بإحراقه بواسطة علبة أحرقوها وقاموا بوضعها على قدميه حتى أصيبت قدمه بمرض الغرغرينا الذي أدى إلى بتر قدمه وأصبح معاقًا تمامًا.

استمرت الفوضى داخل "سجن صيدنايا" إلى أن حصلت مفاوضات. تمت المفاوضات على موضوع إخراج بعض السجناء الموجودين في الجناح القضائي بتهم كلها قضائية؛ تفاوضوا على سبعين شخصًا، وتم الإفراج عنهم. وقد حضر المفاوضات لجنة من دمشق وألوية الأمن والجيش والمخابرات السورية وتفاوضوا مع شخصين من التيار الإسلامي وتوصلوا في النهاية إلى الاتفاق الذي يقضي بالإفراج عنّا.

بعد خمسة عشر يومًا نُقِلنا إلى "سجن عدرا"، وقد نُقِل السجناء على دفعات. قيّدونا واقتادونا إلى "سجن عدرا" وبقينا هناك ثلاثة أيام، ثمّ أعادونا إلى "سجن صيدنايا" بطريقة سرية ووضعونا في "السجن الأبيض"

داخل "سجن صيدنايا"، وصادف أن يكون مهجعنا مشرفًا من خلال الشباك على السجن الكبير. كان هناك دائمًا إطلاق نار على السجن، وكنا نعيش في حالة رعب شديد، إلى أن أخرجوا كل المعتقلين، وبقي ثلاثون شخصًا خلال ساعة الاقتحام. كان أفراد الشرطة العسكرية يرتدون لباسًا أسودَ، ويضعون خُوَذًا وكمامات. كان آخر ثلاثين شخصًا قتلهم أفراد الشرطة العسكرية خلال وجودي في السجن الصغير.

أسماء الأشخاص المعتقلين الذين كانوا معي داخل سجن صيدنايا:

1- وائل الخوص، ٢- دحام جبران، ٣- أحمد شلق، ٤- محمد عباس، 5- حسن الجابري، 6- محمد عيد الأحمد، ٧- زكريا عفش، ٨- خضر العلوش، ٩- عبد الباقي قطب، ١٠- معن مجاريش، 11-يحيى بندقجي، ١٢- صائب عمر، ١٣- عبد الوهاب السعدي، ١٤- أنور حمادي، ١٥- محمد عبد الفتاح، ١٦- عبد الكريم الحفار، ١٧- سعيد بكري حميدو، ١٨- زكي عبد الوهاب، ١٩- ناجي وادي الحمد ، ٢٠- ناصر ناصر، ٢١- مجول الحسكاوي، ٢٢- علي الخطيب، ٢٣- عبد الحليم الضحيك، 24- عمر السعيد، 25- محمد عتابا، 26- فادي عبد الغني، ٢٧- أحمد العبد الله، ٢٨- عز الدين الحاج، ٢٩- محمد شعبان، ٣٠- عبد المقصود حمو، ٣١- محمد عبد الغني، ٣٢- محمد الحراكي، ٣٣- رضوان الحسين، ٣٤- أمير قاسم شاكر، ٣٥- محمد الطيب الدردار، ٣٦- فراس الصغير، 37- أنس صالح، ٣٨- باسم مداراتي ٣٩- فرهاد الكردي.

بعد أحداث الاستعصاء استلم إدارة السجن "طلعت محفوض". وعندما بدأت أحداث الانتفاضة السورية الشعبية قاموا بنقل السجناء إلى محافظاتهم من أجل إفراغ السجن، وجاء أمر بإخلاء سبيلي في **18/6/2011** وتأخر خروجنا إلى **20/6/2011** بسبب المظاهرات.

خرجت بعد مضي اثنتي عشرة سنة قضيتها داخل "سجن صيدنايا"، خرجت من سجن صغير إلى سجن كبير، خرجت ومعي ألم، وأنا لا أستطيع الرؤية في عيني نتيجة شدة التعذيب، وكان بعض مَن معي يعانون من أمراض القلب، أنا خرجت بأقل الخسائر، أجريت ١٧ عملية لعيني وما زلت متابعًا علاجي في تركيا.

الخروج من السجن الصغير إلى السجن الكبير

يقول أحمد: وصلت إلى البيت وكانت فرحتي لا توصف لأني احتضنت أولادي بعد سنوات فرّقت بيني وبينهم. عدت وكنت بانيًا أحلامًا كبيرة، ولكن تفاجأت وانصدمت بالمجتمع والواقع نتيجة الاعتقال لسنوات طويلة. عندي أربعة أطفال، كان عمر أكبرهم عندما دخلت المعتقل تسع سنوات، خرجت وعمره ٢٢ سنة، وكانت زوجتي حاملًا في الشهر الأول عندما اعتقِلت، فخرجت لأجد أمامي فتاةً عمرها ١٣ سنة، عاشت فترة طفولتها من دون أب. هذا الأمر خلق نوعًا من النفور أو عدم تقبل الأب الذي عاد إليهم بعد غياب طويل، حتى زوجتي رغم أنها كانت في البداية فرحة بخروجي بعد ضياع ١٣ سنة من عمرها وعانت من صعوبة تربية الأطفال وحدها، وعانت من المجتمع المحيط بها، كل هذا أدى إلى تفكّك الأسرة.

أصبح هناك نوع من الصعوبة في طريقة التأقلم والتفاهم مع أسرتي، كنت مخططًا تخطيط الأب لأبنائه، ولكن المخططات فشلت، أيّ أب يضع مخططًا لتربية الأطفال وتعليم أولاده، كله فشل، ولم أعد قادرًا على التفاهم مع أفراد عائلتي الذين تركتهم وهم أطفال، لم يعيشوا مثل باقي أطفال العالم بوجود أب يرعاهم ويحتضنهم، حُرِموا من أجمل لحظات حياتهم في فترة الطفولة، وهي وجودي معهم، وحُرمت من سماع كلمة "أبي"، وبعد أن خرجت وجدت الذين تركتهم أطفالًا قد أصبحوا شبابًا، فكانت صدمة.

صُدِمت بالحياة والوسط المحيط بنا، كان ظالمًا من ناحية المعاملة، ومن حيث الاتجاهات السياسية والاجتماعية، الناس كلهم تغيروا.

بقيت سنة داخل منزلي، لا أحد يزورني، لم أجد عملًا؛ فليس معي هوية، عندما يسألني أي شخص وأقول له إنني كنت معتقلًا سياسيًّا لا أحد يتجاوب معي نهائيًّا.

وبالنسبة إلى الأهل والأخوة والأقارب فكان ظلمهم بالنسبة إليّ أشد وأقسى من سجون النظام السوري، بقيت سنة كاملة بعد خروجي من السجن من دون أن يزورني أحد، انصدمت بهذا الواقع، وإلى الآن لا يوجد تفاهم مع الأقارب نهائيًّا، أي شخص معتقل عندما يخرج بعد غياب ١٣ سنة يكون عاقدًا الأمل على أهله والأقارب، وأن يقفوا معه، ولكن صُدِمت بالواقع.

خرجت وتركت أصدقائي يعانون في سجون النظام السوري من ظلم السجانة والمحققين، فكان شعورًا صعبًا أني خرجت وتركتهم في ظلام السجن الغاشم. أتمنى أن يفرج عنهم وعن كل المعتقلين الذين لم يجدوا أي منظمة إنسانية ودولية للأسف معهم، فأنا في نظري لا يوجد منظمات حقوقية، هؤلاء معتقلون في سجون النظام السوري ولا يوجد أي منظمة في العالم استطاعت أن تدخل وتشاهد وضعهم، هناك الآلاف من المعتقلين من الناس الأبرياء داخل سجون النظام السوري، السجون مليئة بجميع أنواع الانتهاكات من دون أي تحرك دولي، بل صمت دولي قاتل.

بعد غياب سنوات طويلة تمنيت لو أني بقيت داخل سجن النظام ولم أُصدَم. يقول أحمد: ليتني لم أخرج، ليتني بقيت في السجن ومتّ أهون من صدمتي بهذا الواقع، فعندما خرجت كنت في حاجة إلى طبيب حتى أُشفى من ضعف الرؤية، ولكن تأخرت كثيرًا في علاجي. وبعد أربع سنوات من خروجي من المعتقل سافرت إلى تركيا للعلاج، في البداية كان المرض في عيني مياهًا بيضاء، لكنه تطور إلى انفصال في الشبكية، وأنا مستمر حتى الآن في علاجي في تركيا.

الفصل الثاني

إضاءات

١ - السجون

١ -١ سجن صيدنايا



صورة جوية لسجن صيدنايا العسكري (المصدر: صحيفة "القدس العربي")

هو سجن عسكري، افتتح عام ١٩٨٧، تديره الشرطة العسكرية، ويتبع لوزارة الدفاع، ويقع قرب بلدة "صيدنايا" شمال مدينة دمشق بنحو ٣٠ كم، ويتألف من مبنيين؛ المبنى القديم (المبنى الأحمر): وهو مبنى من ثلاثة طوابق، صُمّم على شكل شارة "المرسيدس"؛ حيث تتوسطه كتلة رئيسة تتفرع منها ثلاثة ممرات طويلة. ومعظم المعتقلين في هذا المبنى هم من المدنيين. أمّا المبنى الثاني فهو المبنى الجديد (المبنى الأبيض)، مبنى مستقل يوجد فيه نحو ستة آلاف سجين، أغلبهم من العسكريين الذين عُرضوا

على المحاكم العسكرية، وحُكم عليهم بالسجن نتيجة ارتكابهم مخالفات عسكرية، كالفرار أو محاولة الانشقاق أو عدم تنفيذ الأوامر العسكرية أو غيرها.

وعند افتتاح سجن صيدنايا نُقل كثيرون من معتقلي سجن تدمر إليه، إضافة إلى بعض معتقلي سجن المزة العسكري، ومعظمهم كانوا من المدنيين المتهمين والمحكومين بقضايا سياسية، وقضايا تتعلق بـ "أمن الدولة". ومنذ ذلك الوقت احتُجِز داخل سجن صيدنايا سجناء مدنيون موقوفون عرفيًّا لصالح أجهزة أمنية مرتبطة بالجيش، كالأمن العسكري والمخابرات الجوية، ولصالح فرع أمن الدولة. كما احتُجِزَ فيه معتقلون لبنانيون وفلسطينيون أيضًا.

وقد اشتهر السّجن بمجازره المتكرّرة وإعدامات نزلائه، ولاسيّما بعد استعصائه الشّهير الذي اختتم بمجزرته الكبرى عام ٢٠٠٨م؛ عندما أقدم عناصر من جهاز الشرطة العسكرية ليلة ٤ تموز/ يوليو ٢٠٠٨ على تبديل أقفال مهاجع السجن. وفي الصباح الباكر لليوم التالي وصلت قوة تعزيزية إضافية وبدأت حملة تفتيش بطريقة استفزازية مهينة رميت خلالها نسخ من المصحف، ما أثار المعتقلين الإسلاميين الذين تدافعوا لاسترداد نسخ المصحف، وعندئذ فتح عناصر الشرطة العسكرية النار عليهم فأردوا تسعة قتلى على الفور وهم: زكريا عفاش، ومحمد محاريش، وعبد الباقي خطاب، وأحمد شلق، وخلاد بلال، ومؤيد العلي، ومهند العمر، وخضر علوش. إثر ذلك عمّت الفوضى في قسم من أقسام السجن وخرج بعض المعتقلين للتصدي للشرطة العسكرية التي فتحت عليهم النار مجددًا، وذكر أن عدد القتلى وصل إلى خمسة وعشرين قتيلًا.

بعدها أخذ المعتقلون رهائن من عناصر الشرطة العسكرية وإدارة السجن ولجؤوا إلى سطح السجن بعدما أطلقت الشرطة العسكرية والأمن القنابل الدخانية والقنابل المسيلة للدموع، بحسب تقاطع عدة روايات. كما انتشر عدد من الدبابات والآليات المصفحة في محيط السجن، ووضعت الحواجز

لمنع اقتراب أهالي المعتقلين للاطمئنان على ذويهم المعتقلين فيه، ووردت حينها معلومات تفيد بأن جناحًا خاصًا في مستشفى تشرين العسكري قد خصص لاستقبال الوفيات والإصابات، وعزل عزلًا تامًّا عن بقية أقسام ومرافق المستشفى.

وبقيت الأخبار تتوارد من داخل السجن مدة ثلاثة أيام، بينما اكتفت سلطة الأسد بإيراد تصريح مفاده أن معتقلين محكومين بجرائم التطرف والإرهاب أقدموا على إثارة الفوضى والإخلال بالنظام العام، ما استدعى التدخل المباشر من وحدة حفظ النظام لمعالجة الحالة وإعادة الهدوء إلى السجن وتنظيم ضبوط بحالات الاعتداء على الغير وإلحاق الضرر بالممتلكات العامة لاتخاذ الإجراءات القانونية بحق المخالفين[١٦].

تواردت بعد ذلك أنباء عن تسليم جثث بعض المعتقلين في سجن صيدنايا لأسرهم، فقد سلمت في ١٦ تموز/ يوليو ٢٠٠٨ جثة معتقل إسلامي من آل سنو من عربين، كان قد اعتقل قبل سنتين من المجزرة، وأخبرت السلطات أهله أنه مات بسبب إضرابه عن الطعام إلا أنه من المرجح أن يكون من ضحايا المجزرة. وبعد مفاوضات مع أسرة المعتقل الأردني جميل عبد الله أبو شحادة سلمت جثته لها في ١٦ آب/ أغسطس ٢٠٠٨، ولم يعرف إن كان قد قتل في المجزرة أو تحت التعذيب.

بعد المجزرة انقسم المعتقلون إلى ثلاث فئاتٍ رئيسة[١٧]، وغدت كلّ شريحةٍ

١٦ - اللجنة السورية لحقوق الإنسان، مجزرة سجن صيدنايا، ٢٧ كانون ثاني/ يناير ٢٠٠٩.
٩٣٦٣=p?/org.shrc.www//:https

١٧ - موقع تلفزيون سوريا، "دول صيدنايا الثلاث.. كيف نجح اللواء محمد ناصيف في عسكرة الثورة؟" (تحقيق)، كانون الثاني/ يناير ٢٠٢١.
D٪A٧٪D٨٪٨٦٪D٩٪AF٪D٨٪٨A٪D٩٪B٥٪D٨٪-٨٤٪D٩٪٨٨٪D٩٪AF٪D٨٪/tv.syria.www//:https
-٨١٪D٩٪٨A٪D٩٪٨٣٪D٩٪-AB٪D٨٪A٧٪D٨٪٨٤٪D٩٪AB٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪-A٧٪D٨٪٨A٪٩
-A١٪D٨٪A٧٪D٨٪٨٨٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪-AD٪D٨٪AC٪D٨٪٨٦٪D٩٪
-٨A٪D٩٪٨١٪D٩٪-٨١٪D٩٪٨A٪D٩٪B٥٪D٨٪A٧٪D٨٪٨٦٪D٩٪-AF٪D٨٪٨٥٪D٩٪AD٪D٨٪٨٥٪D٩٪
٩F٪D٨٪A٩٪D٨٪B١٪D٨٪٨٨٪D٩٪AB٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪-A٩٪D٨٪B١٪D٨٪٨٣٪D٩٪B٣٪D٨٪B٩٪D٨٪

تهيمن على طابق كامل تقريبًا؛ الطّابق الأوّل يضمّ المعتقلين الذين يصنّفون بأنّهم إسلاميّون متشدّدون حدّ التكفير، وقد أعلنوا دولة الإسلام في مهاجعهم، وكانت هذه الدّولة المسجونة تُطبِقُ الأحكام وتسعى لإقامة الحدود، وقد تمّ الحكمُ بالردّة فعلًا على عددٍ من المعتقلين بتهمة موالاتهم للكفّار عندما اشتكوا للسجّان من شدّة ضرب زملائهم لهم في السّجن بعد حوارات يفترَض أنّها "فكريّة" أو مناظرات "شرعيّة".

والطابق الثّاني يضمّ في مهاجعه مكوّناتٍ إسلاميّة جهاديّة وسلفيّةً علميّةً توصفُ بالأقلّ تشدُّدًا، وهذه الدولة ـالمهجع ـ محكومٌ عليها بالتكفير من دولة الطّابق الأوّل كونها لا تسعى لإقامة دولة الإسلام، وهي بدورها تحكم على نزلاء الطّابق الأوّل بأنّهم خوارج.

أمّا الطابق الثّالث يضمّ في مهاجعه بقيّة التيّارات المصنّفة إسلاميّة معتدلة من الإخوان المسلمين وغيرهم من أبناء التديّن المجتمعي العام، إضافة إلى سجناء يساريين وقوميين من تيارات وأحزاب مختلفة، كحزب العمل الشيوعي، والحزب الشيوعي/المكتب السياسي، وحزب البعث الديمقراطي. وهذا الطّابق محكوم عليه من دولة الطّابق الأوّل بالردة والكفر، ومن دولة الطّابق الثّاني بالتحلّل والتهتّك تارةً وبالانبطاح والتّخاذل تارةً أخرى.

وبعد اندلاع الاحتجاجات في سورية في آذار/ مارس ٢٠١١، ذاع صيت سجن صيدنايا كسجن للموت والتعذيب حتى إنه وُصِفَ بأنه مسلخ بشري؛ حيث تحدّث تقرير لـ "منظمة العفو الدولية" صدر في شباط/ فبراير ٢٠١٧، بعنوان "سوريا المسلخ البشري: عمليات الشنق الجماعية والإبادة الممنهجة في سجن صيدنايا بسوريا"[١٨]، عن أن "سجن صيدنايا العسكري هو المكان الذي تقوم الدولة السورية فيه بذبح شعبها بهدوء. ويشكل المدنيون، الذين تجرؤوا على مجرد التفكير بمعارضة الحكومة، الأغلبية الساحقة من

١٨ - منظمة العفو الدولية، "سوريا: المسلخ البشري: عمليات الشنق الجماعية والإبادة الممنهجة في سجن صيدنايا بسوريا" (تقرير)، رقم الوثيقة: *MDE 24/5415/2017*، شباط/ فبراير ٢٠١٧.
/ar/٢٠١٧/٥٤١٥/mde٢٤/documents/ar/org.amnesty.www//:https

الضحايا. وجرى منذ عام ٢٠١١ إعدام آلاف الأشخاص خارج نطاق القضاء في عمليات شنق جماعية تُنفَّذ تحت جنح الظلام، وتُحاط بغلاف من السرية المطلقة. وقُتل آخرون كثر من المحتجزين في سجن صيدنايا جراء تكرار تعرضهم للتعذيب والحرمان الممنهج من الطعام والشراب والدواء والرعاية الطبية. ويُدفن قتلى صيدنايا في مقابر جماعية. ولا يمكن لأحد أن يزعم أن مثل هذه الممارسات المنهجية والواسعة النطاق تُرتكب من دون تفويض من الحكومة السورية على أعلى مستوياتها".

وأكّدت "منظمة العفو الدولية" في تقرير آخر حمل اسم "ضعوا حدًّا للرعب والتعذيب في سجون سوريا"[١٩] أنّ أكثر من ١٣ ألف شخص أُعدِموا شنقًا في صيدنايا، بين شهر أيلول/ سبتمبر ٢٠١١ وشهر كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٥. وتتبّع التقرير المراحل التي يمر بها المعتقلون قُبيل الحكم عليهم بالإعدام؛ حيث يواجه الضحايا ما تسميه السلطات السورية بـ "المحاكمة" في محكمة الميدان العسكرية، وهو إجراء يتم تنفيذه مدة دقيقة أو دقيقتين، داخل مكتب وأمام ضابط عسكري، حيث يتم فعليًّا تسجيل اسم المعتقل في سجل المحكومين عليهم بالإعدام. وفي يوم تنفيذ عملية الإعدام، والذي يصفه حراس السجن بـ "الحفلة"، يتم اقتياد المحكوم عليهم بالإعدام من زنازينهم في فترة ما بعد الظهر، وتقوم السلطات بإبلاغ المعتقلين بأنهم سيُنقَلون إلى سجون مدنية، التي يعتقد كثيرون أنها تتمتع بظروف أفضل. ولكن، بدلًا من ذلك يُنقلون إلى غرفة تقع في طابق سفلي من المبنى، حيث يتعرضون للضرب المبرح خلال ساعات الليل قبل اقتيادهم إلى "غرفة الإعدام".

ونقلت منظمة العفو الدولية عن لسان سجناء سابقين مشاهد "تعذيب لا يمكن تخيله" سواء عند القبض عليهم، أو عند ترحيلهم بين مراكز الاحتجاز؛ حيث كان التعذيب جزءًا من "حفلة ترحيب" تسودها انتهاكات كثيرة عند

١٩ - منظمة العفو الدولية، "ضعوا حداً للرعب والتعذيب في سجون سوريا" (تقرير)، أيلول/ سبتمبر *2016*.

https://www.amnesty.org/ar/latest/campaigns/2016/08/syria-torture-prisons/

الوصول إلى السجن. في بعض الحالات، كان "السجناء يتعرضون للتعذيب كل يوم من أجل خرق بسيط لقوانين السجن، بما في ذلك التحدث مع نزلاء آخرين أو عدم تنظيف زنازينهم". والكثير من السجناء الذين أخذت المنظمة شهاداتهم قالوا إنهم تعرضوا للضرب بخراطيم بلاستيكية، وقضبان مصنوعة من السيليكون، وعصي خشبية، وللحرق بأعقاب السجائر. وأُجبِر آخرون على الوقوف في الماء وتلقي صدمات كهربائية. إضافة إلى استخدام بعض تقنيات التعذيب الشائعة مثل "بساط الريح" و"الدولاب" وغيرها. كما وثقت المنظمة حالات اغتصاب وتحرش جنسي تعرض لها رجال ونساء في السجن.

وأثناء سنوات الثورة السورية تعاقب على إدارة السجن ثلاثة أسماء اتهموا بارتكابهم جرائم ضد الإنسانية وانتهاكات جسيمة بحق السجناء داخل سجن صيدنايا، وهم: العميد طلعت محفوض الذي لقي حتفه عام ٢٠١٣، والعميد محمود أحمد معتوق الذي تضاربت الروايات حول مقتله أو وفاته عام ٢٠١٨، وأخيرًا العقيد وسيم سليمان حسن الذي توفي في حزيران/ يونيو ٢٠٢١ إثر نوبة قلبية كما صرح إعلام سلطة الأسد.

وفي ٢٨ تمّوز/ يوليو ٢٠٢١ فرض مكتب مراقبة الأصول الأجنبية التابع لوزارة الخزانة الأميركية عقوبات على ثمانية سجون سورية تديرها أجهزة المخابرات، من بينها سجن صيدنايا[٢٠]. وجاء في التقرير أن سجن صيدنايا "يمتلك تاريخًا موثّقًا بشكل جيد من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. منذ بداية الأزمة في سورية، كان سجن صيدنايا هو المكان الذي شهد اعتقال المعارضين السلميين للنظام، وكذلك العسكريين المشتبه في معارضتهم

٢٠ - وزارة الخزانة الأمريكية، "الخزانة الأمريكية تفرض عقوبات على سجون سورية ومسؤولين سوريين وجماعة مسلحة سورية" (تصريح)، ٢٨ تمّوز/ يوليو ٢٠٢١.

https://www.state.gov/translations/arabic/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B2%D8%A7%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D9%81%D8%B1%D8%B6-%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B3%D8%AC%D9%88%D9%86/

للنظـام والقضـاء عليهـم. ويُرجّـح أن مـا بـين عـشرة آلاف وعشريـن ألـف معتقـل محشـورون في مبنيـين اثنـين في سـجن صيدنايـا العسـكري وحـده، حيـث حُـرم العديـد مـن السجناء مـن الطعـام والماء لفـترات طويلـة وكانـوا عرضـة للـضرب المـبرح. وورد أن الآلاف مـن المعارضـين للنظـام السـوري أُعدِمـوا خـارج نطـاق القضـاء في عمليـات شـنق جماعيـة في السـجن ودفنـوا في مقابـر جماعيـة. وتقـدّر عـدة تقاريـر صـادرة عـن منظـمات غـير حكوميـة أنـه تـم إعـدام مـا بـين خمسـة آلاف وثلاثـة عـشر ألـف شـخص في سـجن صيدنايـا العسـكري بـين عامـي ٢٠١١ و٢٠١٥. وتشـير التقاريـر المهرّبـة مـن المعتقلـين في سـجن صيدنايـا العسـكري منـذ ذلـك الحـين إلى تسـارع وتـيرة عمليـات القتـل خـارج نطـاق القضـاء في السـجن. وتـمّ تصنيـف سـجن صيدنايـا العسـكري وفقًـا للأمـر التنفيـذي ١٣٨٩٤ لتورطـه في ارتـكاب انتهـاكات خطِـرة لحقـوق الإنسـان".

١-٢ سجن السويداء المركزي



صورة جوية لسجن السويداء المركزي (المصدر: صحيفة "المدن")

يقع سجن السويداء المركزي في مدينة السويداء، ويتألف من كتلتين بارتفاع ٤ طوابق، وكل كتلة لها باحة تنفّس خاصة بها، وجناح خاص بالأحداث وجناح خاص بالسيدات. وتوجد داخل السجن "مفرزةٌ" تابعةٌ لـ "فرع الأمن السياسيّ" تتعسّف في التعامل مع المساجين، وتُمعن في إهانتهم وإذلالهم وابتزازهم، بحسب ما رواه معتقلون سابقون في السجن المدنيّ.

لم يكن سجن السويداء المدنيّ قبل عام ٢٠١١ مكانًا لاحتجاز المعتقلين السياسيّين، بل كان مخصّصًا لتنفيذ العقوبات المحكوم بها من قبل المحاكم الجزائيّة، وللتوقيفات القضائيّة. إلّا أنّه بعد عام ٢٠١١، وبسبب اكتظاظ معتقلات سلطة الأسد في دمشق وباقي المحافظات، تمَّ ترحيل العديد من

المعتقلين السياسيّين والناشطين الثوريّين إلى سجن السويداء المدنيّ. وجزءٌ كبيرٌ من هؤلاء موقوفٌ لصالح "محكمة الإرهاب"، وهذا ما يرتّب عبئًا إضافيًّا على المعتقلين، من حيث صعوبة حصولهم على إخلاءات سبيل وإرسالها إلى دمشق. وهو ما يترافق مع فسادٍ وتراخٍ من إدارة السجن في إرسال تلك الإخلاءات إلى "محكمة الإرهاب". ومن ناحيةٍ أخرى يواجه المعتقلون صعوبة في التواصل مع محاميهم، باعتبارهم كانوا قد وكّلوهم، وهم في دمشق. لذا حدثت شبه قطيعةٍ بين المحامين وموكليهم من معتقلي سجن السويداء المدنيّ، وذلك بسبب صعوبة التنقّل الناجمة عن ظروف الحرب. هذا ما رتّب أعباءً إضافيّةً أيضًا على المحامين والمعتقلين في آن، وحال دون وقوف المحامين على ما يصادفه المعتقلون من مشكلاتٍ داخل السجن المدنيّ في السويداء. ويعاني المعتقلون في سجن السويداء المدنيّ من تباعد مهلة جلسات المحاكمة أمام "محكمة الإرهاب" ما بين ثلاثة أشهر وستة أشهر. وعند كلّ جلسةٍ تتكرّر معاناة المعتقلين بسبب إجراءات النقل إلى دمشق، وما يقع عليهم من ابتزازٍ من إدارة السجن. ومن ثَمّ يمثلون أمام المحكمة مدّة لا تتجاوز الدقائق الخمس كإجراءٍ شكليٍّ وروتينيٍّ لمتابعة القضيّة داخل المحكمة. كما يتعرّض الموقوفون لصالح "محكمة الإرهاب" إلى معاملةٍ سيّئة من بعض ضبّاط السجن وعناصره، ومنها ابتزازهم لقاء اتصالٍ هاتفيٍّ أو موعد زيارةٍ أو نقلٍ من مهجعٍ إلى آخر تكون ظروفه أفضل. إضافة إلى كلّ ذلك، يعاني المساجين من انعدام الرعاية الصحيّة وانعدام النظافة؛ إذ تنتشر في السجن الأمراض الجلديّة والقمل. كما أنّ الطعام الذي يقدّم إليهم يصفونه بأنّه قليل وسيّئ جدًّا. ويُعدّ سجن السويداء المدنيّ من الأماكن غير المعدّة للتوقيف للأسباب المذكورة آنفًا.[21]

٢١ - الخطيب، همام، سجناء الرأي في سجن السويداء المدنّي: إضراب مفتوح (تحقيق)، المدن، نيسان/ أبريل ٢٠١٨.
D٨٪A٧٪D٨٪٨٦٪D٩٪AC٪D٨٪B٣٪D٨٪/٢٥/٤/٢٠١٨/arabworld/com.almodon.www//:https
-٨٦٪D٩٪AC٪D٨٪B٣٪D٨٪-٨A٪D٩٪٨١٪D٩٪-٨A٪D٩٪A٣٪D٨٪B٧٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪-A١٪
D٩٪A٧٪D٨٪-A١٪D٨٪A٧٪D٨٪AF٪D٨٪٨A٪D٩٪٨٨٪D٩٪B٣٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪
-A٨٪D٨٪A٧٪D٨٪B١٪D٨٪B٦٪D٨٪A٥٪D٨٪-٨A٪D٩٪٨٦٪D٩٪AF٪D٨٪٨٥٪D٩٪٨٤٪
AD٪D٨٪٨٨٪D٩٪AA٪D٨٪٨١٪D٩٪٨٥٪D٩٪

في آب/ أغسطس ٢٠١٦، حاصرت قوّات النظام السجن المدني في السويداء حصارًا مطبقًا؛ وقطعت الاتصالات الأرضيّة والخلويّة عن محيط منطقة السجن، كما قطعت خدمة الإنترنت عن المحافظة كلّها، وقامت بقطع الكهرباء والمياه عن السجن. بعدها دخلت ميليشيات "الشبيحة" والقوى الأمنيّة ورمت قنابل مسيلة للدموع، ما أدّى إلى حالات اختناقٍ داخل السجن، وتمَّ إطلاق الرصاص الحيّ على المساجين، ما أدّى إلى مصرع اثنين من السجناء، هما محمد قاسم رسلان وفادي محمود، وجُرِح عشرةٌ آخرون. ووردت بعض المعلومات آنذاك تفيد بأنّ السبب المباشر هو قيام إدارة السجن بنقل عددٍ من المساجين لتنفيذ حكم الإعدام فيهم، فحصلت المواجهات بين السجناء وعناصر السجن. بينما وردت معلوماتٌ أخرى تقول: إنّ الاستعصاء كان على خلفيّة قيام دوريّةٍ تابعةٍ للأمن الجنائيّ بإهانة وضرب بعض المعتقلين أثناء قيامها بجولةٍ تفتيشيّةٍ على أحد المهاجع.

وفي نيسان/ أبريل ٢٠١٨ نفّذ المعتقلون السياسيّون في سجن السويداء المدنيّ إضرابًا مفتوحًا عن الطعام، دفعهم إليه ما يعانونه من ابتزاز وتدخّلات الفروع الأمنيّة بشؤونهم داخل السجن، إضافة إلى جلسات المحاكمات الصوريّة والوهميّة التي يخضعون لها أمام "محكمة الإرهاب" و"المحكمة الميدانيّة"، وما يصدر عنها من أحكام جائرة وغير قانونيّة تصدر بحقهم، ويعدّونها باطلةً.

ويحتجز في سجن السويداء المركزي رغيد الططري، عميد المعتقلين السوريّين في سجون النظام، منذ عام ٢٠١٦، وهو الذي اعتقل في عام ١٩٨١. وفي ١٤ نيسان/ أبريل ٢٠١٨، شيّعت قرية "الكفر" (جنوبي محافظة السويداء) أحد أقدم معتقلي الرأي من السويداء، حسن سليمان حديفة الذي توفي في سجن السويداء المدنيّ، بعد ٣٠ عامًا من اعتقاله تعسّفيًّا وتنقّله بين أكثر من سجن إلى أن استقرّ به المطاف في سجن السويداء المدنيّ.

وفي نيسان/ أبريل ٢٠١٧ أكّدت "الشبكة السورية لحقوق الإنسان"[٢٢] أن اللواء فاروق عمران، قائد شرطة محافظة السويداء، زار سجن السويداء المركزي، والتقى مع المحتجزين أصحاب التُّهم الجنائية والسياسية، وقدَّم لهم عرضًا؛ بأن ينضموا إلى صفوف جيش النظام السوري، أو الميليشيات المحلية أو حتى تحت قيادة الميليشيات الأجنبية، الإيرانية والعراقية بشكل رئيس، ذلك في خطوة أولى لاتخاذ إجراءات لاحقة بهدف الإفراج عن الأسماء المنتقاة من قيادة السجن. وبعد هذا العرض، قامت هيئة النشاطات بجولات مستمرة على أقسام المحتجزين في سجن السويداء المركزي لجمع أسماء الراغبين بالقتال والتجنيد لصالح النظام السوري. وبحسب ما جاء في تقرير الشبكة نفسه، فإن قيادة السجن وافقت على الإفراج عن المعتقلين بتهمٍ جنائية كالقتل والسرقة والمخدرات، بينما تم رفض جميع المحتجزين المتهمين بتهمٍ سياسية. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٢٠ توفي سجينان في "سجن السويداء المركزي" إثر حالة تسمم، وإهمال إدارة السجن لهما في عدم نقلهما إلى المستشفى، بحسب ما ذكرته "شبكة السويداء ٢٤" المحلية.

٢٢- الشبكة السورية لحقوق الإنسان، "النظام السوري يستخدم المعتقلين لديه في عمليات التجنيد في قواته" (تقرير)، نيسان/ أبريل ٢٠١٧.

https://sn٤hr.org/arabic/٢٠١٧/٠٤/٢٩/٧٩٦٠/

٣-١ سجن حماة المركزي



صورة جوية لسجن حماة المركزي (المصدر: "سوريون من أجل الحقيقة والعدالة")

يقع سجن حماة المركزي غربي مدينة حماة، ويطل من جهة الشمال على نهر العاصي، ومن جهة الغرب على المدينة الصناعية، ويلفه من باقي جهاته حي القصور. وبحسب تقرير خاص لـ "اللجنة السورية لحقوق الإنسان" أصدرته عام ٢٠١٥[٢٣]، فإنّ سجن حماة المركزي يضم نحو ألف معتقل، يتوزّعون على أجنحة، وفقًا للتهم التي اعتقلوا على أساسها، حيث يضم السجن: جناح السرقة، وجناح القتل، وجناح الدعارة والاغتصاب، وجناح المحكومين، وجناح المخدرات، وجناحًا لمرتكبي الجرائم المتفرقة، إضافة إلى جناح الإرهاب والشغب (وفيه أكبر عدد من السجناء) الذي يضم معتقلين مشاركين في الحراك المناهض لسلطة الأسد بتهم مختلفة (تظاهر، إغاثة، تمويل إرهاب...)، إلا أنّ عددًا من هؤلاء المعتقلين لم يُشارك في أي نشاط، وتم

٢٣ -اللجنة السورية لحقوق الإنسان، "تقرير خاص عن سجن حماة المركزي"، ١٤ آب/ أغسطس ٢٠١٥.
AOv=psig&٣D٢٢٥٢٦٪٣Fp٪٢F٪.org.shrc.٢Fwww٪٢F٪٣A٪.https=url&i=sa?url/com.google.www//:https
٠CAkQjhxq=ved&vfe=cd&images=source&١٦٢٧٣٠٦٤٩٧٠٥٠٠٠٠=ust&Vaw٢JxnnX٦eTc٣٧٢٥rjWgfSLj
vECFQAAAAAdAAAAABAF_FwoTCNj٣٨٦Kr

اعتقالهم من الحواجز الأمنية في مناطق مختلفة، وأُجبِروا تحت التعذيب على الاعتراف بتهم تتراوح من تمويل الإرهاب (وهي تهمة مشتركة تقريبًا لمعظم المعتقلين) إلى المشاركة في أعمال عسكرية.

ويعاني السجناء من الخدمات السيئة داخل السجن، حيث يُقدَّم لهم طعام رديء، يدفعهم لتجنبه وشراء الطعام بالاعتماد على ما يصلهم من ذويهم من أموال، وهو أمر يرهق الأهالي نتيجة لغلاء الأسعار داخل السجن. كما يُعانون من تردّي الرعاية الصحية في السجن؛ حيث يتولى طبيب واحد مسؤولية السجناء جميعًا، ولا يقوم أصلًا بفحص المرضى منهم، ويكتفي بإعطاء المسكنات فيما إذا قرر تقديم العلاج للمريض، أيًّا كان نوع مرضه. هذا إضافة إلى الانتهاكات التي يتعرّض لها المعتقلون أثناء نقلهم للمحاكمات أمام "محكمة الإرهاب" في دمشق، حيث يتم نقلهم بدوريات إلى سجن حمص، فيتم إيداعهم هناك مدة أسبوع تقريبًا في غرفة تُسمى "غرفة الأمانات"، قبل أن يُنقلوا إلى دمشق، ويعودوا إلى الأمانات مرة أخرى، في انتظار إعادتهم إلى سجن حماة المركزي.

وفي حزيران/ يونيو ٢٠١٥، بدأ المعتقلون في سجن حماة المركزيّ، إضرابًا مفتوحًا عن الطعام، احتجاجًا على الأحكام الجائرة التي أصدرتها محكمة مكافحة الإرهاب في دمشق بحقّ نحو ٥٠ معتقلًا من معتقلي الحراك الشعبيّ ضد النظام. وقام المعتقلون بإنهاء الإضراب في اليوم السادس من بدئه. وبعدها قامت إدارة السجن بتغيير سياستها بالتعامل مع المعتقلين، ونقلت عددًا من المعتقلين إلى سجون أخرى، في محافظات مختلفة، وقامت بالتشديد على السجناء والتضييق عليهم؛ حيث أنشأت فرعًا للتحقيق داخل السجن، واستخدمت التعذيب كأداة للتحقيق، كما هو الحال في الأفرع الأمنية، مع الحبس في المنفردات. وبلغ التعذيب ذروته في شهر آب/ أغسطس من عام ٢٠١٥؛ حيث تشوهت أجساد معتقلين من آثار الضرب والتنكيل. وهذا ما أدى إلى قيام المعتقلين باستعصاء في الرابع عشر من آب/ أغسطس ٢٠١٥، حيث قام النظام بحصار السجن، واستقدم عناصر من حفظ النظام محاولًا

اقتحام السجن باستخدام قنابل الغاز المسيل للدموع، والقنابل الدخانية[٢٤].

عقب هذا الاستعصاء رضخ النظام لمطالب قدمها السجناء، من بينها تغيير مدير السجن، وتعديل اللجنة الأمنية، ونقل السجناء المعزولين في سجون انفرادية إلى سجون عامة. كما جاءت لجنة مشكّلة من إدارة السجون، ومن وزارتي الداخلية والعدل، وبحضور رؤساء الأفرع الأمنية في محافظة حماة، وقامت بالتحقيق مع المعتقلين والكشف على آثار تعذيبهم، والأسباب التي أدّت إلى قيام المعتقلين بالاستعصاء، وبعد تثبيت أقوال المعتقلين وضباط إدارة السجن، تم إغلاق التحقيق بعد الوعود بمحاسبة المسيئين من الشرطة والضباط، وإحالة المطالب المتعلّقة بالأحكام الجائرة والمحاكمات الهزلية والصورية إلى وزارتي العدل والدفاع، ليتم معالجة ملفات دعاوى المعتقلين الموقوفين والمحكومين من قبل محكمة قضايا الإرهاب في دمشق، ومحكمة الميدان العسكرية. ولكن بقيت هذه الوعود فارغة، من دون مضمون، أو أي خطوة حقيقية تم التعهد بحلها من قبل النظام.

ومع استمرار تصاعد المطالبة من المعتقلين بإلغاء أحكام محكمة الإرهاب، والتي كان العدد الأكبر منها الإعدام والسجن المؤبد، والمطالبة بمحاكمات عادلة ونزيهة، وكالعادة كانوا لا يتلقون غير الوعود، قام المعتقلون بالإضراب عن المثول أمام المحكمة في دمشق، وبعد عدة مفاوضات وأمام إصرار المعتقلين على مطالبهم، أصدرت إدارة السجن أمرًا شفهيًّا بعدم إجبار المعتقل الذي يرفض المثول أمام محكمة الإرهاب، على مسؤوليته الشخصية، وهذا ما يجعل المحكمة تصدر أحكامًا غيابية على المتغيبين عن جلساتهم. فمحكمة قضايا الإرهاب في دمشق هي محكمة اختصاص قضائية عليا، ومركزية ولا يوجد لها فروع في باقي المحافظات، ولذلك تقوم إدارة السجون بتسيير قوافل أسبوعية للمعتقلين من السجون المدنية والمختلفة في القطر، إلى سجن عدرا في العاصمة دمشق، ويتم المثول أمام المحكمة لهؤلاء

٢٤- مع العدالة، ”الاستعصاء الكبير في سجن حماة المركزي ١“ (تقرير)، ٣٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٨.
https://pro-justice.org/ar/victims/٩٧٤.html

المعتقلين بسوقهم بشكل يومي من سجن عدرا، وبحسب تاريخ الجلسات، ضمن أكثر الظروف إهانةً للتعامل من عناصر الشرطة، والإهانة الأكبر في طريقة النقل عبر سيارات مخصصة لنقل اللحمة، وهي عبارة عن سيارات عسكرية بصندوق معدني كبير لها نوافذ بطول ٤٠ سم وعرض ٢٠ سم، مغلقة بشبكٍ معدنيٍّ صغير الفتحات، ويكون المعتقلون مقيدين بسلسلةٍ معدنيةٍ واحدة مع بعضهم، هذه الطريقة المعترف عليها والمتبعة في نقل المعتقلين من السجون إلى سجون أخرى أو من السجون إلى المحاكم، وهذه الطريقة أشبه بنقل الحيوانات .

وفي نيسان/ أبريل ٢٠١٦ سلمت إدارة السجن ثلاثة معتقلين موقوفين لصالح محكمة الميدان العسكرية، لدورية للشرطة العسكرية، وذلك بناءً على مذكرات إحضار إلى المحكمة، من دون معرفة سبب الإحضار، وقد تبيّن فيما بعد للسجناء بأنَّ اثنين من هؤلاء المعتقلين قد تمَّ تنفيذ حكم الإعدام بحقهما في سجن صيدنايا، وهذا ما جعلهم يتخذون قرارًا بعدم تسليم أي معتقل لدوريات الشرطة العسكرية، المُحضرة من قبل محكمة الميدان العسكرية.

وفي تاريخ ٣٠ نيسان/ أبريل ٢٠١٦ حضرت دورية للشرطة العسكرية، لاقتياد خمسة معتقلين إلى سجن صيدنايا، فامتنع المعتقلون من تسليمهم، ما جعلَ إدارة السجن تقوم بالتصعيد وتهديد المعتقلين بالعقوبات الشديدة في حال لم يسلِّموا المعتقلين المطلوبين، ودارت مفاوضات ليومين، أصرَّ فيها المعتقلون على عدم تسليم رفاقهم، وهذا ما جعل الإدارة وعلى لسان قائد شرطة حماة، تهدد بتسليم السجن للجيش والقوات المسلحة، ليقوم هو بسحب المعتقلين المطلوبين ومعاقبة السجن، وكانت الشرارة التي فجَّرت الاستعصاء الكبير في ٢ أيار/ مايو ٢٠١٦.[25]

---

٢٥ - عمار حسين الحاج، ”الاستعصاء الكبير في سجن حماه المركزي ٢“ (تقرير)، مع العدالة، ٠٨ تشرين أول / أكتوبر ٢٠١٨.
A٪.D٨٪.-A٩٪.D٨٪.٨A٪.D٩٪.A٨٪.D٨٪.B١٪.D٨٪.B٩٪.D٨٪.٨٤٪.D٩٪.A٧٪.D٨٪./victims/ar/org.justice-pro//:https
٪.D٨٪.٨٣٪.D٩٪.٨٤٪.D٩٪.A٧٪.D٨٪.-A١٪.D٨٪.A٧٪.D٨٪.B٥٪.D٨٪.B٩٪.D٨٪.AA٪.D٨٪.B٣٪.D٨٪.A٧٪.D٨٪.٨٤٪.D٩٪.٧
-٨٧٪.D٩٪.A٧٪.D٨٪.٨٥٪.D٩٪.AD٪.D٨٪.-٨٦٪.D٩٪.AC٪.D٨٪.B٣٪.D٨٪.-٨A٪.D٩٪.٨١٪.D٩٪.-B١٪.D٨٪.٨A٪.D٩٪.A٨
html.A٧٪.D٨٪

٤-١ سجن دمشق المركزي (سجن عدرا)



صورة جوية **لسجن** دمشق المركزي (المصدر: «مع العدالة»)

يقع سجن دمشق المركزي (سجن عدرا) شمال شرق دمشق، وهو أكبر سجن مدني في سورية، يتبع مباشرة لوزارة الداخلية، ويحتوي على أربعة عشر جناحًا موزعة حسب أنواع الجرائم: فالعنبران ١١ و١٢ مُخصَّصان للجرائم المتعلقة بالمتاجرة بالمخدرات، ومعزولان عن باقي العنابر لمنع اختلاط تجار المخدرات بباقي السجناء. وكذلك العنبر ٢، معزول ويقبع فيه المعتقلون الإسلاميون. أما العنبر ٧ فهو مخصص لجرائم الدعارة والآداب، والعنبر ٨ مخصص لجرائم القتل والشروع في القتل والاعتداء، بينما يقع العنبر ١٣ تحت الأرض، وهو مخصص للمعاقبين. ويستوعب السجن نحو ٢٦٠٠ نزيلٍ، إلّا أنه حوى داخله أكثر من هذا العدد بعد عام ٢٠١١؛ فمنذ اندلاع الثورة السورية في آذار/ مارس ٢٠١١، استُخدم سجن عدرا ليكون مكانًا لاحتجاز أعداد كبيرة من السجناء السياسيين والناشطين السِّلْميين؛ وقد أدت هذه

الزيادة الكبيرة في عدد النزلاء إلى تحوُّل السجن إلى بؤرة للفساد عبر ابتزاز النزلاء فيه، بالتزامن مع تدهور الخدمات فيه. وبحسب شهادات معتقلين، فإن موضع المنامة يحتاج إلى دفع أجرة، كما يتعرض المعتقلون لابتزازات دورية من الحرس الذين يطلبون منهم المال مقابل تحسين أحوالهم داخل السجن زاعمين أنهم قادرون على تحصيل إخلاء سبيل للمعتقل.

وبحسب منظمة "مع العدالة"[٢٦] فإنه يوجد جناح خاص بالمعتقلين السياسيين تديره فروع أمنية بإشراف من شعبة الأمن السياسي، ولا علاقة لإدارة السجن المدني بما يحصل داخله. وبجانب سجن دمشق المركزي هناك سجن مخصص للنساء، يضم نساءً بعضهن تحت السن القانونية وأخريات كنّ حوامل واضطررن للولادة في السجن من دون تحويلهن إلى المشافي أو حتى بحضور طبيب. ويتعرض المعتقلون والمعتقلات في السجن للتعذيب والضرب والإهانات من العناصر القائمين على حراسة السجن وبأوامر من المسؤولين. كذلك تحدثت تقارير حقوقية عن وفاة معتقلين في سجن عدرا نتيجة الإهمال الصحي وانعدام الرعاية. وتنسق إدارة السجن مع الفروع الأمنية الأخرى التي تحوّل إليه المعتقلين في معظم الأحيان ليصبح مركزًا لتجمع أولئك الذين ينتظرون حكم محكمة الإرهاب عليهم.

في حزيران/ يونيو ٢٠١٦ سجلت "الشبكة السورية لحقوق الإنسان" زيارة لجنة أمنية تابعة للنظام السوري سجنَ عدرا المركزي بمحافظة ريف دمشق وقدّمت للمعتقلين عرضًا للإفراج عنهم، مقابل الالتحاق في صفوف القوات التي تُقاتل إلى جانب النظام السوري، ووزَّعت اللجنة ورقة اتفاق على

٢٦ - مع العدالة، سجن عدرا ... نقطة وصل الفروع الأمنية في سورية (تقرير)، كانون الثاني / يناير ٢٠٢٠.
/reports/views_news/uncategorized/ar/org.justice-pro//:https
-A٩٪DA٪AA٪D٩٪AA٪DA٪B١٪DA٪B٩٪DA٪A٤٪D٩٪AV٪DA٪
-AV٪DA٪B١٪DA٪AF٪DA٪B٩٪DA٪-A٦٪D٩٪AC٪DA٪B٣٪DA٪
-A٤٪D٩٪B٥٪DA٪AA٪D٩٪-A٩٪DA٪BV٪DA٪A٢٪D٩٪A٦٪D٩٪
-B٩٪DA٪AA٪D٩٪B١٪DA٪A١٪D٩٪A٤٪D٩٪AV٪DA٪
html.A٥٪D٩٪A٣٪DA٪A٤٪D٩٪AV٪DA٪

الراغبين منهم بالتجنيد وطلبت أن يقوم السجين بالبصم عليها، إلى أن يتم استدعاؤهم مرة أخرى، لإطلاق سراحهم، وعبر تواصلنا مع عدد من المعتقلين في سجن عدرا المركزي أخبرونا أن الاتفاق لم يدخل حيِّزَ التنفيذ في الأقسام المخصصة للمعتقلين السياسيين، بل شملَ المحكومين بتهمٍ جنائية، أو بالسجن لسنوات طويلة[٢٧].

٢٧ - النظام السوري يستخدم المعتقلين لديه في عمليات التجنيد في قواته، مرجع سابق.

٥-١ سجن حلب المركزي



صورة جوية لسجن حلب المركزي (المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا")

يقع السجن في القسم الشمالي من حلب وبالتحديد شمال مشفى الكندي وبجانب مخيم حندرات للاجئين الفلسطينيين، ويتألف من ثلاثة أبنية وهي البناء القديم والبناء الثاني والبناء الثالث الملحق؛ ويتألف البناء القديم من أربعة طوابق، وكل طابق يحتوي على ستة أجنحة، وكل جناح فيه عشر غرف. وبالنسبة إلى البناء الثاني فهو مخصص للمتهمين بتعاطي المخدرات والإتجار بها، أما المبنى الثالث الملحق فيضم سجنًا للنساء وآخر للأحداث.

ومنذ انطلاق الثورة السورية تم تحويل آلاف المعتقلين السياسيين والناشطين الثوريين إلى سجن حلب؛ حيث ارتكب بحقهم أخطر الانتهاكات من قتل وتعذيب وتجويع وإهمال صحي وظروف محيطة قاهرة، ما أدى إلى احتجاج المعتقلين فيه عام ٢٠١٢.

وأكدت منظمات حقوقية في نيسان/ أبريل ٢٠١٣ وفاة أكثر من مئة معتقل بسبب انتشار أمراض السل والجرب بين المعتقلين مع تقصّد النظام عدم معالجتهم. وجاء في شهاداتٍ لمعتقلين، أنه كان يتم دفن الموتى الذين مات معظمهم بسبب الأمراض وسوء الرعاية الصحيّة في مقابر جماعية في باحات السجن، بإشراف العقيد نضال العبد الله وبأوامر من رئيس السجن خلال فترة حصاره، العقيد مدحت الحسين[٢٨]. وتعددت أسباب الموت في سجن حلب المركزي بين سوء التغذية وانعدام الأدوية والتعذيب والإعدام الميداني. ومع محاولات الفصائل المعارضة اقتحام السجن عام ٢٠١٣، كان المسؤولون عن السجن يهددون بإعدام المعتقلين، وبالفعل أعدموا العشرات منهم ورموا جثثهم من أعلى بناء السجن.

وفي شباط/ فبراير ٢٠١٤ ذكر "المرصد السوري لحقوق الإنسان"[٢٩] أن عشرين سجينًا قضوا نحبهم في سجن حلب المركزي جراء نقص المواد الغذائية والطبية والبرد الشديد في السجن. وكان المرصد السوري قد قدّر عدد السجناء الذين فارقوا الحياة في سجن حلب المركزي بسبب القصف ونقص الدواء والطعام وتفشي السل والجرب والإعدام، بين نيسان/ أبريل وحزيران/ يونيو ٢٠١٣، بأكثر من مئة سجين.

٢٨-علي، مايا، مع العدالة، "سجن حلب المركزي: مقر للإعدامات الميدانية وأشكال التعذيب" (تقرير)، كانون الثاني/ يناير ٢٠٢٠.
A٪DN٪B١٪DN٪B٩٪DN٪٨٤٪D٩٪A٧٪DN٪/reports/views_news/uncategorized/ar/org.justice-pro//:https
DN٪٨٥٪D٩٪٨٤٪D٩٪A٧٪DN٪-AN٪DN٪٨٤٪D٩٪AD٪DN٪-٨٦٪D٩٪AC٪DN٪B٣٪DN٪-A٩٪DN٪٨A٪D٩٪٨
DN٪AF٪DN٪B٩٪DN٪A٥٪DN٪٨٤٪D٩٪٨٤٪D٩٪-B١٪DN٪٨٢٪D٩٪٨٥٪D٩٪-٨A٪D٩٪B٢٪DN٪٨٣٪D٩٪B١٪
html.AA٪DN٪A٧٪DN٪٨٥٪D٩٪A٧٪

٢٩ - المرصد السوري لحقوق الإنسان، "مصرع ٢٠ سجينًا جوعًا في سجن حلب" (تصريح)، شباط/ فبراير ٢٠١٤.
-a٧٪dN٪٨٦٪d٩٪٨a٪d٩٪ac٪dN٪b٣٪dN٪-٢٠-b٩٪dN٪b١٪dN٪b٥٪dN٪٨٥٪d٩٪/com.syriahr.www//:https
-٪٨٠٪e٢٪aN٪dN٪٨٤٪d٩٪ad٪dN٪-٨٦٪d٩٪ac٪dN٪b٣٪dN٪-٨a٪d٩٪٨١٪d٩٪-a٧٪dN٪b٩٪dN٪NN٪d٩٪ac٪dN٪
/٣١٠٠٠/٨e

٦-١ سجن البالونة



صورة جوية لسجن البالونة (المصدر:»مركز توثيق الانتهاكات في سوريا»)

سجن البالونة (السجن العسكري الثالث) يقع في حي "باب تدمر" بالقرب من فرع المخابرات الجوية في مدينة حمص، وكان سابقًا مركزَ إيداع مؤقت للمعتقلين العسكريين المتخلفين أو الفارين من الخدمة العسكرية، قبل تقديمهم للمحاكمة العسكرية، وتحويلهم إلى السجون العسكرية. وتشرف على السجن الشرطة العسكرية، ويتبع لوزارة الدفاع[٣٠].

ويتألف مبنى السجن من ثلاثة طوابق؛ واحدٍ منها فقط فوق الأرض ظاهر للعيان، وهو مخصص لإدارة السجن، وطابقَين تحت الأرض للمعتقلين، فيهما ١٢ جناحًا، ستة في كل طابق. وفي السجن جناحان للمعتقلين الأمنيين المحوَّلين

٣٠ - الصفحة الرسمية للهيئة السورية لفك الأسرى والمعتقلين، أيلول/ سبتمبر *2019*.

/2672628009434575/posts/SyrianCRD/com.facebook.www//:https

من سجن صيدنايا وسجن تدمر، ممن خضعوا لمحاكم ميدانية وانتهت فترتهم "التأديبية"، إضافة إلى جناح مخصّص للمعتقلين الأمنيين ممن هم تحت السن القانونية. كما يضم السجن مهجعين مخصصين للضباط الموالين المعتقلين، وهؤلاء يسمح لهم بالزيارات، والتجول في الباحة، وإدخال الراديو والغاز والتبغ، واستخدام الهواتف. إضافة إلى وجود مهجعين لتجار المخدرات، ومهجعين للشبيحة وعناصر "الدفاع الوطني" من الذين ثبت تعاملهم مع المعارضة.

وبعد اندلاع الثورة السورية بات سجن البالونة مكانًا لاحتجاز المعتقلين السياسيين وناشطي الثورة من الشرائح والفئات كافة، والذين مورست بحقهم أبشع أساليب التعذيب. وقد منعت إدارة السجن المعتقلين من التجول في الممرات أو الخروج إلى باحة السجن، وقدمت لهم وجبات طعام رديئة لا تكفيهم، إضافة إلى أن المياه في السجن غير صالحة للشرب، والرعاية الصحية معدومة فيه؛ فبين عامي ٢٠١٨ و٢٠١٩ تسبب مرض السلّ بوفاة عشرات المعتقلين في سجن البالونة، وسط تكتم شديد من إدارة السجن التي لم تعلن عن أسماء المتوفين[٣١].

ويمر المعتقلون الذين يُنقَّلون من بعض المحافظات السورية إلى دمشق بسجن البالونة، حيث تكون الاستراحة يومين أو ثلاثة أيام؛ استراحة تشبه الموت"[٣٢].

٣١ -المدن، "سجن البالونة: السل يتفشى" (تحقيق)، نيسان/ أبريل ٢٠١٩.

D٩٪A٧٪DN٪-٨٦٪D٩٪AC٪DN٪B٣٪DN٪/٢/٤/٢٠١٩/arabworld/com.almodon.www//:https
-٨٤٪D٩٪B٣٪DN٪٨٤٪D٩٪A٧٪DN٪-٨A٪D٩٪٨٦٪D٩٪NN٪D٩٪٨٤٪D٩٪A٧٪DN٪AN٪DN٪٨٤٪
٨٩٪D٩٪B٤٪DN٪٨١٪D٩٪AA٪DN٪٨A٪D٩٪

٣٢- منى، محمد، "سجن البالونة: محطة التعذيب بين الأفرع والسجون السورية" (تقرير)، مع العدالة، أيار/ مايو ٢٠١٩.

-A٩٪DN٪٨A٪D٩٪AN٪DN٪B١٪DN٪B٩٪DN٪٨٤٪D٩٪A٧٪DN٪/victims/ar/org.justice-pro//:https
-A٩٪DN٪٨٦٪D٩٪NN٪D٩٪٨٤٪D٩٪A٧٪DN٪AN٪DN٪٨٤٪D٩٪A٧٪DN٪-٨٦٪D٩٪AC٪DN٪B٣٪DN٪
-AN٪DN٪٨A٪D٩٪B٠٪DN٪B٩٪DN٪AA٪DN٪٨٤٪D٩٪A٧٪DN٪-A٩٪DN٪BN٪DN٪AD٪DN٪٨٥٪D٩٪
html.٨٦٪D٩٪٨A٪D٩٪AN٪DN٪

وفي عـام ٢٠١٩ سـمحت إدارة السـجن لـذوي المعتقلـين، الذيـن شـارفت محكوميتهـم عـلى الانتهـاء، بزيـارة أسـبوعية، مـدة خمـس دقائـق، مـن خلـف الشـبك.

ويُـشرفُ العقيـد نـزار الحسـين، عـلى إدارة السـجن، ويسـاعده ضابطـان؛ أحدهـما مسـؤول عـن ضبـط المهاجـع، وآخـر طبيـب عسـكري مسـؤول عـن صحـة المعتقلـين. ويوجـد في السـجن دائمًـا عنـاصر يتبعـون للأمـن العسـكري، إضافـة إلى كتيبـة "حفـظ النظـام" تتخـذ مـن البنـاء المجـاور للسـجن مقـرًّا لهـا، وأوكل لهـا مهمـة تأمـين السـجن مـن الخـارج والتدخـل عنـد الطـوارئ.

٢ - المستشفيات

١ - ٢ مشفى تشرين العسكري



صورة لمشفى تشرين العسكري (المصدر: موقع "مع العدالة")

يقع مشفى تشرين العسكري في الجهة الشمالية الشرقية من دمشق بين حي تشرين وحي برزة وحرستا؛ افتتح المشفى رسميًا عام ١٩٧٦ بهدف علاج الضباط والعساكر في الجيش السوري، إضافة إلى إجراء عمليات مخفضة لعائلات الضباط، كعمليات القلب والعمود الفقري وزرع النقي والجراحة العظمية. ويتألف مبنى المشفى من عشرة طوابق وأبنية ملحقة به.

ومع بداية الثورة السورية في آذار/ مارس ٢٠١١، بدأ المستشفى باستقبال المصابين من الثوار والمتظاهرين وكانت البداية مع أحداث "مساكن صيدا" في محافظة درعا، في ٢٩ نيسان/ أبريل ٢٠١١؛ عندما ارتكب النظام مجزرته الشهيرة بحق المتظاهرين واعتقل عددًا كبيرًا منهم.

اختص مشفى تشرين العسكري باستخراج شهادات الوفاة للمعتقلين الذين

يقضون في الأفرع الأمنية تحت التعذيب، وهذا ما أكدته الصور التي قام قيصر بتسريبها؛ حيث تنتهي ملفات وصور المعتقلين الذين يلقون حتفهم في جميع الأفرع الأمنية بدمشق، إلى مشفى تشرين العسكري لاستخراج شهادات تؤكد وفاتهم بالسكتة القلبية أو أمراض أخرى. وقد استخرجت المشفى الشهادات التي تثبت وفاة المعتقلين من دون أي وجود لجثثهم أو أي إثبات آخر سوى الورقة المختومة من المشفى[٣٣].

وعلى الرغم من قيام المشفى بتسليم جثث المعتقلين الذين يستشهدون تحت التعذيب في بداية الثورة السورية إلا أن الكم الكبير من القتل الذي فاق التصور والتفنن فيه أيضًا حال دون ذلك لاحقًا. ولم يكتفِ النظام وشبيحته بتعذيب المعتقلين الداخلين إلى مشفى تشرين العسكري، بل قام أيضًا بتحويل المشفى إلى ثكنة عسكرية، حيث انتشر القناصة على بنائه، والآليات العسكرية والأسلحة الثقيلة في ساحته والتي أمطرت حرستا وبرزة بالقذائف والصواريخ، وقد قامت قوات الأسد بحفر خندق محيط بالمشفى وذلك تفاديًا لتسلل فصائل المعارضة المسلحة إليه.

وتفيد تقارير كثيرة أن المستشفى يستقبل يوميًّا عشرات الجثث التي تعود إلى عناصر النظام المقتولين على جبهات القتال، إضافة إلى عدد كبير من الجرحى. وأحيانًا كانت تهرّب جثث قتلى النظام من الباب الخلفي للمستشفى، خوفًا من أهالي العساكر المقتولين. هذا إضافة إلى انتشار معلومات تفيد بضلوع رئاسة المشفى وبعض الأطباء بتجارة الأعضاء

٣٣ - مع العدالة، "مشفى تشرين العسكري: جزارون على هيئة أطباء" (تقرير)، حزيران/ يونيو ٢٠١٩.
https://pro-justice.org/ar/uncategorized/views_news/reports/D٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪B٩٪D٪B١٪D٪B٩٪D٪A
D٩٪٨A٪D٩٪٨A٪D٩٪A-٩٪D٪٨٥٪D٪B٤٪D٩٪٨١٪D٩٪٨٩-D٪AA٪D٪B٤٪D٪B١٪D٩٪٨A٪D٩٪٨٦-D٪
D٩٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٪B٩٪D٪B٣٪D٩٪٨٣٪D٪B١٪D٩٪٨A-D٪AC٪D٪B٢٪D٪A٧٪D٪B١٪D٩٪٨٨
D٩٪٨٦-D٪B٩٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٩.html

وتهريبهـا.

واشـتهر عـدد مـن العاملـين في مشـفى تشريـن العسـكري بمـدى إجرامهـم وتنكيلهـم بالمعتقلـين الـذي كانـوا ينقلـون إلى المشـفى، وقـد وثّقـت "تنسـيقية أطبـاء دمشـق"[٣٤] بعـض أسـمائهم، وهـي: العميـد الطبيـب مفيـد درويـش، رئيـس قسـم الإسـعاف، والعقيـد الطبيـب معـين سـليم، مختـصّ جراحـة عظميـة، والعقيـد الطبيـب مهنـد زيـود، مختـصّ جراحـة عظميـة، والعقيـد الطبيـب أحمـد إسـكندر، مختـصّ جراحـة عظميـة، والعقيـد الطبيـب إسـماعيل كيـوان، طـب شرعـي، والعقيـد الطبيب أكـرم عيـسى، مختـص جراحـة بوليـة، والنقيـب الطبيـب أحمـد الحسـن، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة عظميـة، والطبيـب عبـد الرحيـم الحسـن، طبيـب مقيـم، ومختـص جراحـة عظميـة، والطبيـب محمـد فنـدي، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة عامـة، والنقيـب الطبيـب رامـي شـامية، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة عامـة، والطبيـب خلـدون شـحادة، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة بوليـة، والطبيـب باسـل خـدام، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة بوليـة، والنقيـب الطبيـب قـصي درويـش، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة بوليـة، والطبيـب عـلاء أحمـد، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة بوليـة، والنقيـب الطبيـب مهنـد حسـن، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة بوليـة، والمـلازم أول الطبيـب مهنـد عقـل المـوسى، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة صـدر وأوعيـة، والطبيـب حسـين حبيـب، طبيـب مقيـم، مختـص أمـراض نسـائية، والرائـد الطبيـب حسـان مرعـي، طبيـب تخديـر، والنقيـب الطبيـب إيـاد صالـح، طبيـب مقيـم، مختـص جراحـة عصبيـة.

---

٣٤ - مختارات من الثورة السورية، تنسيقية أطباء دمشق تقرير هام عن الأطباء والممرضين الشبيحة في مشفى تشرين العسكري في دمشق، تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١١.

٪٨٢٪D٩٪٨A٪D٩٪B٣٪D٨٪٨٦٪D٩٪AA٪D٨٪/٢٩/١١/٢٠١١/com.wordpress.syrianchange//:https

-٨٢٪D٩٪B٤٪D٨٪٨٥٪D٩٪AF٪D٨٪-A١٪D٨٪A٧٪D٨٪A٨٪D٨٪B٧٪D٨٪A٣٪D٨٪-A٩٪D٨٪٨A٪D٩

-٨٥٪D٩٪A٧٪D٨٪٨٧٪D٩٪-B١٪D٨٪٨A٪D٩٪B١٪D٨٪٨٢٪D٩٪AA٪D٨٪

/٨٥٪D٩٪-AF٪D٨٪B١٪D٨٪٨٨٪D٩٪-٨B٪D٩٪A٧٪D٨٪AF٪D٨٪AC٪D٨٪

٢ - ٢ مشفى المزة العسكري



مشفى المزة العسكري "٦٠١" (المصدر: "مركز توثيق الانتهاكات في سوريا")

يقع مشفى "٦٠١" في منطقة المزة في دمشق، وهو ملاصقٌ تمامًا للمدرسة الفرنسية من جهة، ومحاطٌ بأبنية سكنية من جهة ثانية، كما أنه على مقربة من سجن المزة والطريق المؤدي إلى القصر الجمهوري. يتبع المشفى إداريًا لوزارة الدفاع.

ويضم المشفى عددًا من الأبنية؛ مبنى "العيادات" ومبنى مكون من ستة طوابق، الأرضي منها يحوي الأقسام التالية: الإسعاف والمخبر والمطعم، يليه الطابق الأول الذي يضم مكتب مدير المشفى، وقسم الأشعة والتصوير، وقسم أمراض الكلى، ومكتب رئيس التمريض. والطابق الثاني يحتوي: قسم العمليات، وقسم العناية المشددة، والصيدلية وقسم التعقيم. في حين يضم الطابق الثالث قسمَي العينية والعظمية. ويضم الطابق الرابع قسمَي الأذنية والجراحة العامة، فيما يقع قسما القلبية والعصبية في الطابق الأخير من المبنى، الذي يتصل بمبنى آخر أقرب إلى طريق قصر الشعب مؤلف

من خمس طبقات عبر نفق تحت الأرض بطول ٧٥ مترًا وعرض مترين تقريبًا، مخصص لنقل المرضى وجثث المتوفين إلى المبنى القريب لطريق القصر، حيث توجد هناك ثلاجة الموتى.

وفي قلب المشفى تقريبًا يقع "البناء القديم" الذي يضم كلًّا من: مكتب ضابط الأمن، ومكتب ضابط الإدارة، وقسم الذاتية، وقسم الديوان، وقسم المالية. وبقرب "المبنى القديم" هناك ما يسمى "الندوة" التي تباع فيها مأكولات ومشروبات، وقربها ما يصطلح على تسميته "الحديقة". وفي أقصى يسار المكان تقع مهاجع العساكر ومستودعات المشفى وعلى مقربة منها "قسم الرضوض"، ثم الكازية (محطة الوقود)، وقسم الآليات، وأخيرًا الرحبة (المرأب) الذي تحول مع اندلاع الثورة السورية إلى مكان لإلقاء الجثث وتغليفها قبل ترحيلها.

وفي مطلع عام ٢٠١٢ قامت قوات النظام بإغلاق معظم الطرق المؤدية إلى المشفى بحواجز إسمنتية، باستثناء طريق واحد يُسمح فيه بعبور السيارات الأمنية والعسكرية، إضافةً إلى سيارات سكان تلك المنطقة بعد تعرف العناصر الأمنية عليهم، فضلًا عن وجود حاجز عسكري على بعد أمتار منه. وكان يُنقَل إلى المستشفى العسكريون المصابون جراء المعارك الدائرة على جبهات دمشق وريفها، وتُشاهَد سيارات الإسعاف أو السيارات العسكرية التي تحمل القتلى أو المصابين من قوات النظام الوافدة إلى المشفى يوميًّا، لتكرر حوادث إطلاق الرصاص من قبل العناصر المرافقة لسيارات الإسعاف. وعلى مدار المعارك المستمرة في جبهات دمشق وريفها منذ انطلاقها، خرجت منه جثامين العديد من القياديين العاملين في جيش النظام السوري أو الميليشيات المساندة للنظام من حزب الله اللبناني ولواء أبي الفضل العباس وغيرها.

ويعد المشفى مكملًا لأعمال فروع المخابرات السورية، حيث يُنقَل إليه المعتقلون المصابون إصابات شديدة في الأفرع الأمنية تحت التعذيب بحجة علاجهم، إلا أن نسبة المعتقلين الذين ينجون من المشفى قليلة جدًّا بحسب

شهادات بعض المعتقلين المفرج عنهم والذين يصفون المستشفى بأنه "مسلخ" وليس مستشفى؛ حيث يعامَل المعتقلون فيه معاملةً سيئة كأنهم موجودون في فرع أمني يتلقون فيه الضرب والإهانات، والتهديد بالقتل بشكل دائم. كما يوضع المعتقلون على الأسرّة وهم مكبلو الأيدي ومعصوبو الأعين، وعراة تمامًا، وتقوم قوات الأسد بضربهم بشكل متكرر طوال اليوم حتى لا يكاد يمر يوم لا يقتل فيه شخص في الغرفة الواحدة. ويقتصر علاج نزلاء المستشفى على بعض الأدوية المسكنة والسيرومات و"الشاش" الطبي والمعقمات والمُرممات ومضادات الالتهاب، ويشرف على عملية الطبابة معتقلون قادرون على الحركة. إضافة إلى أنه لا يسمح لأهالي المعتقلين باستلام جثث أبنائهم، حيث تكتفي إدارة المستشفى بتسليم شهادة وفاة أو هوية المعتقل وتتضمن تفاصيل وفاته بعد إصابته بمرض ما.

كما تواردت أنباء عن عمليات بيع لأعضاء المعتقلين داخل المشفى، ورغم عدم وجود أدلة ملموسة على هذا الأمر، إلا أن عدة شهادات أكدت وجود عمليات بتر لأعضاء المعتقلين، وعمليات قتل متعمدة لهم. كما اشتكى العديد من الأهالي القريبين من المستشفى من صدور روائح كريهة منه، يرجح أنها ناتجة عن تكدس الجثث داخله، أو نتيجة إحراقها للتخلص منها.

وفي كل أقسام وأبنية المستشفى يتوزع عسكريون ومدنيون، لهم مشاركات مختلفة في جرائم القتل والتعذيب، ولكن المقر الرئيس الذي يتم فيه كل ذلك هو "قسم الرضوض"، الذي تحول إلى مسلخ. وقد وقع اختيار مخابرات النظام على هذا القسم؛ لأنه قسم معزول وموجود في ركنٍ قصيٍّ في المشفى بعيدًا عن عيون وأسماع من يرتادونه، وهو أيضًا قسمٌ صغير من حيث المساحة مكون من نحو خمس غرف، زوّدت نوافذها بـ "شبك"، وهذا ما جعل هذا المكان نموذجيًّا للتعذيب.

وقالت "هيئة القانونيين السوريين" في مذكرة قانونية أصدرتها عام [35] ٢٠١٩،

٣٥ - الصفحة الرسمية لـ "هيئة القانونيين السوريين" على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، هيئة القانونيين السوريين تصدر مذكرة قانونية حول مشفى المزة العسكري ٦٠١ بدمشق وتحويله لمسلخ بشري لتعذيب وقتل المعتقلين تعسفيًّا والمختفين قسرًا لدى نظام بشار الأسد، آذار/ مارس ٢٠١٩.

إن "نظام بشار الأسد حوّل مشفى المزة ٦٠١ العسكري في دمشق إلى مسلخ بشري لتصفية كل من خرج على نظام حكمه وذلك تحت التعذيب حتى الموت في قسم الرضوض داخل المشفى".

وأضافت أن المشفى تحوّل بعد شهر واحد من اندلاع الثورة السورية إلى مركز تعذيب للمعتقلين والمختفين قسرًا. وأشارت إلى خروج أكثر من ٦٠٠٠ جثة من المشفى خلال ٢١ شهرًا قتلوا تحت التعذيب ونقلوا عبر شاحنة مخصصة لذلك إلى مشفيي "حرستا وتشرين" العسكريين، حيث يتم حرقهم في حراق خاص بدرجات حرارة مرتفعة تتحول الجثث على إثرها إلى رماد.

ويعد غسان حداد، مدير المستشفى، وحسين ملوك، ضابط الإدارة السابق وخَلَفُه شادي زودة، وطه الأسعد، ضابط الأمن، أكثر موظفي المستشفى إجرامًا[36].

/٢٠١٦٠٠٤٣٠٥١٨٩٢٣٥/posts/SYRLC/com.facebook.id-id//:https

٣٦ - زمان الوصل، "شاهد يكشف صور وأسماء عشرات العاملين في مشفى الموت ٦٠١" (تقرير)، آذار/ مارس ٢٠١٩.
/١٠٢٧٤٦/article/news/net.zamanalwsl.www//:https

المحتويات

سرديات ناجين من المعتقلات السورية

يعيش السوريون كارثة دموية قلّ مثيلها عبر التاريخ الإنساني. كل ذلك لأنهم تجرؤوا على المطالبة بالحرية والديمقراطية. ومن فصولها اعتقال مئات آلاف السوريين في ظروف مهولة، فيها التعذيب، والقتل تحت التعذيب، والإخفاء القسري، والحجز بظروف لا تطبقها حتى الحيوانات. وإذ نتطلع كمدافعين عن حقوق الإنسان إلى انتصار الناس في انتزاع حريتهم وحقوقهم، فإن أكثر ما يشغلنا في "المركز السوري للدراسات والأبحاث القانونية" في هذه المعركة الديمقراطية هو انتصار السوريين في معركة استعادة صوتهم. ونحن نعلم أن من ذلك قدرتهم على رواية حكايتهم الجماعية، وحكاياتهم الفردية، كما حصلت من دون قيد أو شرط. وفي هذا السياق تأتي هذه السرديات المتحررة من كل قيد بما فيها قيد المنهج، لتشجيع الناشطين السوريين على سرد قصصهم وتجاربهم، ونقل تجارب أفراد من مجتمعهم، وعلى مقاومة مساعي سلطة الأسد وحلفائها لإجبارهم على العودة إلى مملكة الصمت. وهو ما يدعم أيضًا مسار العدالة المنشودة على غير صعيد: فجرأة من وقعت عليهم الانتهاكات على القول شرط لازم ليكون هناك محاكمات.

المحامي أنور البني

رئيس المركز السوري للدراسات والأبحاث القانونية

